تصوير ابو عبدالرحمن الكردي

مركز البحوث
العربية والافريقية

وعد بوش .. بلفور الجديد
الحصاد المرُّ للساداتية

منتدى إقرأ الثقافي
www.iqra.ahlamontada.com

عبد العال الباقوري

مكتبة مدبولي

لتحميل انواع الكتب راجع: (مُنتَدى إقرَأ الثَقافِي)

براي دانلود كتابهاى مختلف مراجعه: (منتدى اقرا الثقافى)

بۆدابەزاندنی جۆرەها کتێب:سەردانی: (مُنتَدى إقرَأ الثَقافِي)

www. Iqra.ahlamontada.com

منتدى إقراء الثقافي

www.iqra.ahlamontada.com

للكتب (كوردى , عربي , فارسي)

مركز البحوث العربية والأفريقية

وعد بوش.. بلفور الجديد
الحصاد المُر للساداتية

عبد العال الباقوري

مكتبة مدبولى

اســــــم الكتاب: وعد بوش.. بلفور الجديد: الحصاد المُر للساداتية
تأليف: عبد العال الباقورى
إعداد: مركز البحوث العربية والأفريقية
٨/١٠ ش متحف المنيل– منيل الروضة - القاهرة - ت/ف: ٣٦٢٠٥١١
البريد الإلكترونى: arc@ie-eg.com-
الموقع على الإنترنت: Website: aarcegypt.org
الطبعة الأولى: ٢٠٠٥
الناشــــر : مكتبة مدبولى
رقم الإيداع : ٢٠٠٥/١٨٠٥
الرقم الدولى : ٩ ـ ٥٠٨ ـ ٢٠٨ ـ ٩٧٧

المحتــويات

ص

مقدمة.. ٥

سباق بين انفجارين؟ ٧

وداعاً للتسوية فى ظل شارون ١٣

بوش وشارون...مَنْ يطلب؟ ومَنْ يرفض؟...................١٧

جديدهم.. قديم ١٩

حق.. وباطل ٢١

كلام تاريخي ومقدمات صيف ساخن ٢٣

وعد.. وطعنة ٢٦

"وعد بوش".. سلام على "السلام" ٢٨

مواجهة ٣٠

ما العمل؟ ٣٢

ترخيص بالقتل..٣٤

إنجازات شارون السبعة ٣٧

أخطر من بلفور ٣٩

رغبة.. وضربة! ٤١

فواصل ٤٣

أنباء.. وكتابات! ٤٥

شوكة في عيونهم.. وخنجر في ظهرهم ٤٧

"هربرت صمويل" الجديد ٤٩

أسرار الماضي وشائعات الحاضر! ٥١

أوهام الضمانات المضادة ٥٣

فواصل ٥٥

أصدقاء التطمينات ٥٧

وساطة وصداقة بلا تعهدات ٥٩

خذلان.. ووعود بلا نقض! ٦١

"هزة أرضية" ٦٣

أمريكا..التقسيم..والوصاية! ٦٥
الضمانات وتوازن المصالح ٦٧
مغزى الرسالة ٦٩
لا تراجع.. ٧١
حوار حول الحوار.. ٧٣
شخصيات وأدوار.. ٨١
بلفور.. إليكم الحقيقة! ٨٣
غزة.. تحية.. ٨٥
أسرار مكشوفة !! ٨٧
لقاء كراوفورد.. ٩٠
الضمانات.. وقائع ومصائر.. ١٠٠
اعتراف إسرائيلي يبطل تحليلاً عربيا ضوء أخضر من بوش لهدم رفح ١٠٤
خطاب "الإيباك" وقمة تونس وحق العودة.. ١٠٩
بين الوعدين.. ١١٤
تقنين ضمانات بوش لشارون.. ١٢٥

المــلاحــق

[١] نص رسالة بوش الى شارون.. ١٣٢
[٢] رسالة شارون الى بوش.. ١٣٥
[٣] وثيقة فايسجلاس : البناء في "يهودا والسامرة" سيقيد ١٣٨
[٤] "رسالة التطمينات" من بوش إلى عبد الله ١٤٠
[٥] بيان اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ١٤٢
[٦] بيان اللجنة الرباعية.. ١٤٧
[٧] خطاب الرئيس الأمريكي جورج بوش
أمام لجنة"إيباك" في ٢٠٠٤/٥/١٨ .... ١٥١

مقـدمـة

إعـادة انـتخاب الرئيس الامريكي جورج بوش الابن لفترة ثانية دفعتني دفعاً إلـى إعـادة التفكير في جمع هذه"اليوميات" - أي المقالات أو الأعمدة التي كتبت يومـياً - وإصـدارها في كتاب. فقد دارت هذه المقالات حول موضوع وحيد هو وعـد بـوش لشـارون رئيس وزراء الكيان الصهيوني، الذي صدر في ١٤أبريل ٢٠٠٤. وهـذا الوعد لايزال حياً، إنه الوعد الثاني بعد"بلفور" الذي صدر في الثاني من نوفمبر ١٩١٧، أو هو - في تقديري - أخطر وثيقة حصلت عليها الصهيونية منذ ١٩٦٧، وربما منذ ١٩٤٧.. وقد راودتني فكرة جمع هذه الكلمات منذ شهور.. ولكننـي ترددت، وها أنا أغالب ترددي ليقيني أن هذا الوعد ستظهر آثاره ونتائجه فـي فـترة رئاسة بوش الثانية. وقد أشارت إلى ذلك صحيفة"هآرتس" في ٣ديسمبر ٢٠٠٤، فـي مقال كتبه الصحفي الإسرائيلي الكبير"ألوف بن" ونقل فيه عن"موظف كبير" في الإدارة الأمريكية ما ملخصه وجوهره أن"من يؤمن بحل الدولتين لا يمكنه أن يؤيـد حق العودة.. ففي نهاية المسيرة ستبقى في يد إسرائيل الكتل الاستيطانية وكـل الباقي لا.. المفتاح للتقدم هو بناء مؤسسات ديمقراطية في السلطة الفلسطينية ومكافحة الإرهاب، والأمر منوط بالفلسطينيين.. إسرائيل لا تتصرف بما فيه الكفاية مـن الشـفافية بشـأن الاستيطان".. ويكرر الصحفي الإسرائيلي المعنى نفسه مرة أخرى، ونقلاً عن المسؤول نفسه، فيقول:

"يمكـن لإسـرائيل أن تضـم الكـتل الاستيطانية الكبرى في الضفة الغربية، وسـتكون مطالبة بإخلاء المستوطنات المنعزلة والمناطق خفيفة السكان مثل غور الأردن. أما الفلسطينيون فسيتعين عليهم أن يحققوا عودة اللاجئين في دولة مستقلة، ولـيس فـي إسرائيل. إخلاء معظم المستوطنات مقابل تنازل عن حق العودة، هذه خلاصـة الصفقة التي عرضت في كتاب بوش لرئيس الوزراء آرييل شارون في ١٤أبريل، والرئيس يعتزم - كما يبدو - حث هذه الخطة في ولايته الثانية".

وإذا كان بعض العرب قد جهلوا مقدمات صدور هذا الوعد، وعد بوش، وإذا كـان بعضـهم قد تجاهل هذه المقدمات، فإن حدوث ذلك اليوم، في مرحلة ما بعد عرفات وفي الولاية الثانية لبوش أمر خطير إلى أبعد الحدود.. خاصة حين يحدث هـذا جهاراً نهاراً وعلى لسان الرجل الذي اختير بالإجماع لرئاسة اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، والذي رشحته حركة فتح بالإجماع أيضاً - حسبما قيل

- لرئاسة السلطة الفلسطينية، أي السيد الدكتور محمود عباس"أبومازن" الذي وصل بــه الأمــر إلى حد أن يتحدث في حوار مع مجلة "المصور" المصرية، في عددها الــذي يحمــل رسمياً التاريخ نفسه الذي كتب فيه"ألوف بن" مقاله، يتحدث أبومازن عــن "ضــرورة إنهاء الاحتلال الإسرائيلي الذي وقع على الأرض الفلسطينية عام ١٩٦٧، وهــذا بالنســبة لــنا أمر مهم، وهو موقف دولي يسانده الرئيس الأمريكي بوش".

إن هذا كلام خطير، وتجاهل متعمد لفحوى ومضمون"وعد بوش" الذي سيكون بمثابة قضبان السكة الحديد التي تسير عليها عربة التسوية.

وحــتى لــو لم تكن هذه الكلمات سوى مجرد تنبيه وتحذير من خطورة"وعد بــوش" فإنها جديرة بأن تظهر بين دفتي كتاب - يجمعان"خواطر عربية" تم نشرها في"الجمهورية"، وفي"أخبار العرب" الإماراتية، وفي"الحرية" الفلسطينية، و"فواصل" التــي نشــرتها "العربي" الناصرية - وقد حرصت على أن أترك هذه الأعمدة كما كتبــتها، بمــا فيها من تكرار، وتداخل.. لأن أي تدخل فيها يعني إعادة كتابتها من جديد وهذا ترف لا أملكه.

وأنــا مدين بالشكر للأصدقاء والزملاء مجدي عبدالكريم لترجمته كلمة بوش أمــام"إيباك"، وفادي عوض لتصحيحه لأصول هذه الأعمدة، وأمين خيرالله لإشرافه علــى إعــادة جمع هذه الكلمات وتنسيقها، وللآنسة عزة صالح لمساعدتي في جمع المــادة العلمــية لبعض هذه الأعمدة، ومتابعة نشرها، كما أشكر الأصدقاء القائمين علــى مركز البحوث العربية لاهتمامهم بنشر هذا الكتاب. أما المسؤولية عما ورد في هذه الأعمدة وفي هذه الكلمات من آراء فإنها ملقاة على عاتقي وحدي.

عبد العال الباقوري

القاهرة - مدينة نصر

في ٣-١٢-٢٠٠٤

التاريخ المذكور أسفل كل عمود هو تاريخ الكتابة، وليس تاريخ النشر

سباق بين انفجارين؟

يبدو أن الإقليم العربى على موعد قريب مع انفجارين كبيرين، والسؤال هو: أى هذين الانفجارين يسبق الآخر، ليكون مقدمة وتمهيداً وغطاءً له؟! هل ما يجرى فى فلسطين التاريخية، أى فلسطين الانتداب، وفلسطين من النهر إلى البحر، من"حرب مصغرة" هو مقدمة أو تغطية على الاستعدادات، التى تجرى تحت أسماع الجميع وأبصارهم، لضرب العراق، أم أن ضرب العراق سيكون غطاءً لما سيحدث فى فلسطين؟. أم أن كلاً منهما سيكون "غطاء" للآخر؟!

قبل الرد المباشر على هذا السؤال، يمكن أن نشير أو نستعين بكلمات قليلة جداً كتبها سياسى ودبلوماسى إسرائيلى كبير يوم الاثنين الماضى، هو"إبراهام تامير" المدير العام السابق لوزارة الخارجية الإسرائيلية والمدير العام الأسبق لديوان رئيس وزراء إسرائيل، فقد كتب تامير أن"نقل الحرب إلى أراضى العدو من خلال القصف الجوى واحتلال المناطق أدى حتى الآن إلى خطر التدهور نحو حرب إقليمية"، وبادئ ذى بدء، فقد نشرت هذه الكلمات فى اليوم نفسه الذى وصل فيه الرجل الزئبقى المدعو شيمون بيريز وزير خارجية إسرائيل إلى مصر، وأجرى محادثاته فيها، وفى هذا اليوم أيضاً نشرت أخطر وأسوأ تصريحات بشأن الشعب الفلسطينى أدلى بها الرئيس الأمريكى جورج بوش الابن، منذ توليه السلطة، ومنذ أمطرنا بالعشرات من تصريحاته ضد الشعب الفلسطينى وضد قيادته... فى التصريحات المنشورة يوم الاثنين الماضى بلغ بوش قمة لم يبلغها من قبل فى إعلان عدائه السافر للشعب الفلسطينى ونضاله، فهو لم يتحدث فقط عن مناضليه بوصفهم"إرهابيين وقتلة"، بل تعدى هذا ليستعدى العالم كله ضد النضال الفلسطينى. ومن اللافت للنظر هنا أن زيارة"الصهيونى الزئبقى" للقاهرة، تزامنت مع دخول قوات الجيش الإسرائيلى مدينة رفح وحصارها، وقيام الطائرات الإسرائيلية بغارات وهمية فوق المدينة، وهذه الغارات تمثل احتكاكاً واستفزازاً.

وحين نقلب ما بأيدينا من ترجمات من صحف إسرائيل فى يوم الاثنين الماضى أيضاً تستوقفنا فى هذا الخصوص كلمات"أليكس فيشمان": "الجميع (يقصد الجميع فى إسرائيل) يخططون للمواجهة مع العراق على أمل أن هذا سيجعل الجبهة الداخلية عندنا هامشية ويخفى القضية الفلسطينية"(يديعوت احرونوت – ٥ أغسطس).

مرة أخرى نقرأ معاً: "سيجعل الجبهة الداخلية"فى إسرائيل" هامشية ويُخفى القضية الفلسطينية"، فما الذى سيَخفى بالضبط؟ هذه هى المشكلة؛ بمعنى أن هذه

لحظات دقيقة وأيام صعبة (وصف شارون نفسه يوم الأحد الماضى الذى شهد عدة عمليات فدائية إحداها استشهادية بأنه"يوم صعب"!)، صحيح أنها مجرد لحظات وأيام فى صراع طويل وممتد، ولكن فيها تحددت المواقف والمواقع والخنادق، ويكاد يتجسد فيها أن هذا صراع وجود، وليس مجرد صراع حدود، أو هو بالدقة صراع مصيرى.

ولعل هذا يتبين، بل ويتأكد من أن إسرائيل اليوم تتحدث، وعلناً، أنها تستعد مرة أخرى لعمليات طرد وترحيل، وترد حركة المقاومة الإسلامية"حماس" بلغة استوعبت جيداً خبرة الحرب النفسية التى أدارها بكفاءة"حزب الله"، فتعلن فى منشور قرأه الإسرائيليون: "من منكم يرد النجاة، فليعد إلى المكان الذى أتى منه، وحينئذ فقط لن نحتاج إلى دمائكم وأشلاء أجسادكم".

هذه لغة جديدة على أسماع الإسرائيليين الذين أنصتوا إليها جيداً، وهم يحصون عدد قتلاهم فى ظل الانتفاضة الباسلة، فقالوا إنهم فى يوم الأحد الماضى تخطوا حاجز الـ٦٠٠قتيل، وبلغوا ٦٠٤قتلى أو ٦١١قتيلاً، وتذكروا أن مناحيم بيجين اكتأب واعتكف وانزوى حين وصل عدد القتلى الإسرائيليين فى غزو لبنان فى ١٩٨٢الذى أسموه"حرب سلامة الجليل" إلى رقم ستمائة قتيل. وخرج أكثر من معلق إسرائيلى، ومن أكثر اتجاه يطالبون شارون بأن يرحل، وبأن يسير على نهج معلمه بيجين. وكان مثل هذه الانتقادات لشارون ونهجه قد توارى فى إسرائيل تقريباً منذ أواخر مارس الماضى، حين بدأ عملية إعادة احتلال المدن الفلسطينية تحت عنوان"السور الواقى" وحين تكاد هذه العملية تسفر عن نوع من قبض الريح - بل إنها كلفت إسرائيل ثمناً كبيراً من الناحيتين الاقتصادية والأمنية - فإن أصواتاً عديدة بدأت ترتفع داخل إسرائيل وبسرعة صاروخية وهى تكاد تقول لشارون: كفى!

ولكن، هل يكتفى شارون؟ يبدو أنه بتكوينه وبتأهيله مدفوع إلى أن يمضى أكثر فى الطريق الذى بدأه، خاصة وأن الضوء الأخضر الذى تلقاه من واشنطن لايزال يفسح هذا الطريق كثيراً، ويكفيه زاداً ودعماً تصريح الرئيس بوش الابن الذى أطلقه يوم الأحد الماضى، خاصة وأن هذا التصريح بالرغم من عدوانيته وغطرسته لم يلق أى رد فعل من الجانب العربى الرسمى، ولو بيان شجب واستنكار ولا أقول إدانة، فمن ذا الذى يستطيع اليوم أن يدين موقفاً لرب البيت الأبيض، أقوى رجل فى العالم؟ لأنه يحكم أقوى قوة عرفتها البشرية منذ بداية التاريخ إلى اليوم.

واعتماداً على هذه المساندة، مضى شارون يقتل ويضرب ويهدم المنازل ويغتال المناضلين، ويسجن العشرات والمئات والآلاف فى ظل صمت عربى غريب، قد يغريه بارتكاب المزيد من الحماقات والمذابح.. كما يعد – وهذا هو الأخطر – لما بعد المذابح.. فقد وصل الأمر به وبحكومته ليس إلى اعتقال عائلات الاستشهاديين، بل التفكير فى اعتقال من يعزون فى هؤلاء الاستشهاديين أو يتعاطفون مع أهلهم، وتشير المصادر الإسرائيلية إلى أن شارون أصبح يفكر بشكل جاد إما فى اغتيال الرئيس الفلسطينى ياسر عرفات أو فى إبعاده إلى غزة.

ويعدد"زئيف شيف" عدداً من الخطوات التى توصل إليها"طاقم أمنى كبير" للرد على العمليات الاستشهادية، وهذه الخطوات حسب مفرداته:

* "اعتقال خطباء من رجال الدين ومحرضين آخرين يدعون للقيام بعمليات انتحارية (أرجو أن نقرأها: استشهادية).
* المس المتواصل بالمساعدات المالية لعائلات الانتحاريين(الاستشهاديين).
* مصادرة أملاك"الجمعيات الخيرية" حتى وإن كان الحديث يدور عن جمعيات لعرب من مواطنى إسرائيل، تساعد عائلات الانتحاريين (الاستشهاديين).
* (إغلاق محطات راديو تحرض على الانتحار"الاستشهاد).
* (نفى أشخاص يؤيدون العمليات الانتحارية"الاستشهادية).
* (هدم أملاك كل من له صلة بعملية انتحارية"استشهادية)
* شن حرب فسيولوجية واسعة النطاق(أى عمليات تصفية واغتيال).

وأشار الكاتب المرموق إسرائيلياً إلى أنه تم التصديق على قرارات أخرى، لم يذكرها، ومع ذلك، فإن هناك خيبة أمل كبيرة فى إسرائيل التى أصبحت تدرك أن كل هذه الإجراءات لن توقف العنف الفلسطينى، ولن تضمن الأمن للإسرائيليين الذين يعترف كتابهم بأن معنوياتهم تتآكل، وإذا"تكومت الجثث أمام ناظرينا يوماً بعد يوم – فإننا سندخل فى حالة خطيرة من اليأس الجماعى والعجز، من الممكن الحديث عن شعب قوى وصارم، ولكن القلب يتحطم فى النهاية إلى أشلاء صغيرة "حسب تعبير"شالوم يروشاليمى" فى مقال بعنوان ذى مغزى:"لحظة قبل الانهيار" نشرته "معاريف" يوم الاثنين الماضى، وسنعود إليه مرة أخرى.

وقد تكون هذه كلمات كاتب أو صحفى، فما بالنا حين يعترف رئيس"الشاباك" أى جهاز الأمن العام الداخلى بأن مقاومة قوات الأمن الإسرائيلية للعمليات الفدائية الفلسطينية، هى"محاولة لتجفيف البحر بملعقة". ومع ذلك، فإن إسرائيل– رغم موجة انتقاد شارون – لا تزال تخشى طرح سؤال: وماذا بعد؟ . إنها لا تزال تتشبث بالأمل فى أن تنجح إجراءاتها، وفى أن تحد من تصاعد العمل الفدائى

الفلسـطينى مع أنها ترى فى الواقع وتشهد عكس ذلك، ويعترف بذلك"رونى شكيد" وهو من المطلعين على الأوضاع الفلسطينية، فيقول:

"المجـتمع الفلسـطينى، على خلفية تصاعد قوة"حماس" وفى الأجواء الداعمة للإرهـاب - لـم يعـد يـتأثر بالعقوبـات الإسـرائيلية: هدم المنازل، والإبعاد، والاعـتقالات، وحظـر الـتجول المسـتمر. إن التكـيف سـريع. فـى هذا الأسبوع هدم جيش الدفاع منزل "حمزة عطا" الذى قام بالعملية الانتحارية (الاستشـهادية) فـى مطعم الفلافل بالقدس، وفى اليوم التالى، بدأت عملية الإعداد لإعـادة البـناء من جديد، والعقوبات التى يفرضها جيش الدفاع لم توقف موجات الإرهـاب (العمـل الفدائـى) بـل تسـببت فقـط فى تطويرها. وبدأ قادة الألوية العسـكرية(الإسرائيلية) فى غزة والضفة يتحدثون عن حرب عصابات، وليس عن مجموعات من"الإرهابيين" بل عن قتال أكثر احترافاً وجرأة وذكاء، وتتزايد الدوافع إلـى مواصـلة القـتال، ويكـاد لا يمر يوم إلا ويضبط"الشاباك" أحد الانتحاريين (الاستشـهاديين) أو يكشـف معمــلاً للتخريب"(يديعوت أحرونوت فى ٢أغسطس الحالى).

ولا يحـتاج الأمر إلى تجديد التذكير مرة أخرى بأن أحداً لا يستطيع أن يسقط من الحساب والاعتبار حجم وكم المعاناة الفظيعة التى يتجرعها الشعب الفلسطينى، كـل يوم.. ومن أسف أنه يكاد يقف وحيداً، مع أنه يصرخ صباح مساء: وامنقذاه، واعروبتاه. ولا من مجيب، ولا من منقذ..

وفـى الوقت نفسه، يجب إقرار أن العدو لم يستنفد بعد كل ما فى جرابه من وسـائل العـنف والـبطش والعدوان.. حتى لو بدت الطرق مغلقة ومسدودة، مع ملاحظـة أن نقاط ضعف هيكلية فى جسد هذا العدو بدأت فى الظهور، وفى مقال ذى أهمـية كبـيرة"هآرتس، يوم الاثنين الماضى" يعترف "أمير أورن" بأن الجيش الإسـرائيلي لـم يعـد لديه ما يكفى من القوات لتغطية مسرح العمليات فى حدوده الراهـنة، وقـبل استدعاء قوات الاحتياط على نطاق واسع، لأن هذه عملية مكلفة. وفـى هذا المقال، يكشف"أورن" عن جانب مهم من التخطيط العسكرى الإسرائيلى، مشـيراً إلـى أن قـيادة هيئة الأركان أصبحت ترى أنه:"من الأفضل لإسرائيل أن تصـك أسـنانها، حـتى فـى مواجهـة العملـيات الصـعبة، وأن تحـافظ على مكافحـة"الإرهـاب"، عـند مستواها الحالى". ويضيف أنه "حسب تقرير أعده قسم العملـيات فـى هيئة الأركان، يجب على جيش إسرائيل أن يستعد للقتال فى ثلاث جبهات: فلسطينية، وشمالية، وعراقية. وعند مستوى يشبه المستوى الحالى أو أكثر منه: عمليات فلسطينية، وإمكانية التدهور على الجبهة السورية - اللبنانية، وضرب

العراق للعمق الداخلى الإسرائيلي وقيام إسرائيل بعملية هجومية فى العمق العراقى".

وبناء على هذه الخطة، يقرر المحلل العسكرى الإسرائيلى أن ضبط النفس سيحافظ على"إنجازات إسرائيل" وهنا يلاحظ أن شارون، وهو من آباء عمليات الانتقام والرد الدائم والمتواصل والمتصاعد على الهجمات العربية، أصبح مطالباً الآن باتباع نهج عكسي: ضبط النفس، فى ظل استفزازات"تهدف إلى جعل إسرائيل تنزف وتواجه الضربات".

وكل خطة عسكرية – مهما كانت دقيقة – بها نقاط ضعف، وفى هذه الخطة خطة الانتظار والترقب وتحمل الخسائر عند مستواها الحالى، تكمن نقاط الضعف – كما يقرر "أورن" – تكمن فى قطاعين يخرجان عن إطار سيطرة الذين أعدوا الخطة، وهذان القطاعان هما: الجمهور الإسرائيلى، والمنظمات الفلسطينية. والجمهور الإسرائيلى لم ينفض يديه من شارون، فقد حمله إلى رئاسة الوزراء فى فبراير من العام الماضى باعتباره"المنقذ" ولا يزال ينتظر على يديه"الإنقاذ"، ولم يفقد الأمل بالكامل بعد.

إذن كيف يفكر هذا الجمهور، وبالضبط، كيف يوجهه المؤثرون فيه، وكيف يعبر عن توجهاتهم وتوجيهاتهم؟ منذ أيام، قال"ميخائيل كلاينر" عضو الكنيست عن"حزب حيروت" إنه يجب أن يسقط١٠٠٠ قتيل فلسطينى مقابل كل قتيل إسرائيلى، والاتجاه الأخطر هو ما عبر عنه النائب"زفولون أورليف" عضو"الحزب القومى الدينى – المفدال" بقوله "إن الكفاح ضد"الإرهاب" لا يجب أن يقتصر على الضفة الغربية، بل يجب أن يشمل أيضاً السكان المؤيدين للإرهاب داخل دولة إسرائيل". أليس هذا ما تحدث عنه"يجيئال سيرنا" حينما كتب فى ٣٠يوليو الماضى فى"يديعوت أحرونوت" ما يلى:"سنبقى لوقت طويل فى حالة من الانتظار المتوتر"للعملية الكبيرة جداً" التى يتحدث عنها طوال الوقت فؤاد(أى ديفيد بين إليعازر وزير الدفاع). وهذه العملية الكبيرة جداً ستؤدى إلى قتل آلاف الإسرائيليين، وستؤدى حسب التقديرات الاستخبارية الحذرة والإشاعات المزعجة إلى"مينى – نكبة فلسطينية"، أى ترحيل ١٩٤٨ من جديد، ولكنه مراقب ومحدود"، هذه هى الخطة السياسية: العملية الكبيرة، "أومينى – النكبة".

حين نعود إلى ما سلف، إلى مقال"إليكس فيشمان" نجده يشير، وبقدر من التفصيل، إلى أنه يوجد فى داخل إسرائيل من يساعد الاستشهاديين، يقدم لهم"معلومات دقيقة". وهنا يشير بأصابع الاتهام إلى"فلسطينيي١٩٤٨" الذين يسمونهم ظلماً وخطأً"عرب إسرائيل" ويقول"كفانا تجميلاً للصورة، من الواضح أن الحديث لا

يـــدور عـــن كـــل عرب إسرائيل، بل عن أقلية خطيرة، وقد آن الأوان للاعتراف بصوت عال: فى دولة إسرائيل مشكلة داخلية، وهى آخذة فى التفاقم. فإلى الآن، تم اســتخدام بـــنى تحتية فى قرى عربية، فى وادى عارة وفى المثلث، كنقاط انطلاق لعمليات فى إسرائيل، والآن يجب أن يؤخذ فى الاعتبار، وأن يتم فعل شيء فى هذا المجال، أن ثمة بنية تحتية لمثل هؤلاء المساعدين فى قرى عربية فى الجليل".

وباللهجـــة الحـــادة نفســـها يـــتحدث كاتـــب يصفونه بأنه"يسارى" هو"شالوم يروشـــالمى" الـــذى ســـبقت الإشـــارة إليه، ففى مقاله"لحظة قبل الانهيار" يقول"إن العمليات الأخيرة تقطع الخيط الدقيق بين اليهود والعرب"فى إسرائيل". ولا فائدة فى إخفـــاء علاقـــة أوساط بين عرب إسرائيل بالعمليات" وأشار، بهذا الخصوص إلى أن"ايلـــى يشاى" كتب فى صحيفة"كول هزمان" عن أهازيج الفرح التى التقطها بين الطـــلاب العرب فى الجامعة العبرية بعد مقتل الوزير رحبعام زئيفى، كما تحدثت وسائل الإعلام عن ظواهر مماثلة فى مناسبة أخرى، وتحدثت أوساط فى إسرائيل، وفـــى الصحافة، عن العملية الاستشهادية فى خط الأتوبيس رقم٣٦١، وأشارت إلى أنه يمر بقرى عربية كثيرة فى الجليل.

واختـــتم"شالوم" مقاله بقوله:"وحتى لو لم يتلق المخرب فى هذه المرة مساعدة مـــن عرب إسرائيل فإن الريبة التى تتعمق بين الطرفين تسير فى اتجاه انفجار أشد مـــن أحداث أكتوبر ٢٠٠٠"، وهى الأحداث التى سقط فيها ١٦شهيداً من "فلسطينيي ١٩٤٨" خرجوا يتظاهرون انتصاراً للانتفاضة.

فمـــا حـــدود ذلك الذى يشير إليه"شالوم" بأنه أشد من أحداث أكتوبر ٢٠٠٠؟ ومـــتى يقع؟ وما علاقة ذلك بترقب إسرائيل بل وبدفعها إلى ضرب العراق.. فهل إذا حـــدث هـــذا تبدأ"مينى – نكبة" وهل مثل هذا التدبير غريب عن تخطيط وتفكير شـــارون، وهـــل مثل هذا التدبير غريب عن العقلية التى لا تزال سائدة ومسيطرة على الإسرائيليين.. إلى الآن؟.

إن التوقعات والاحتمالات أمامنا أخطر من أن نردد: ننتظر لنرى!

القاهرة ٦- ٨ -٢٠٠٢

وداعاً للتسوية فى ظل شارون

هــل يســتطيع المــرء أن يجازف ويقطع منذ الآن بأنه لن تتحقق أية خطوة كبيرة على درب التسوية فى ظل حكومة آريل شارون المقبلة ؟ لا أرى فى الأمر كبــير مجازفــة بــناءً على السوابق ، من ناحية ، وبناء على التطورات المنتظرة والمحــتملة من ناحية أخرى ، أياً كان تكوين الحكومة القادمة فى إسرائيل ، سواء كانــت مدنــية علمانــية ، أو دينية أو يمينية بالكامل ، خاصة وأن موقف "حزب العمــل" تحدد بشكل نهائى برفضه الدخول فى حكومة "وحدة وطنية " مع الليكود ، فقد أدرك "العماليون" أن المشاركة لا تعود عليهم بربح كبير، بل تكلفهم غالياً ، وقد كلفــتهم بالفعل ، فى انتخابات يناير الماضى ، حيث فقدوا من مقاعد الكنيست أكثر ممــا كــانوا يتوقعون ، ووجد حزبهم نفسه فى أضعف حالاته البرلمانية منذ إنشاء إســرائيل ، بــل وقــبل إنشائها ، حيث كان الاتجاه "العمالى" يسيطر ويقود نشاط مؤسسات المنظمة الصهيونية .

وبعــيداً عــن الجزم والقطع ، أو دوامة الاحتمالات عما هو آت، نستطيع أن نتطرق لهذا الموضوع من زاوية أخرى ، فنتساءل : أيهما أولاً؟ العدوان الأمريكى ـــ البريطانى ـــ الصهيونى على العراق، أم تكوين حكومة شارون الجديدة؟ . ومن المتوقع أن يتلكأ شارون بقدر ما يستطيع فى إعلان تشكيلته الوزارية القادمة ، فهو يتمنى من كل قلبه أن يتم العدوان على العراق اليوم قبل الغد. وإن كانت المصادر الإســرائيلية العلنية تكاد تقطع بأن العدوان لن يتأخر عن منتصف مارس المقبل ، وتــرجح وقوعه فى الثلث الأخير من فبراير الحالى وشارون لا ينتظر ذلك فقط ، بــل يســعى إليه ، ويعمل من أجله ويدفع الأمور دفعاً كى لا يتأخر العدوان ، ولا يؤجــل ، ولا يعطــل . وفى سبيل ذلك ، فإنه سيتوجه إلى تشكيل حكومته الجديدة بــبطء شــديد ، وسيحرص على عدم إعلانها فى المهلة المحددة له وهى ٢١ يوماً قابلــة للــتجديد لفــترة مماثلة ، أى أن أمام شارون فترة تمتد إلى ما بعد منتصف مــارس المقــبل وهو موعد قد لا يتأخر عنه كثيراً العدوان الثلاثى المرتقب على العراق .

وحــتى لو قام شارون بتشكيل حكومته قبل العدوان على العراق فإن ذلك لن يعجــل فى طرح أى مشروع للتسوية من جانبه . وكما طلب من قبل إرجاء خطة "خريطة الطريق " إلى ما بعد الانتخابات فى يناير الماضى ، ثم إلى ما بعد تشكيل

الحكومة ، وتمت الاستجابة له فى الحالتين من جانب واشنطن، فإنه سيطلب بالمثل تأجيلاً ثالثاً . ولن يفقد العذر الذى يتذرع به، وهو عذر مقبول مقدماً من جانب واشنطن.

ولو افترضنا جدلاً أن شارون سيضطر إلى التقدم خطوة فى درب التسوية فإنه لن يطرح أكثر مما يسميه "دولة فلسطينية مؤقتة" وهو ما تتضمنه أيضاً "خريطة الطريق " وهذا مشروع أسوأ فلسطينياً من الحكم الذاتى الذى طرحه مناحيم بيجين فى ١٩٧٧ ، وسيكون ضرره أكبر من نفعه بكثير ، لأنه سيعنى -فيما يعنيه- "كياناً " بلا حدود أو سيادة أو ملامح ، ويشمل أجزاء متفرقة من الأرض لا رابط بينها، بينما تظل المستوطنات باقية ، ويظل المستوطنون يتزايدون ، أما القدس وحق اللاجئين فى العودة فأمران ـ من وجهة نظر شارون وحكومته المقبلة ـ لن يدور حولهما نقاش ، ولن يطرحا على بساط التفاوض . ومع ذلك ، قد لا يمانع بعض العرب فى قبول فكرة الدولة المؤقتة ، متناسين أن هذا سيؤدى إلى تأجيل أية تسوية دائمة بل سيؤدى إلى استبعادها .

وواهم كل من يتصور اليوم أن هناك ضغطاً أمريكياً يمكن أن يقع على شارون وحكومته من أجل طرح أفكار جادة للتسوية . على هؤلاء مثلاً أن يتذكروا المصير الذى لقيته خطط تينت وميتشيل حيث تم وضعها على الرف بناء على رغبة شارون، أو بتعبير أدق، بناء على رفض شارون.

ولا مجال هنا للادعاء بأن واشنطن يمكن أن تضغط على شارون بورقة الضمانات التى يطلبها ، وتبلغ ١٤ مليار دولار . هنا ، يمكن أن يشار إلى ما كتبه "حيمى شليف" فى صحيفة "هآرتس" فى ٢٩ نوفمبر الماضى، وهو يقارن بين موقفى بوش الأب وبوش الابن من طلب الضمانات من جانب إسحق شامير فى ١٩٩٢ وطلب شارون حالياً . وخلص من هذه المقارنة إلى القول إن بوش الابن يفرش أمام شارون بساطاً أحمر ، وهو يكاد يحمل الشيك فى يده . ولفت "شليف" النظر إلى أنه فى ١٩٩٢ كان شارون يعتبر فى نظر الأمريكيين ضاراً حتى أكثر من شامير نفسه ، لدرجة أن واشنطن قاطعته ، وأرجعت الناطقة باسم وزارة الخارجية الأمريكية هذه المقاطعة إلى معارضة شارون للسياسة الأمريكية . أما شارون فقد رد على ذلك عندئذ بوصف السياسة الأمريكية بأنها "خطأ مأساوى" وعلق الصحفى الإسرائيلى على ذلك بقوله : "إن شارون اعتبر فى ١٩٩٢ "ثوراً هائجاً وفيلاً فى دكان من الفخار " .

وهـــذه الأيام ولت ، وطويت صفحاتها ، واليوم ، وبعد عقد من الزمان، فإن شارون فى نظر واشنطن "رمز للاستقرار والرؤية". وهنا ، يبرز دور الصهيونية الأمريكـــية ، فبعد كامب ديفيد الثانى ، وبعد الانتفاضة وعملياتها وبعد صدمة ١١ ســبتمبر ، أجرى يهود أمريكا كما يقول شليف "انعطافه أكثر نحو اليمين، أكثر من أغلـــب الجمهـــور فى إسرائيل. وكلما اقتربت الإدارة الجمهورية "فى أمريكا" من إســرائيل ــ شـــارون فى ساعتها العسيرة ، يقترب اليهود من الحزب الجمهورى. ولا يــبدو جورج بوش الابن كمن يخطط لتكرار خطأ أبيه ، الذى أعلن حرباً على اللوبـــى الـــيهودى، علـــى خلفية الصراع على الضمانات الأولى ، وبعد سنة فقد رئاســـته. وســـيتقدم بوش الابن للانتخابات الرئاسية ، فى نوفمبر ٢٠٠٤، وإذا ما أدار ظهـــره لشـــارون الابـــن ، فمـــن غير المستبعد أن هذا سيردعليه فى الوقت المناسب".

هـــذا تفســـير كاتـــب إســـرائيلى وليس تفسيرى ، إذ اعتقد أن ما بين بوش وشـــارون، ومـــا بيـــن أمريكا وإسرائيل أكبر فى الظروف الراهنة من ضمانات القروض ، ومن الأصوات اليهودية فى الانتخابات. إنه أكبر وأعمق وأخطر، وهو مـــا يـــتجلى بوضـــوح فى الموقف المشترك بل الموحد من العداء والعدوان على العراق ، استهدافاً لإحداث زلزال فى وفوق الخريطة العربية.

ولو افترضنا جدلاً أن العدوان على العراق تعطل لسبب أو آخر، أو تأجل لما بعـــد مـــارس المقـــبل ، فإن شارون سيستغل هذه الفترة، أى من الآن وإلى نهاية مـــارس، فى المماطلة والتسويف، دون أن يقدم على شيء عملى، كأن يجتمع مثلاً بمســـؤول فلسطينى مثلما أعلن عن اجتماع عقده مع أحمد قريع "أبو علاء" رئيس المجلـــس التشريعى الفلسطينى غداة إعلان نتائج انتخابات ٢٨ يناير الماضى. وهذا الاجـــتماع وغيره ليس أكثر من فصل آخر فى مسرحية "دبلوماسية الوقت الضائع" التى لا تجدى ولا تفيد بل تضر أكبر الضرر.

إن شـــارون هو شارون . لم يتغير ولم يتبدل. وأكاد أقطع أنه سيبقى هوهو . وهـــو ــ كما وصفه الرئيس حسنى مبارك بحق فى يوليو قبل الماضى بقوله "مع شـــارون لا يوجـــد حل ، فهو رجل لا يعرف سوى القتل والهجوم والحرب . ولا أعتقد أن هناك أملاً مع شارون وجماعته" .

وإذا كان ذلك كذلك ، وهو فعلاً كذلك ، أى لا أمل فى تسوية فى ظل شارون وحكومـــته الجديدة ، خاصة فى الظروف الخطيرة الراهنة والمقبلة ، إذن لابد من

تغيــير فى الموقف العربى والموقف الفلسطينى ، تغيير يبدأ بمراجعة جادة وعميقة لعملــية التســوية من ناحية ، وباكتشاف مسارات جديدة للحركة والتحرك من أجل استرداد الحقوق وتحرير الأرض ، قبل أن يداهمنا العدوان على العراق بتغيير فى خــريطة المنطقة ، ليس مستبعداً أن تشمل عملية ترحيل و"ترانسفير"، ومن هنا لا يجــوز الرهان على أية خطوة جادة من جانب شارون ، على درب التسوية .. إن شـــارون لن يفاوض ، بل يريد أن يفرض خططه وأهدافه ، وهى خطيرة إلى أبعد الحدود .

٨ - ٢ - ٢٠٠٣

بوش وشارون...مَنْ يطلب؟ ومَنْ يرفض؟

الأنظـــار العربية، وبل والأفهام والأسماع، مشدودة منذ أيام إلى "حدث القمة" أي تأجيل قمة تونس، ومتى وأين يمكن أن تعقد القمة؟. وفي الكيان الصهيوني نجد الأنظـــار والأفهام والأسماع مشدودة أيضاً إلى اتهام آرييل شارون بالرشوة، ومتى يتم توجيه الاتهام؟ بجانب الانشغال بالفكرة التي طُرحت بشأن الانسحاب من غزة.. أخشـــى أن يكـــون هذا إلهاءً مقصوداً ومتعمّداً لإبعاد الأنظار عن أمر آخر، أكبر وأخطر وأهم، يجري في مكان آخر.

كاد حديث أو حدث القمة يغطي على جريمة اغتيال الشيخ أحمد ياسين، حتى بعـــد دعـــوة"أبوعلاء" إلى وقف العمل المقاوم، ولكن التغطية الأهم تتعلق فيما يبدو بأمـــر آخـــر. أكثر خطورة جرى ويجري في العاصمة الأمريكية واشنطن.. وقبل الخوض في التوقعات يجب أن نسترجع"لقاء العقبة" في العام الماضي. قبله بأسابيع عديدة، خرجت الصحف الإسرائيلية تتحدث وتطيل الحديث عن مطلب شارون من بـــوش فـــي هـــذا اللقـــاء، وهو الاعتراف بإسرائيل"دولة يهودية" وتعددت الأخبار والأنـــباء والتحليلات بعضها يؤكد بل يقطع بأن بوش رفض هذا المطلب والبعض الآخر لا ينفي احتمال الموافقة. وفي صبيحة يوم اللقاء خرجت الصحف الإسرائيلية لـــتقطع الشك باليقين وتقول إن"كونداليزا رايس" مستشارة بوش للأمن القومي قالت فـــي لقاءات معها إن الرئيس الأمريكي لن يتحدث في البيان الذي سيلقيه في العقبة عـــن إسرائيل كدولة يهودية. وبعد ساعات، حدث العكس تماماً، وخرج"وعد بوش" لشـــارون ووقـــف العـــرب يضـــربون أخماســـاً في أسداس ولم يجرؤ أحد على الاعتراض.

هـــل نحـــن – في ظل التطورات الخطيرة الجارية– أمام فصل آخر مشابه؟. مـــنذ أســـابيع وحديـــث زيـــارة شارون لواشنطن لم ينقطع، كما قام مبعوثوه بعدة زيـــارات للعاصمة الأمريكية، وأجروا مباحثات مع كونداليزا رايس وغيرها. ومن هـــؤلاء المبعوثيـــن"دوف فايســـيجلاس" مدير مكتب شارون وكاتم أسراره وأقرب المقربيـــن إليه والمدافعين عنه، ووسيطه الأول عند واشنطن. وقد بحث هو وغيره مع كبار المسؤولين الأمريكيين: مسار الجدار العنصري العازل، وضم مستوطنات الضفة الكبيرة، أو الكتل الاستيطانية، والانسحاب من غزة، كما بحثوا المقابل الذي ستحصـــل علـــيه إســـرائيل من بوش. ويطالب شارون بأن تعترف واشنطن بضم

إسرائيل للكتل الاستيطانية في الضفة الغربية، وعلى رأسها مستوطنات القدس، كما يطالــب بـــأن تؤيد واشنطن بشكل صريح أنه لا يحق للفلسطينيين العودة إلا للدولة الفلسطينية التي ستقوم.

مطلــبان كــل مــنهما أخطــر من الثاني.. وقد ذكرت صحف إسرائيلية أن واشنطن لم توافق على ذلك، أخشى أن يكون هذا من قبيل عدم الموافقة على كون إســرائيل دولة يهودية!. هل نستطيع أن ننبه إلى ذلك من الآن؟. وهل نستطيع أن نعلــن معارضتنا لأي موقف أمريكي يهدد الحق الفلسطيني في الأرض المحتلة منذ ١٩٦٧ وفي"العودة" إلى أراضي ١٩٤٨؟.

أخشـــى أن يقول بعض العرب المتأمركين إن هذه سنة انتخابات أمريكية وإن بــوش"معذور" ولا يستطيع أن يقول: لا لشارون!. وإلى هؤلاء أسوق ما كتبه"إيتان هابــر" فــي صحيفة"يديعوت أحرونوت" في اليوم الأخير من مارس الماضي، من أن"كــل مــن يصل إلى مكتب رئيس الوزراء"في إسرائيل" ويعرف صورة الوضع علــى حقيقــتها؛ الــتعلق المطلــق لإســرائيل بالولايات المتحدة: أمنياً، وسياسياً، واقتصادياً يعرف أيضاً أنه لم يولد بعد"تقريباً" زعيم إسرائيلي قال"لا" لأمريكا.

وآخــر من تصرف على هذا النحو هو إسحق شامير، وقد أزاحه الأمريكيون بدعم من الإسرائيليين إلى التقاعد المبكر".

هــذه الكلمـــات ذات أهمـــية كبـــيرة، خاصة أنها صادرة ممن يعرف حقائق الأمـــور، فقـــد كـــان"إيتان هابر" مديراً لمكتب إسحق رابين رئيس وزراء إسرائيل الأسبق، وقد كان واحداً من أكبر رؤساء الحكومات الإسرائيلية ارتباطاً بواشنطن.

١-٤-٢٠٠٤

جديدهم.. قديم

في الأفق ملفّات عديدة ستُفتح قريباً، أو يعاد فتحها، ومهما كانت الأسباب والنوايا وراء ذلك، فيجب أن نستعد الاستعداد الواجب علمياً وسياسياً لمواجهة هذه الملفات، ولكشف الأهداف المستترة من ورائها. فقد ذكرت الأنباء أن أعضاء في مجلسي الشيوخ والنواب الأمريكيين يعتزمون، في وقت متزامن، طرح مشروعي قرار يدعوان إلى ضمان ما سموه"حق اليهود الذين أجبروا على مغادرة الدول العربية خلال الفترة ما بين عامي ١٩٤٥ و١٩٧٢ في العودة إلى ديارهم" وأضافت الأنباء أن مشروعي القرار تضمنا أن يتم طرح هذه القضية "في أي وقت تتم فيه مناقشة مسألة حق الفلسطينيين في العودة إلى ديارهم، في المحافل الدولية".

وهذه قضية قديمة -جديدة، أو مجددة، أو متجددة، ولا بأس من طرحها للنقاش، مع تحفّظ أساسي وهو أن الكونجرس "الموقّر"، وبمجلسيه، لا يحقّ له التشريع في مثل هذه القضية، فهو ليس منظمة دولية، أو برلماناً دولياً يملك حق التشريع في جميع مشكلات الكرة الأرضية.

والنبأ في حد ذاته يثير تساؤلات عديدة: لماذا الآن؟ وما علاقة مثل هذا المشروع بما يسمى"مبادرة الشرق الأوسط الكبير"، التي قد تعرض أيضاً على مجلسي الكونجرس لاعتمادها، كما عرض عليه من قبل وفي الخامس من يناير ١٩٥٧ مشروع الرئيس دوايت أيزنهاور عما سمّي"ملء الفراغ في الشرق الأوسط" بعد هزيمة بريطانيا وفرنسا في السويس ١٩٥٦، وفي ظل مطاردة النفوذ الأمريكي لنفوذ الحليف البريطاني في الوطن العربي؟! والجانب الذي قد يكون أكثر أهمية من ذلك، هو تزامن مثل هذا المشروع مع ما أشرنا إليه أمس، وما تداولته وكالات الأنباء، عن مطلب إسرائيلي سيحمله معه آرييل شارون إلى واشنطن وعند لقائه مع الرئيس جورج بوش في منتصف الشهر الحالي تقريباً، وهو المطلب الخاص بتعهّد أمريكي بأن تكون عودة"اللاجئين الفلسطينيين" في التسوية النهائية قاصرة فقط على العودة إلى الدولة الفلسطينية، التي تعهد الرئيس الأمريكي بقيامها.

ومن الخطأ كل الخطأ أن يربط أحد أو هيئة أياً كانت، أمريكية أو غير أمريكية، بين حقّ أقرّته الشرعية الدولية منذ ١٩٤٨ في القرار رقم ١٩٤، وبين"حقّ" مدّعى لعودة لم ينازع فيها أحد، بل كانت مطلباً عربياً.. فما يخفى على الكونجرس أن السيد محمود عباس رئيس الوزراء الفلسطيني السابق وعضو اللجنة

التنفيذية لمنظمة التحرير بذل مساعي حثيثة من أجل"عودة اليهود العرب" إلى ديارهم، علماً بأنهم -على الأقل في غالبيتهم العظمى - لم يُطردوا من بلادهم، ولم يُجبروا على مغادرتها، بل إن الصهيونية قامت بحملات منظمة، كما حدث في العراق مثلاً، كي يشعر اليهود في البلاد العربية أنهم ليسوا في مأمن، وأن أمنهم لا يتوفّر إلا في"إسرائيل". ودليل ذلك أن بعض هؤلاء اليهود لم تنطل عليهم المؤامرات الصهيونية، ولذلك لم يتجهوا إلى الكيان الصهيوني، بل ذهبوا إلى بلاد أوروبية وأمريكية، كما أن بعضهم لايزال يعيش في أوطانه العربية، ويعلن معاداته ورفضه للصهيونية.. هذه هي الحقائق، التي يعرفها من له أدنى دراية بالتاريخ، تاريخ الصراع العربي - الصهيوني، منذ بدايته إلى اليوم، وهو تاريخ سجّل فيه الشعب العربي في فلسطين صفحة رائعة حين ردّ على لجنة"كينج - كران" الأمريكية بقوله: إن الموسويين -أي اليهود - إخواننا في الوطن، لهم ما لنا وعليهم ما علينا!!. وليت الكونجرس يفتح ملفّاته عن آخرها، ويطالع التقرير الذي وضعته هذه اللجنة.

٢-٤-٢٠٠٤

حق.. وباطل

"كمـــا أن هناك موافقة أمريكية على إعلان أنه مثلما وجد اللاجئون اليهود من الـــدول العربـــية وطناً قومياً في إسرائيل، هكذا أيضاً سيجد اللاجئون الفلسطينيون وطناً قومياً في الدولة الفلسطينية التي ستقوم"!.

هذه الكلمات أوردتها أمس الأول صحيفة"معاريف" الإسرائيلية في تقرير كتبه اثـــنان من كبار صحفييها هما"بن كاسبيت" و"شالوم يورو شاليمي" وتناولا فيه حديثاً أجـــرياه مع"آرييل شارون" ينشر غداً، وأشارا في هذا التقرير إلى لقاء شارون مع ثلاثة مبعوثين أمريكيين هم إليون إبرامز وستيف هايدلي ووليام بيرنز الذين سلموه - كمـــا ذكر الصحفيان الإسرائيليان - مشروع"بيان رئاسي" أمريكي سيصدر عن زيـــارة شـــارون لواشنطن ولقائه مع الرئيس بوش، وقد تضمن هذا المشروع نص الكلمـــات التي اقتبسناها في بداية خواطر اليوم، والتي تتصل بما تناولناه أمس عن مشـــروعي قـــرار فـــي مجلسي الكونجرس الأمريكي بشأن"عودة اليهود العرب". وأبديـــنا شـــكوكنا في أن طرح مثل هذا المشروع في الوقت الحالي يرتبط بـــ"حق العودة" الفلسطيني الذي قررته الأمم المتحدة منذ ١٩٤٨، وأكدته في قرارات أخرى عديدة..

وقـــد أكدنـــا، ونؤكد، أن محاولة الربط بين"عودة اليهود العرب" وحق العودة للاجئيـــن الفلســـطينيين منذ ١٩٤٨ وللنازحين منذ١٩٦٧تقوم على التعسف، وفيها افتـــئات على الشرعية والقانون، وعلى الحق. نقول هذا استناداً إلى حقائق التاريخ ووقائعـــه، واستناداً إلى وثائق واعترافات ومذكرات أصدرها بعض الصهاينة الذين لعـــبوا دوراً أو آخـــر، في هذه الدولة العربية أو تلك، من أجل إجبار مواطنيها من الـــيهود علـــى الخـــروج منها. وقصة يهود العراق وما جرى لهم ومعهم معروفة وذائعة ومنشورة.

ومن المقرر تاريخياً أن يهود البلاد العربية لم يجبروا على الخروج منها، بل هـــربوا مـــنها بإرادتهم الخالصة، مع استثناءات قليلة لاتتجاوز بأيه حال نسبة ٥% من عدد اليهود الذين خرجوا من بلادهم العربية. وبعضهم تمكن بوسائل مختلفة من بيع أملاكه، كما قام بملء حريته بالتخلي عن جنسيته العربية.

أين هذا مما تعرض له الفلسطينيون في أرضهم وديارهم على أيدي الصهاينة الذيـــن وضـــعوا مـــنذ وقت مبكر سياسة محددة، وأحياناً معلنة، لطرد العرب من

وطنهم؟ ولعلنا نذكر أنه قبل وقت قصير خرج مؤرخ صهيوني ممن كانوا يعرفون بـــ"المؤرخين الجدد" ليتراجع عما وثقه من دور صهيوني في طرد الفلسطينيين من ديارهم، وفي تراجعه هذا بارك سياسة الطرد والترحيل، ودعا إلى المزيد منها.

هل تخفى هذه الحقائق، المكتوبة والموثقة، على المشرعين في أمريكا؟ وعلى الرئاســة الأمريكــية التي تنوي إصدار بيان يساوي بين لاجئين طردوا من بلادهم غصباً وعدواناً، وبين آخرين غادروا بلادهم طواعية أو تآمراً؟؟

والســؤال في الحقيقة لا يوجه للأمريكيين، سواء في مجلسي التشريع أو في الإدارة، بــل يوجه لنا نحن، ماذا فعلنا كي نوقف إصدار مثل هذا التشريع الجائر، وهذا البيان الرئاسي الغادر؟..

هــناك ردان مــتكاملان، الأول: هــو تأكيد تمسك العرب والفلسطينيين بحق العــودة الفلسطيني طبقاً لقرار الشرعية الدولية، وأن هذا الحق لا يعادله ولا يناظره أي"حق" مختلق آخر.. والرد الثاني: هو التفكير في كيفية إحياء الفكرة العربية التي ظهرت في مرحلة من المراحل وقامت على أساس دعوة"اليهود العرب" للعودة إلى أوطانهم وتعويضهم عن أملاكهم، على أن تبدأ منذ اليوم حملة موجهة إلى واشنطن تبين لها وتحذرها من المساواة بين حق وباطل، إلا إذا أرادت أمريكا أن تستمر في سياسة تحدي العرب واستفزازهم.. ثم تتساءل:"لماذا يكرهني العرب"؟!.

٣-٤-٢٠٠٤

كلام تاريخي ومقدمات صيف ساخن

"السير برسي كوكس"أحد أعمدة الاستعمار البريطاني للوطن العربي، خاصة في الخليج وشبه الجزيرة والعراق. كان الرجل استعمارياً"عريقاً" و"أصيلاً"، ولا يعني هذا امتداحه أو الثناء عليه، بل يعني الإقرار بكفاءة الرجل في خدمة التاج البريطاني وصاحب الجلالة ملك بريطانيا العظمى، والمصالح التي يحوزها ويعبر عنها. وكانت أعمال"كوكس" الاستعمارية امتداداً لاتفاق سايكس -بيكو وللاتفاق الودي بين بريطانيا وفرنسا في ١٩٠٤، بشأن توزيع الغنائم بينهما في مصر والمغرب العربي.

وقد يكون دور"كوكس" الاستعماري أكثر أهمية وخطورة من أدوار آخرين من أعمدة الاستعمار البريطاني للوطن العربي، مثل فيلبي، ولورنس، وهربرت صمويل وكرومر، وكتشنر.. وغيرهم وغيرهم. كل واحد من هؤلاء كانت عنده نظرة أو"رؤية" لدوره، ولسياسة بلاده. ومع ذلك فإن"أرنولد ويلسون" الذي عمل مساعداً لـ"كوكس" في العراق، والذي خلفه في منصب المندوب السامي قد استوقفني كثيراً من خلال مذكرة أعدها عن خططه في العراق، وهي المذكرة التي أكد فيها أن"العراق والقوقاز" يمثلان -من وجهة نظره - "أهم المناطق الاستراتيجية في الشرق الأوسط". وربما تكون هذه النظرة هي"المفتاح" لفهم كثير من الأحداث التي عصفت ببلاد الرافدين منذ سنوات الحرب العالمية الأولى إلى اليوم.

ويقول ويلسون في مذكرته:"تمكنّا باحتلال العراق من أن ندق إسفيناً في العالم الإسلامي، وبذلك منعنا دون تجمع المسلمين ضدنا في الشرق الأوسط. ولا بد أن تقوم سياستنا على أن نجعل العراق دائماً كإسفين ضد العالم العربي والإسلامي، ولذا يجب ألاّ يندمج سياسياً بسائر بلاد العالم العربي أو الإسلامي، وأن يبقى منعزلاً بقدر المستطاع، ويصبح مثلاً للبلاد الأخرى".

هل تريد أن تعرف بقية الرؤية الاستعمارية؟، إذن نواصل معاً قراءة بقية ما كتبه هذا"العميد الاستعماري":

"من المستحيل أن تقوم حكومة عربية حقيقية في العراق، وإذا حاولنا هذا فإنه يعني أن نترك الشرق الأوسط طعمة للفوضى. ونحن نستطيع أن نفسر

التصـــريحات والوعــود التي أعطيت تفسيراً جديداً جريئاً يمكننا من جعل العراق الحجر الأساسي لسياستنا في الشرق الأوسط.

ونحن دائماً إذا تمسكنا ببغداد بقوة، واحتفظنا بذخيرة كافية من المواد الحربية ووســائل الـنقل هــناك، فإنــنا سنسيطر على الشرق الأوسط بالمعنى العسكري، وســيكون نفوذنــا السياســي متناسباً مع قوتنا العسكرية الكامنة. وبوسع بريطانيا العظمى، كوكيلة عن الأمم المتمدنة في العالم، أن تضمن السلم في الشرق الأوسط. وبريطانــيا العظمـــى هي الدولة الوحيدة التي ستقبلها وترضى بها شعوب الشرق الأوسط للقيام بهذه المهمة. وهذه الشعوب لا تزال ترى في السياسة البريطانية ذلك التسامح والإيثار اللذين لا يمكن أن تجدهما في سياسات أي من الدول الأخرى".

ولــيس لديّ من تعليق على هذا الكلام التاريخي سوى أن أقول إنه إذا تشابه مــع أي كـــلام آخر نسمعه اليوم – أو سمعناه قبل قليل – فإني لست مسؤولاً عن ذلك، سواء صدر هذا عن مسؤول بريطاني أو أمريكاني.

وقد اعترف الرئيس الأمريكي جورج بوش بأن قواته، أي قوات الاحتلال في العــراق، أو حســب تعبيره"قوات التحالف" واجهت أسبوعاً قاسياً. هل سيكون هذا الأسبوع مقدمة لصيف ساخن، خاصة وأن الصيف على الأبواب مناخياً، بل إنه في بعــض أجــزاء وطنــنا العربي قرع الأبواب ودخلها، مع ارتفاع درجة الحرارة، ونسبة الرطوبة؟. ولعل هذا ما أفصح عنه رئيس الأركان الإسرائيلي"موشيه يعلون" الــذي قـــال إن القــوات الأمريكـــية في العراق ستواجه صيفاً ساخناً بالأحداث.. وبالمعارك أيضاً. وتصريح"يعلون" نفسه إحدى مقدمات هذا الصيف الساخن، كيف؟

لم يخف رئيس الأركان الإسرائيلي أن مصالح الكيان الصهيوني ترتبط بنجاح الولايات المتحدة في العراق من ناحية، كما استبعد من ناحية أخرى سرعة خروج الولايــات المــتحدة مـــن العراق" حتى إن أسفرت انتخابات الرئاسة الأمريكية في نوفمبر المقبل عن تغيير الإدارة الامريكية".

تصـــريح"يعلـــون" واضح المضمون، والهدف هو المزيد من الحرب والقتال حـــتى تظـــل أمريكا منتصرة وقوية، ذلك أن إسرائيل هي المستفيد الوحيد الأكبر والأول مـــن وراء غـــزو العـــراق واحـــتلاله، وليس من مصلحتها أن ينتهي هذا بسرعة، وأن تستقر أمور العراق في أيدي أبنائه. ومثل هذا الاحتمال، أي استقرار شـــؤون العـــراق في أيدي أبنائه، يثير قلق الإسرائيليين، خاصة وأن المعارك التي دارت مـــن الفلوجة إلى الناصرة، عبر بغداد والنجف وكربلاء وغيرها من المدن

العراقــية، أثبتــت وحدة صف العراقيين، وأنهم يدركون خطر اللعبة التي تدبرها بعــض القــوى لإشعال حرب أهلية. وتجلى هذا واضحاً في امتناع قوات عسكرية دربها الأمريكيون عن الانخراط في القتال ضد أبناء بلدهم، وقد أثار هذا هلع قوات الاحــتلال، ومدبــريه ومخططيه الذين كانوا ينتظرون أن يرقصوا على مشهد قتل العراقي للعراقي.

وإزاء هذا، لن يتراجع الاحتلال بسهولة، وهذا ما أشارت إليه أنباء الاستعداد لإرســال قوات أمريكية جديدة إلى العراق، وقد نقلت مجلة"نيوزويك" عن مسؤول أمريكــي عن استعداد للبقاء في العراق ولو على جثة"مليون أمريكي و.." والحذف هنا يشير إلى عدد العراقيين الذين يمكن أن يقتلوا في سبيل هذا الهدف الأمريكي!!

وكي تكتمل معالم الصورة يجب أن نذكر ما كشفته صحيفة"صنداي تلجراف" أمــس الأول من أن قادة عسكريين أمريكيين وصفوا تصرفات القوات الأمريكية ضد الشعب العراقي بأنها"مفرطة في القوة الغاشمة" ونقلت الصحيفة البريطانية عن ضــابط بريطاني كبير تتمركز قواته في جنوب العراق قوله إن القوات الأمريكية تعتــبر العراقييــن"أدنى من البشر". وهذا تعبير من القاموس النازي. وقال الضابط نفســه إن هذه القوات لا تشعر بأدنى قلق من الخسائر العراقية في الأرواح، لأنها تعتــبر العــراق دولة"قطّاع طرق" وأنه من حق كل شخص أن يقتلهم لأنهم"كائنات شريرة"!!

الســؤال هــنا: هــل هذه هي القوات التي جاءت لــ"تحرير العراق" وإقامة تجــربة"ديمقراطية" فيه لتعميمها في المنطقة؟. أيتها الحرية، وأيتها الديمقراطية كم من الجرائم ارتكبت وسترتكب باسميكما، وتحت راياتكما؟

١٢-٤-٢٠٠٤

وعد.. وطعنة

اليوم، يلتقي الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش في البيت الأبيض آرييل شارون رئيس وزراء الكيان الصهيوني. اللقاء تأخر عما كان متوقعاً له، وتم تأجيله أكثر من مرة، دون أن يعلن عن ذلك رسمياً. ويأتي لقاء اليوم بين لقاءين عربيين، الأول عقد في مزرعة الرئيس الأمريكي في ولاية تكساس، مع الرئيس المصري محمد حسني مبارك، والثاني سيعقده الرئيس الأمريكي مع ملك الأردن.. إلى جانب لقاء مع الحليف الأوثق توني بلير رئيس وزراء بريطانيا.

هذه اللقاءات تعقد بينما الرئيس بوش ليس في كامل"لياقته" وربمّا كان يتمنى لو تمت في ظروف أخرى، أحسن وأفضل، بعيداً عن ضجة لجنة التحقيق في أحداث ١١سبتمبر، وبعيداً عن الوضع المتفجر و"الصعب" و"المأزوم" والذي يمثل"ورطة" في العراق. وهذه الألفاظ استخدمها كبار المسؤولين الأمريكيين، سواء رجال الإدارة في واشنطن أو رجال الاحتلال في بغداد.. حيث تتزايد المخاوف من انخفاض أسهم الرئيس بوش، وضياع فرصته في فترة رئاسية ثانية. وهو احتمال لم يعد مستبعداً، بل تزداد أرجحيته يوماً بعد يوم، خاصة إذا تصاعدت حدة الموقف في العراق، وازداد التشابك بين العراق وفلسطين. وقد اعترف الرئيس بوش نفسه بهذا التشابك حين قال في مؤتمره الصحفي أمس الأول مع الرئيس مبارك:"نعتقد أن مستقبل الشرق الأوسط ومستقبل العراق مرتبطان بشكل وثيق". هل أدرك الجانب العربي الذي اجتمع مع بوش، والذي سيجتمع، هذا"التشابك" واستطاع أن يستفيد منه؟.. ليس لديَّ جواب، ولكن الواضح أن الجانب الإسرائيلي سعى ويسعى بشدة من أجل استخلاص كل ما يستطيعه من وراء هذا التشابك، فمنذ أكثر من شهرين، يتحدث الإسرائيليون عن وفود تذهب إلى واشنطن، لتبحث"التعهّدات" التي سيعطيها الرئيس بوش لرئيس الوزراء الإسرائيلي. وقد حاول الإسرائيليون أن يثيروا شكوكاً حول إمكانية أن يحصلوا من بوش على هذه التعهدات. ولكن الواضح أنهم يلحّون عليها، ويتمسكون بها، ويشددون عليها كثيراً، مما خلق أجواء تعيد إلى الذاكرة الأجواء التي سبقت اعتراف بوش نفسه في العقبة بإسرائيل"دولة يهودية".. وقد نبّهنا، هنا، إلى هذه المقارنة أو المشابهة من قبل.. ويبدو أنها أصبحت مشابهة توشك أن تحدث، فقد خرجت الصحف الإسرائيلية يوم الأحد الماضي بأنباء واضحة ومحددة عن تعهدات بوش لشارون التي وصفتها"يديعوت

أحرونوت" بأنها"الحلوى" التي سيوزعها رئيس الوزراء الإسرائيلي عند عودته من واشـــنطن. وهذه"الحلوى" ليست سراً، فقد أوضحت"هآرتس" معالمها في يوم الأحد الماضي، على النحو التالي:

- الـــتعهد بـــأن إسرائيل لن تكون مطالبة في المستقبل بالانسحاب إلى خطوط الهدنـــة في عام ١٩٤٩(أي حدود ٤يونيو ١٩٦٧) في الضفة الغربية، وتحديد الحدود في الاتفاق الدائم سيأخذ في الحسبان"الواقع الديموجرافي" الناشئ على الأرض.
- الـــتعهد بأن اللاجئين الفلسطينيين بوسعهم أن يُستوعبوا في المستقبل في دولة فلسطينية، مثلما استوعب اللاجئون اليهود من البلدان العربية في إسرائيل.

تعهدان كل منهما أخطر وأسوأ من الآخر، وكل منهما صورة من وعد بلفور، أو وعـــد جديـــد. هـــل نـــاقش المفاوضـــون العرب هذه التعهدات مع"أصدقائهم" الأمريكان؟. لقد حذر"أبوعلاء" رئيس وزراء السلطة الفلسطينية من إعطاء إسرائيل مـــثل هـــذه التعهدات.. هل هذا التحذير يكفي؟.. لا أظن، وإن كنت أعتقد أن هذه التعهدات ستكون طعنة للعرب من صديقهم الأمريكي، في وقت لايحتاجون فيه إلى مـــزيد مـــن الطعنات، خاصة أن"طعنة تحرير العراق" أصبحت دامية، وأية طعنة جديدة ستزيد الخرق على الراتق.. فهل تعرف واشنطن هذا المثل العربي؟

١٣-٤-٢٠٠٤

"وعد بوش".. سلام على "السلام"

منذ بدأت عملية التسوية العجفاء العرجاء، حرّمت على نفسي، عامداً متعمداً، استخدام كلمة "السلام" عند أي حديث يدور في هذا الإطار.

وأمس الأول، وبكلمات معدودة أطلق الرئيس الأمريكي جورج بوش رصاصة الرحمة على هذه العملية، التي دارت منذ بدئها وإلى اليوم على حساب العرب، وأرضهم وحقوقهم.

إن أحداً لا يحصل على السكر من الحنظل. وقد بدأت هذه العملية بداية خاطئة، وبأفكار خاطئة، من قبيل أن ٩٩% من أوراق اللعبة في يدي أمريكا. كيف؟ وأمريكا لا تصلح أصلاً لأن تكون وسيطاً في هذه العملية، بسبب انحيازها الذي تزايد من رئيس إلى آخر، من ترومان إلى بوش الابن.. كلما جاء رئيس تفوق على سابقه في موالاة إسرائيل، ودعمها، ومساندتها بكل الأساليب وعلى جميع المستويات، وفي جميع المحافل..

وكان واضحاً منذ البداية أن هذه العملية هدفها استهلاك الوقت، بل تضييع الوقت على العرب، بحيث تكتمل عملية تهويد الأرض المحتلة، وابتلاعها.. وعبر سنوات التسوية تزايد عدد المستوطنات، وعدد المستوطنين، وتزايد إعلان إسرائيل وتأكيدها أنها لن تعود إلى حدود ١٩٦٧. ومع ذلك فإن الذين انخرطوا في التسوية تزايدوا، والذين أدمنوا التفاوض -ولو على أنفسهم- تكاثروا.. وكلما ارتفع صوت ينبه أو يحذر كان ردهم الخائب: هل تريدون الحرب؟.

ومنذ سنوات، خاصة بعد أن استهلكت هذه العملية نفسها، دعا كثيرون، ولست إلا واحداً منهم - إلى ضرورة مراجعة النفس، ومراجعة عملية التسوية، والبحث عن أساليب جديدة، وعن وسائل ضغط جديدة.. تبين هذا منذ تعثرت أوسلو، وفشلت مفاوضات كامب ديفيد الثانية، ومنذ جاء"شارون" إلى الحكم في الكيان الصهيوني. وأمس الأول حصل شارون -كما كان متوقعاً- على كل شيء من صديقه بوش، الذي أعطى أصدقاءه العرب ما يستحقونه من عطاء، فكل يأخذ على قدر مكانته، ودوره وأهميته..

ما أعطاه بوش خطير خطير.. إنه إنجاز كبير لإسرائيل، إنه أكبر إنجازاتها منذ عدوان١٩٦٧. وأرجو ألا يخطئ أحد في التقدير والحساب، فيدعي أنه لا جديد

فـــي هــذه الوعــود، أو أن إسرائيل وشارون والصهيونية استغلوا سنة الانتخابات الأمريكية، واستخدموا ضغط اللوبي الصهيوني.

هــذا كلام خائب، ولا يستحق عبء الرد عليه.. لأن معناه أن أهل التسوية لا يزالون سائرين في دربها الذي ضيع الحقوق.. والمسؤولية في ذلك تقع على عاتق كثيريـــن بداية من الرئيس السادات إلى كل من لفّ لفّه وسار على دربه في مدريد وأوســلو وكامب ديفيد وجنيف.. وقد وصلت المرحلة إلى نهايتها بوعد بوش ضد الحــق الأصــيل والثابت في الأرض، أرض القدس والضفة والجولان، وضد حق العودة..

أرجـــو ألا يتحدث أحد عن أن الرئيس الأمريكي خرج على الشرعية الدولية، أو ضــرب بقــرارات الأمم المتحدة عرض الحائط، أو أنه سحب، أو خرج على، وعود أمريكية سابقة.

هــذا كلام خائب، بضاعته بائرة لأن الحقيقة واضحة للعيان، وكما عبر عنها العـــالم الفلســطيني إدوارد سعيد، رحمه الله، هي أن تحرير القدس والعودة بها إلى أوضـــاع ١٩٦٧ يحـــتاج إلى حرب كبرى.. إذا لم يصل الأمر إلى هذا الحد، فإن وعد بوش أنهى أي رهان على أمريكا في عملية التسوية، التي أصبحت في حاجة شديدة إلى وقفة عربية شجاعة، أمينة، ومخلصة.

ولكن، من يفعل هذا؟.. والآن قبل الغد، وحتى لا تضيع القدس إلى الأبد!

١٤-٤-٢٠٠٤

مـواجهــة

هــذه ســاعة للعمل وليس للصراخ، ساعة للفعل وليس للبكاء، ساعة للتفكير العقلانـــي الساخن والهادئ معاً وليست ساعة للصوت العالي الأجوف، الذي يطلق بيانات رنانة تمضي بلا صدى، وتنتهي بلا نتيجة، وتضيع دون جدوى.

في هذه اللحظات نحن في حاجة إلى البحث الجاد عما هو مجدٍ ومفيد وعملي، ويـــبطل فعل الأعداء، ويجعل ضمانات بوش لشارون دخاناً في الهواء. هذا البحث لا يقوم به فرد أياً كانت إمكانياته، ولانفر قليل من الناس. إنه عمل جماعي، يحتاج إلـــى اجــتهادات من كافة القوى الرسمية والشعبية، والقول إننا في حاجة إلى عمل جماعـــي، لا يعني أننا جميعاً سنشارك فيه، أو سنأخذ به.. بل يعني أننا في حاجة ماســة وشـــديدة وملحة إلى فريق عمل جاد ومسؤول وقادر على استكشاف الآفاق بحثاً عن وسائل، وبدائل عما نحن فيه اليوم، من مواجهة ضمانات من لايملك لمن لايستحق، أي ضمانات بوش لشارون..

نعم مواجهة، وهي ككل مواجهة تحتاج إلى الفكر والعمل، إلى الرأي والفعل، إلـــى التصـــور البناء والسليم والقويم مع القدرة على تحويل هذا إلى برنامج عمل، وخطـــوات تنفــيذ.. الخطـــوة الأولى التي تأخرت كثيراً وطويلاً هي تقويم عملية التسوية منذ بدأت إلى اليوم، ماذا أعطتنا وماذا أخذت منا؟ ما فوائدها – إن كان لها فوائــد –التـــي يجب أن نحرص على زيادتها وتكبيرها ومضاعفتها، وما خسائرها التي يجب أن نحدد كيف نتخلص منها ونقضي عليها.. ثم هل يمكن أن توضع هذه العملـــية في مسار جديد، وكيف ومتى، وما الاحتياجات الذاتية العربية لتحقيق ذلك، ومـــا القوى الدولية التي نستطيع كسبها وما القوى الدولية التي يجب أن نسعى إلى تحييدها؟

بجانـــب ذلـــك، يجـــب أن نحدد إطار العمل العربي.. من المؤكد أن التجربة أثبتت أن العرب ليسوا سواء في هذا الإطار، إطار المواجهة مع أمريكا وإسرائيل؛ الـــبعض متشـــكك، والبعض متردد، والبعض خائف، والبعض يناور، أو يداور.. دعونا من هؤلاء، نريد من يخوض هذه المواجهة أياً كانت أعباؤها، ولنبدأ بدولتين أو ثـــلاث.. وليكـــن هـــذا علنـــياً ومعلـــناً، فلـــم يعد يجدي أو يفيد أن نقول: كلنا فلسطينيون، أو كلنا عراقيون.. الكلام الحلو مع الفعل المر يجب أن يفضح وينبذ.

أي منهج الخطوة خطوة، الذي دفعنا ثمنه كبيراً وغالياً منذ اعتمده الرئيس السادات، وتوافــق عليه الجميع، دون أي استثناء، وانخرط فيه الجميع.. بشكل أو آخر، ولم يســتمعوا، بل ضربوا عرض الحائط بنداءات التحذير من قبضة هذا السلوك الذي لن يؤدي إلا إلى تبديد الوقت من ناحية، وتوفيره من ناحية أخرى للعدو ليتمكن من صــهينة الأرض وتهويدهــا. فطالمــا نادى المنادون وحذر المحذرون من ضياع القــدس، ومــن توســع الاســتيطان وزيادة المستوطنين.. ولكن مفاوضينا وكبار دبلوماسيينا مضوا في طريقهم ودون وقفة مراجعة، أو لحظة تأمل.

بجانــب الخطوتيــن السابقتين: التحرك الدولي والوقفة الدبلوماسية، يجب أن يُــرفع ســيف المقاطعة شاملاً وناجزاً ضد العدو.. بما في ذلك الدول العربية التي أبرمــت اتفاقــيات معــه، أي مصر والأردن، لأن مثل هذه الاتفاقيات قد تجاوزها الزمــن، وأخلّ الطرف الثاني بالتزاماته فيها مما يتيح إلغاءها أو تجميد العمل بها، إلــى أن يــتراجع العــدو عن الاستيطان وعن إهدار حق العودة.. وهنا نصل إلى الــنقطة الأهــم، وهــي القــيام بأعمال تثبت وتؤكد حق العودة من جانب وتبطل الاســتيطان من جانب آخر. لماذا لا يعاد التفكير ويتم التنفيذ بجمع مئات أو آلاف مــن لاجئي ١٩٤٨ وأبنائهم لتحملهم سفن تتوجه بهم إلى موانئ فلسطين. لقد جرى تفكــير في إجراء مثل هذا قبل سنوات، ثم توقف لتدخلات مختلفة، يجب ألا تؤخذ الــيوم في الاعتبار. على أن تكون "سفن العودة" جزءاً من برنامج متكامل لمخاطبة الرأي العام العالمي وحشده وراء تأييد حق العودة.. وأعرف أن هناك جهات لديها مشروعات خاصة بذلك.. وهذا أوانها..

ولا حاجة إلى تأكيد أن ضمانات بوش لشارون تفرض وتحتم وحدة فلسطينية شــاملة وفــق برنامج متكامل لتحرير وبناء الدولة، وهذه الوحدة يجب أن تتضمن توحــيد البندقية الفلسطينية ووضع خطة عسكرية لتحرير مستوطنة أو أخرى بقوة الســلاح، وبحيث تتكثف كل العمليات العسكرية في هذه المرحلة ضد المستوطنات والمســتوطنين الذيــن سيفرّ الكثيرون منهم حينما يجدون أن الأرض تشتعل تحت أقدامهم، وأن مستوطناتهم لم تكفل لهم أمناً ولا استقراراً..

والاســتطلاعات الإســرائيلية نفسها تشير إلى أن حوالي نصف المستوطنين لديهــم رغــبة فــي الرحيل.. وهذا الميل سيتزايد حين تصبح المستوطنات ميدان معركة، ولن تحميها ضمانات بوش، ولا فرحة شارون بهذه الضمانات..

١٧-٤-٢٠٠٤

ترخيص بالقتل

(١)

لا يعنينـــي فـــي كثـــير أو قليل توصيف جريمة اغتيال الدكتور عبد العزيز الرنتيسي، سواء وصفها البعض بأنها أبشع أنواع الفجور، أو إرهاب دولة، أو تخط للخطـــوط الحمراء، وغير ذلك من التوصيفات التي توالت منذ سقط الرجل شهيداً، مضـــرجاً بدمـــه الزكـــي فوق ثرى فلسطين الطيب، بل يعنيني متى وكيف يكون القصـــاص مـــن المجـــرم سواء من حرض على القتل، أو خطط له، أو ارتكبه.. وهؤلاء كثيرون.

إن الصـــمت العربي المخجل على ماجرى ويجري في فلسطين والعراق هو الحاضـــنة التـــي ولـــد في حجرها اغتيال الرنتيسي، سواء في ذلك صمت الأنظمة بمؤسســـاتها وجيوشـــها وقواتهـــا ومخازن أسلحتها، أو صمت العجزة من رجال الأحـــزاب والقوى السياسية، أو صمت الكتاب والمفكرين.. دم الرنتيسي، ومن قبل أحمـــد ياسين وعشرات ومئات من الشهداء، في رقابنا جميعاً، ولا يستطيع أحد أن يتنصـــل أو يـــتهرب مـــن نصيبه من المسؤولية. لو أن شارون وموفاز وجيشهما وشعبهما عرفوا أن العرب لن يكتفوا بمظاهرات وهتافات تردد"بالروح والدم نفديك يا رنتيسي"، حيث لا ينفع فداء ولا تضحية، بل سيبادرون إلى القصاص، ويعملون شـــريعة الحـــق والعـــدل: "العيـــن بالعيـــن والسن بالسن" لما أقدموا على ارتكاب جريمتهم، ولما هددوا، بل واستعدوا لتنفيذ المزيد والمزيد من عمليات الاغتيال...

لو أن أحداً تحرك بسرعة وفاعلية للثأر للشيخ أحمد ياسين لما أقدمت إسرائيل علـــى جريمتها الجديدة. ومما يؤسف له أن قوى متعددة –ولا أقول عديدة –تدخلت وحـــذرت أو ثبطت همم من كانوا يستعدون للقصاص. بل إن بعض هذه القوى بدا وكأنه يتشفى من"حماس" لعجزها عن تنفيذ تهديدها بالثأر!!

المســـؤولية الأولـــى مسؤوليتنا نحن العرب، أما المسؤولية الثانية فهي ملقاة علـــى"حمـــاس" وقـــياداتها ومقاتليها، لأن هؤلاء فيما يبدو أصبحوا يغلبون"المباهاة الثورية" – إن جاز هذا التعبير – على إجراءات التنظيم والسرية، وأساليب التخفي والحماية، خاصة وأن الشهيد الرنتيسي كان هدفاً لمحاولة اغتيال، ونجا منها، وبعد استشـــهاد الشـــيخ ياسين لم يخف العدو أن الهدف الثاني هو الرنتيسي نفسه. ولعل ضـــعف أساليب التنظيم لدى"حماس" في حماية قادتها قد عبر عنه خالد مشعل حين

دعـا إلى انتخاب زعيم يحل مكان الرنتيسي دون إعلان اسمه، فلماذا لم يحدث هذا مـن قـبل؟ إن المـباهاة الثورية أكبر آفة وعلة تصيب أي تنظيم مقاتل.. لا أريد الخـوض فـي تجربة الجزائر وجبهة التحرير، فقد أصبح هذا تاريخاً، ولكن ننظر حولنا إلى تجربة"فتح" حين كانت أجهزة الاستخبارات في العالم تدوخ سبع دوخات كـي تعـرف من هو"أبوفلان" وما حقيقة اسمه.. ثم جاء حين من الدهر غلبت فيه العلانـية علـى السرية، وتراجعت كل أساليب الأمان والتأمين في العمل السري، وتحـول الـبعض إلـى"نجوم" تزين صورهم أغلفة المجلات، مما فتح الباب سهلاً لاغتيالهم.

وبعد هذا يأتي دور القاتل الحقيقي.. ودور المحرض على القتل، ومن أعطى السلاح الذي انطلقت رصاصاته لتغتال زعيم حماس في غزة.

١٨-٤-٢٠٠٤

(٢)

شـر البلـية مـا يضحك. وقد أضحكني - وأنا في حالة بكاء وحزن - أن سـارعت مستشارة الأمن القومي الأمريكي الدكتورة "كونداليزا رايس" إلى نفي أن يكون البيت الأبيض على "علم مسبق" بجريمة اغتيال الدكتور عبدالعزيز الرنتيسي قائد حركة المقاومة الإسلامية "حماس" في قطاع غزة.

واللافت للنظر والانتباه أن كثيراً من وسائل الإعلام سارعت، بمجرد ارتكاب الجريمة، إلى التساؤل عما إذا كان البيت الأبيض على علم مسبق أو أعطى الضوء الأخضـر؟ تساؤل فيه قدر من السذاجة، لأن الجواب معروف، وهو جواب يتنافى مـع الملابسـات التـي أدت إلى طرح التساؤل!! فقد وقعت الجريمة غداة عودة شـارون من واشنطن، وحصوله من البيت الأبيض على أكبر جائزة منحها رئيس أمريكي لمسؤول إسرائيلي منذ ١٩٤٨.

وهـذه قرينة مثيرة للشكوك والريبة. ولكن الأمر ليس أمر شك أو ريبة، بل إنـه أمـر يقيـن بصدور ضوء أخضر أمريكاني لحكومة شارون للاستمرار في سياسـتها لاستئصال وقطع رقاب قادة المقاومة الفلسطينية. وهذا اليقين إن لم تكن هـناك وثيقة ممهورة بختم البيت الأبيض وبتوقيع سيده، فإن هناك مؤشرات أخرى تثبـت ذلـك، وتؤيـده، وتقطع بأن شارون تلقى من بوش ترخيصاً بالقتل. الدليل

الأكبر هو ما أوردته صحيفة "يديعوت أحرونوت" في يوم الجمعة الماضي، حيث ذكرت أن الرئيس الأمريكي قال لرئيس الوزراء الإسرائيلي؛ أي أن بوش قال لشارون "إذا أطلقوا النار عليكم من غزة بعد إخلاء القطاع، فإني أعطيكم يداً حرة لعمل ما تشاؤون". وقالت الصحيفة الإسرائيلية إن بوش كرر قوله :"من جهتي افعلوا ما تشاؤون".

صحيح أن "يديعوت أحرونوت" ذكرت أن هذا الكلام جاء في سياق طرح احتمال إطلاق صواريخ القسام من قطاع غزة بعد إخلائه، ولكن تكرار عبارة "من جهتي افعلوا ما تشاؤون" واضحة الدلالة، خاصة أنها أضافت أن بوش قال إنه "ليس في نيته التنازل في موضوع الإرهاب أو التعاون مع السلطة الفلسطينية قبل أن تنفذ الإصلاحات"، بينما قال شارون لبوش ـ طبقاً لرواية الصحيفة الإسرائيلية ـ "إن حزب الله يساعد منظمات الإرهاب الفلسطينية بالمال وأساليب العمل، وهم عملياً مبعوثون لحزب الله".

من أمثالنا أن "المكتوب يقرأ من عنوانه"، والعنوان واضح، خاصة إذا رأينا أن ما ذكرته "يديعوت أحرونوت" هو بعض ما جرى بين بوش وشارون.. وليس كل ما جرى، وهذا "البعض" هو الرسالة التي كان ينتظرها شارون ليواصل اغتيالاته، وهو مطمئن إلى أن حليفه الأكبر سيعتبر ذلك من قبيل الدفاع عن النفس!

٢٠٠٤-٤-١٩

إنجازات شارون السبعة

نرتكب نحن العرب -حكاماً ومحكومين، أفراداً وجماعات- خطيئة سندفع ثمنها غالياً ولآماد طويلة، إذا لم ننظر إلى الضمانات التي حصل عليها آرييل شارون رئيس الوزراء الإسرائيلي من الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن بما توجبه من اهتمام، وإذا لم نحاول التصدي لها بما تستحقه من أعمال وأفعال. من الصحيح تماماً أن شارون عاد من واشنطن"مكللاً بهالات النصر"(معاريف،١٩/٤/٢٠٠٤) وما حصل عليه رحب به الإسرائيليون من كافة الاتجاهات، لدرجة أن"عيزرا وايزمان" رئيس الدولة الصهيونية الأسبق، ووزير الحرب الذي طالما تغنى السادات بحبه للسلام!، اتصل من فراش المرض، وهنأه قائلاً:"لقد قمت بعمل تاريخي"(يديعوت أحرونوت١٩/٤/٢٠٠٤).

والضمانات التي قدّمها أو تبرّع بها بوش تعني في جانب منها أن أمريكا غسلت يديها، أو نفضت يديها، من أصدقائها العرب، ورأت أنها لم تعد في حاجة إلى أحد منهم، فهم -في نظرها - فاسدون غير قابلين للإصلاح، وضعفاء لا يحسب لهم حساب، ولا يعتد بمواقفهم وآرائهم وردود أفعالهم، التي لن تحرك شعرة من رأس ربّ البيت الأبيض.

لقد نابذت أمريكا العرب -كل العرب - العداء. إنها أكثر استهانة بهم من بريطانيا في موقفها من الشريف "حسين بن علي" شريف مكة، الذي كانت تراسله، بينما كانت تمنح الصهاينة"وعد بلفور" ولكنها أخفت هذا عنه. صحيح أنها خدعته، ولكنها وضعته في اعتبارها، فأخفت الجريمة عنه.

بوش لم يفعل هذا، بل خرج على الملأ يعلن ٤ لاءات دفعة واحدة، وفي بيان واحد، وليذهب العرب جميعاً إلى الجحيم."برأي الولايات المتحدة ستبقى الكتل الاستيطانية في يد إسرائيل في جميع الأحوال، وستكون خارج نطاق المفاوضات المستقبلية مع الفلسطينيين"، هذا ما أعلنه شارون في الاستعراض السياسي الذي قدمه في جلسة حكومته يوم الأحد ١٨أبريل الحالي. وأقوال شارون هذه تفسير شرعي لأقوال الرئيس الأمريكي بأنه:" في التسوية الدائمة بين إسرائيل والفلسطينيين ستتقرر الحدود بمراعاة الواقع الناشئ على الأرض ووجود المراكز السكانية الإسرائيلية في المناطق".

ونقلت صحيفة"يديعوت أحرونوت" أمس الأول (الاثنين ١٩أبريل) عن شارون أنـــه فصّـــل في هذه الجلسة الإنجازات، التي حققها، في زيارته لواشنطن، والتي وصفها بأنها "إحدى أهم الزيارات لأمن إسرائيل ومستقبلها"، أما إنجازاته فهي:

١-الحفـــاظ علـــى مـــبدأ خـــريطة الطريق: لن تجرى مفاوضات تحت النار، والولايات المتحدة لن تتبنى أي خطة سياسية أخرى.

٢-طالمـــا لا يوجـــد وقـــف للإرهـــاب وحـــل لمـــنظمات الإرهاب، وتحقيق الإصلاحات الشاملة، لن تجرى أية مفاوضات سياسية.

٣- اعـــتراف أمريكـــي بحاجـــة إسرائيل إلى حدود قابلة للدفاع، فقد اعترفت الولايـــات المـــتحدة بحق إسرائيل في الدفاع عن نفسها في كل مكان، بما في ذلك في"الأراضي" التي أخلتها أو ستخليها.

٤- لن تكون هناك أي عودة للاجئين إلى إسرائيل.

٥- لن تكون هناك عودة إلى حدود١٩٦٧، سواء لأن الكتل الاستيطانية ستبقى في يد إسرائيل أو بسبب حق إسرائيل في حدود قابلة للدفاع.

٦- لن تبقى الكتل الاستيطانية فقط في يد إسرائيل، بل سيكون بوسعها أن تبني فيها بحجم يتقرر على نحو مشترك مع الولايات المتحدة الأمريكية.

٧- بالنســـبة للجدار أوضح شارون أنه سيبنى وفقاً للمسار الكامل الذي قررته الحكومـــة"الإســـرائيلية" والذي يتضمن إقامة بناء متواصل حول الكتل الاستيطانية، وستعمل الحكومة على أن يستكمل الجدار قبل بدء إخلاء المستوطنات"في غزة".

٢٠-٤-٢٠٠٤

أخطر من بلفور

فهـم آريـيل شـارون ضـمانات الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش فهماً صحيحاً، وقال إنها "إنجازات". لا يكفي أن نرى أن شارون "اعتبر أنه حصل على الضـوء الأخضر ليفعل ما يحلو له". لقد حصل بالفعل على الضوء الأخضر، وإلا مـا معـنى أنه حين كرر "الاسطوانة المشروخة" بادعاء أن "إسرائيل دولة صغيرة محاطـة بالأعداء"، رد عليه بوش مؤكداً:"إن إسرائيل دولة فريدة، وعلى العالم أن يفهم أن الهجوم على إسرائيل هو هجوم على أمريكا". (يديعوت أحرونوت، ١٦ – ٤ – ٢٠٠٤) هل هناك ضوء أخضر أكثر من هذا؟ أعمى البصر والبصيرة من لا يـرى ذلك، ولا يحسبه بدقة. وقد حسبها الإسرائيليون بدقة، وكتب "إيهود أولمرت" نائب شارون في رئاسة الحكومة الإسرائيلية ما يلي:

"الرئـيس بـوش حسم أمره، ولا يجب الاستخفاف بقراره. سيقول البعض إن دوافعـه انتخابـية، وهـذا ادعاء سطحي. بوش في ضائقة شديدة، بسبب الورطة العراقـية. الضـائقة العراقـية تكلفه ثمناً باهظاً جداً، وربما حاسماً في تأثيره على الناخـب الأمريكي، وهو بحاجة هنا إلى الدعم الأوروبي والعربي. هؤلاء لم يقللوا ضغوطهم عليه، كي يمنعوا أي تنازل لفظي وعملي في رسالته إلى شارون. ولكن بـوش حسـم أمره في نهاية المطاف من منطلق قيمي يتلاءم مع رؤيته الأساسية. وعلـى هـذا يجب أن نعبر له عن الاحترام اللائق. رسالة بوش تجاوزت كل من سـبقه مـن الرؤساء الأمريكيين، وطرحت مواقف قريبة جداً من برنامج الحكومة "الإسرائيلية" الأساسي" (يديعوت، ١٦ أبريل أيضاً) ..

ومـع ذلك، فإن الصهاينة لا يكتفون، إنهم نهمون، يطلبون ويريدون المزيد، ولذلـك، خرج من بينهم من يحاول أن يستهين بما حصل عليه شارون، ويقلل من قـيمة مـا أعطـاه بوش ويعتبره:"إضافة صغيرة فقط للمواقف الأمريكية التقليدية" (سيفر بلوتسكر، يديعوت – ١٥ أبريل). ورفضت وجهة النظر هذه تشبيه ضمانات بوش بوعد بلفور، فقد حصلت الحركة الصهيونية على ذلك الوعد في وقت لم يكن اليهود يملكون دولة بل يعيشون في المنافي. وليس الأمر كذلك اليوم، حيث يملكون دولـة ودولـة قوية. ورأت وجهة النظر هذه أن بوش ليست تحت يده اليوم أرض

تخضـــع للانـــتداب، كمـــا كانت فلسطين في يدي بريطانيا بعد صدور وعد بلفور، ولذلك فإن كل ما يملكه بوش هو مجرد اقتراحات وأماني!!

وهـــذا قلـــب للحقائق. إن ضمانات بوش لشارون اليوم أخطر من وعد بلفور أمـــس للحـــركة الصـــهيونية، فالوعد الذي صدر في ١٩١٧ استغرق تنفيذه حوالي ثلاثـــة عقـــود، أما وعد بوش فإنه يشمل مستوطنات قائمة بالفعل، وحدوداً أخرجها من إطار التسوية، وحقاً رفض أن يحصل أصحابه عليه، بعد ٥٠ سنة من ضياعه مـــنهم. ومـــع ذلـــك لم يستنكف بعض العرب - بعد هذا كله - أن يقولوا إن دور أمريكا في التسوية لا بديل له!..

إن هـــذا تفـــريط لا يجـــوز، وإغفـــال لتطور لا يجوز التهوين من خطورته حاضراً.. الآن، الآن، ومستقبلاً...

٢١-٤-٢٠٠٤

رغبة.. وضربة!

التهويـن، بأية درجة من الدرجات، من خطورة ضمانات الرئيس الأمريكي لرئـيس الـوزراء الإسـرائيلي خطيئة لا يجوز ارتكابها أو الوقوع فيها. يكفي ما ارتكبنا من خطايا، وما وقعنا فيه من أخطاء.. ولكن يبدو أن البعض لا تزال تزين أو تسـول له نفسـه طريق الاستمرار في الغفلة إذ لا تزال تتردد نفس الاتجاهات والآراء التـي تحذر من "أن نسمح لأي من خطواتنا وإجراءاتنا بأن تصل بنا إلى مـرحلة الصدام المباشر مع أمريكا، فذلك هو المحظور الذي ينبغي أن نتفاداه ليس فقـط لأن هـذا مـا تسعى إليه إسرائيل منذ سنوات وتتمناه، ولكن لأن بإمكاننا أن نشعر أمريكا، وبغير صدام، أن مصالحها عندنا تفرض عليها أن تكون أقل انحيازاً لإسرائيل!" (مرسي عطا الله -الأهرام - الخميس ٢٢ أبريل) .

هـذا مـنطق تجاوزه الزمن، نحن لم نسع يوماً، وفي أية مرحلة، منذ نهاية الحـرب العالمـية الثانـية إلـى الصدام مع أمريكا. بل هي التي فرضته، نتيجة لاختلافات مصالح وسياسات ورؤى، حتى قيل يوماً إن الصدام بيننا، نحن العرب، وبيـن أمـريكا صدام أقدار، ولست أدري كيف يسمح عربي لنفسه أن يرى اليوم كـيف تتبـنى الإدارة الأمريكي البرنامج الصهيوني كاملاً، ثم يتحدث وكأننا نحن الذيـن سـعينا أو نسـعى إلى الصدام معها. لقد كنا أحرص شعوب الأرض على استرضاء أمريكا، والتقارب معها ومنها، ولا نزال حريصين على المودة والقربى مع الشعب الأمريكي. ولكن السياسة ليست حباً من طرف واحد.

ومـن الـبلاهة أن تخرج علينا إحدى الصحف التي تصدر بالعربية في اليوم التـالـي لحصول شارون على الضمانات الأمريكية بموضوع عنوانه :" بوش (يلطّف) تصريحاته: قضايا الوضع النهائي متروكة للفلسطينيين والإسرائيليين". هل يعنـي هذا أن كلمات في مؤتمر صحفي تلغي ضمانات مكتوبة ومحددة، أم أن هذا ضـرب من "الضحك على الذقون"؟ ولم لا إذا كان الإعلام الرسمي العربي سيظل حريصـاً علـى التهوين من خطورة ما حدث؟!. مع أن صحفاً أمريكية ذات وزن رأت الضـمانات على حقيقتها وكما يجب أن ترى. وقد نقلت مجلة "روزاليوسف" في عدد ١٧ أبريل عن صحيفة "نيويورك تايمز" الأمريكية اتهاماً للرئيس الأمريكي بتوجـيه ضربة مكلفة لمصداقية الولايات المتحدة كوسيط شريف في عملية السلام

فـــي الشرق الأوسط. وقالت الصحيفة الأمريكية الكبيرة إن رغبة بوش في مكافأة شارون ستؤدي إلى إفشال أي دور يمكن أن تلعبه الولايات المتحدة لتصبح وسيطاً في اتفاق فلسطيني – إسرائيلي، وأدت إلى غضب شديد لدى الدول العربية المعتدلة والحلفاء الأوروبيين بسبب خضوع جورج بوش لطلبات شارون.

نحـــن إزاء موقف حاسم، لا يجوز معه وإزاءه إلا الحسم في الرؤية والرأي، فـــي التحلـــيل والتقويم، في الفكر والعمل، في القرار والإجراء. لم يعد مقبولاً من أحـــد، حاكماً أو محكوماً، أن يضع الرأس في الرمال، أو أن نندب الحظ ونقول:"لا خـــيار." ذلـــك أن الخيارات عديدة، والبدائل كثيرة، والوصول إلى الخيار الصحيح يتطلـــب الارتفـــاع إلـــى مستوى خطورة ما فرض علينا، وليس من المصلحة أن تتهرب أمة أو يتهرب شعب مما يفرض عليه.

٢٠٠٤-٤-٢٢

فـواصـل

الضمانات التي منحها الرئيس الأمريكي لرئيس الوزراء الصهيوني، في لقائهما الأخير أو"وعد بوش" أخطر من"وعد بلفور" في١٩١٧."وعد بلفور" احتاج إلى ثلاثين عاماً كي يصبح إجراءً مشروعاً منفذاً على الأرض. وعد بوش قاطع وبات، يضمن ما هو قائم وموجود. وعد بلفور صدر بينما كانت الحركة الصهيونية منظمة تضم جماعات مشتتة في أصقاع الأرض. ووعد بوش جاء في وقت يوجد فيه كيان صهيوني قائم وموجود، وقوي، وعدواني ويعتبر أكبر قوة إقليمية في المنطقة. وعد بفلور أصدرته دولة قوية، ومنتصرة، ولكنها في سنوات الحرب العالمية الأولى كانت تعاني صعوبات ومشاكل عديدة وبعد الحرب واجهت ثورات عديدة، امتدت من مصر إلى الهند، عبر فلسطين والعراق وغيرهما. أما بوش فقد أعطى ضماناته وهو في قمة عدوانتيه، ودولته في قمة غطرستها.

إذن بوش أخطر من بلفور وأسوأ. ومن أسف أن رد الفعل العربي الرسمي والشعبي على هذا الوعد لا يزال ضعيفاً واهناً لا يرقى إلى مستوى الفعل وخطورته. بعض ردود الأفعال التي صدرت من الدول العربية مخزية، لدرجة أن رد فعل الرئيس الفرنسي"شيراك" كان أقوى من ردود أفعال كثير من السادة"القادة" العرب الذين يبدو أنهم لم يعودوا قادرين على أن يخفوا خيبتهم وفشلهم الكبير في الرهان على"الصديقة" أمريكا، فإذا أمريكا تركلهم جميعاً وتقول، إنهم لم يعودوا قادرين على فعل شيء..

هذا نتاج طبيعي وحقيقي لما فعلوه بأنفسهم طوال عقود من التسوية، أكدت وتؤكد أن"وعد بوش" هو الحصاد المر للساداتية، من حيث كونها ليست سلوك فرد، أو سياسة رئيس، بل منهجاً سارياً ولا يزال عليه جميع أهل الحكم العرب منذ أن قال الرئيس السادات كلمته الخطأ:" ٩٩% من أوراق اللعبة في يدي أمريكا". (الرئيس مبارك قال أخيراً وبعد ضمانات بوش: لا خيار!!) وسبق هذا قوله في ١٦أكتوبر١٩٧٣ والحرب المجيدة في ذروتها:"مقدرش أحارب أمريكا"، مع ما يحمله مثل هذا القول من تثبيط لهمم المقاتلين الشجعان الذين ضربوا أمثلة خارقة في العمل والإنجاز.. ثم كانت الزيارة المشؤومة. وتواصلت التنازلات السياسية"الساداتية"، سواء في حياته أو بعد موته - يكفي لمن لا يعرف ألف باء الدبلوماسية والتفاوض أن يقرأ الوثيقة التي كتبها الوطني الجسور محمد إبراهيم

كـامل عـن"السلام الضائع في كامب ديفيد" فلم يكن حبر هذا الاتفاق قد جف حين أعلـن مناحـيم بيجيـن رئيس وزراء الكيان الصهيوني عندئذ أنه لم يلتزم بتجميد المسـتوطنات إلا لـثلاثة شهور فقط. وبعدها، توسع الاستيطان كما لم يتوسع من قـبل. وبعدها دار الجميع في إطار السادات ولم يشذ بلد عربي واحد عن منهجه، ولـم يخرج رئيس واحد عن أسلوبه، وكان أكبر الخطاة هنا الرئيس ياسر عرفات الذي بدأ يغازل أمريكا منذ ١٩٧٠، وليته استجاب لما طلبته عندئذ، لأنه كان أفضل ألـف مـرة ممـا وصلت إليه الأمور اليوم، نتاجاً لسنوات التسوية المشؤومة من ١٩٧٤ إلى ٢٠٠٤.

مـا العمل؟. لا رد إلا بالخروج من تحت عباءة الساداتية، والنقطة الأولى في ذلـك هـي أن أمـريكا لا تصلح -ولم تكن تصلح- وسيطاً للتسوية مع الصهاينة، والنقطة الثانية هي تشديد المقاومة والمقاطعة على جميع المستويات، والنقطة الثالثة العمـل بكل الوسائل لدحر الاحتلال من العراق.. وهذا برنامج تعجز عن الوفاء به حكومـة ساداتية، بل يحتاج إلى حلف وطني، أي جبهة تضم كافة القوى الوطنية. وهذا ما لا بد أن يكون.. على أن يبلع كل أصحاب التحليلات والتخريجات المثبطة والمستسلمة حجراً، وحجراً كبيراً، وأن يتقوا الله في وطنهم.. فنحن لم نبادر أمريكا بصدام، بل هي التي فرضت علينا ذلك. وقد كتبت علينا المواجهة.

٢٣-٤-٢٠٠٤

أنباء.. وكتابات!

كأن شيئاً لم يكن، كأننا لم نسمع، ولم نر، ولم نقرأ، ولم نعلم، ولم نعرف، ولم نشهد، ولم ندرك، ولم نفهم، ولم نستوعب شيئاً مما جرى!. كأن بوش لم يقابل شارون. كأنه لم يمنحه ضمانات غريبة وخطيرة، كأنه لم يتحدَّ حقوقاً ثابتة وأصيلة، كأنه لم يعتدِ على حقوق لا يجوز لأحد أن يتنازل عنها..

كأن شيئاً لم يكن. مع أن ما كان خطير، وما هو كائن خطير.. وفي الأفق ما هو أخطر.. إذا ظلت السلبية العربية على حالها، كل رئيس ينادي الآخر، وكأنه لا مسؤولية عليه. وكل دولة تنادي الأخرى وكأن الخطر بعيد عنها..

والأدهى من ذلك أن يستمر الحديث عن السلام، ومساعيه، ومفاوضاته، ودور الولايات المتحدة.. ورئيسها!

كأن شيئاً لم يكن، وإلا فما معنى هذا النبأ الذي بثته الإذاعة الأمريكية "سوا" من أن كولين باول وزير خارجية الولايات المتحدة "وجّه الدعوة إلى نبيل شعث وزير الخارجية الفلسطينية (!!) لزيارة الولايات المتحدة لبحث الانسحاب الإسرائيلي من غزة".

وأضافت "سوا" - حسب رواية "الأهرام" أمس، السبت ٢٤ أبريل ٢٠٠٤ - "أن حكومة واشنطن ستواصل اتصالاتها مع المسؤولين الفلسطينيين للتأكد من إمكان الاستفادة من الانسحاب من غزة، وبعض مناطق الضفة الغربية".

وقالت "سوا" وكل هذا على لسان المتحدث باسم الخارجية الأمريكية، إن على الفلسطينيين "انتهاز هذه الفرصة لبسط سيطرتهم من خلال بناء مؤسسات حكومية ومحاربة للإرهاب".

ويوم أمس أيضاً، خرج دبلوماسي أو سفير عربي ليدعو الفلسطينيين إلى الاستفادة من الجوانب الإيجابية في خطة الانسحاب الإسرائيلي من غزة!!

أي سيستمر كل شيء على حاله، وكأن شيئاً لم يكن، ستستمر الاتصالات والمقابلات والمفاوضات وتدور عملية التسوية، من أجل ماذا ولماذا وكيف تتحقق التسوية؟. أسئلة لا يجوز طرحها ما دام السفير الأمريكي في القاهرة "ديفيد وولش" يطمئننا بأن "الأمور لم تتعقد بسبب تصريحات بوش". لماذا يا سعادة السفير؟، يقول:"الوضع كان معقداً قبل ذلك بالفعل!!". إلى جانب هذا، وفي "الأهرام" أمس أيضاً يكتب "محمد أمين المصري" من الأراضي الفلسطينية ليحاول إقناعنا بأن

بـــوش أراد –فـــي لقائه مع شارون – أن يمسك العصا من الوسط. كيف؟. يقول الكاتـــب نفسه:"الحقيقة تقول إنه بالغ من تأييده لإسرائيل ومنحها حقوقاً ليست ملكه، ولكـــنه أردف كلامـــاً أشـــار فيه إلى ضرورة التوصل لاتفاق حول نقاط الخلاف بموافقـــة الطرفيـــن، وهو ما رفض الجانبان تفسيره، فالجملة الأخيرة تلغي مباشرة وعـــوده للإسرائيليين، وتمنح بنفس المباشرة وعوداً بالأمل للفلسطينيين بأن الواقع يحـــدده الطرفان وليس الولايات المتحدة". ثم يقدم "محمد أمين المصري" اكتشافاً لم يســـبقه إلـــيه أحد:" لعلنا لا نجافي الحقيقة إذا قلنا إن الواقع الديمغرافي سيكون في صـــالح الفلســـطينيين على المدى الطويل، وهو نفس المبدأ الذي عوّل عليه بوش عـــندما أعلـــن تأيـــيده للمستوطنات ولعدم عودة اللاجئين أو عودة إسرائيل لحدود ١٩٦٧ أو لخطوط الهدنة عام ١٩٤٩".

هـــل رأيـــتم؟. إن ضـــمانات بـــوش لشارون في صالح الفلسطينيين وليست ضـــدهم!!.. وهي على أية حال لا تستحق الضجة المثارة عليها، وعلينا أن نقبلها ونمررها، إذ يضيف صاحب هذا الكلام قائلاً:

"إجمـــالاً.. فإنـــه لا يجـــب الـــتعويل كثـــيراً على تعهدات بوش في "موقعة واشـــنطن"، لأن الرئـــيس الأمريكي كان من الجرأة بحيث إنه تحدث صراحة ولم يخف.

٢٠٠٤-٤-٢٣

شوكة في عيونهم.. وخنجر في ظهرهم

هذا مؤتمر مهم. إنه الأول من نوعه -علناً - في أرضنا العربية. أهميته في توقيته، وفي موضوعاته، أو قضاياه، والمشاركين فيه، وفي اتجاهاته وأهدافه. المؤتمر عن فلسطينيي١٩٤٨، الذي جاء حين من الدهر تعرضوا فيه لـ"ظلم كثير" وتجاهل متعمد من إخوانهم العرب. وبعد عدوان ١٩٦٧ بشكل خاص بدأت الأحوال تتغير شيئاً فشيئاً: تواصل بين سكان الضفة وغزة والقدس وإخوانهم في الجليل، وحيفا ويافا والناصرة وعشرات المدن والقرى التي كادت تسقط من الذاكرة العربية التي بدأت تحفظ أسماء قيادات وشخصيات وأحزاب وجماعات لعبت دوراً مجيداً في الحفاظ على الهوية العربية لفلسطينيي١٩٤٨.

المؤتمر الذي أعنيه أو الندوة عن"استراتيجية التواصل مع فلسطينيي١٩٤٨" وقد عقدت الندوة في مقر جامعة الدول العربية بالقاهرة، وبالتنسيق بين الأمانة العامة وأحد مراكز البحوث السياسية، في مصر، وشاركت فيها شخصيات وقيادات مهمة من داخل فلسطين١٩٤٨.

والندوة تتحدث عن"استراتيجية" وعن"تواصل" نرجو أن يكتملا ويتكاملا حتى تزداد مشاركة وفاعلية دور فلسطينيي ١٩٤٨ مع الأدوار الفلسطينية والعربية الأخرى، في وقت تدخل فيه قضية فلسطين -الأرض والشعب والحق - إحدى مراحلها الخطيرة، نتيجة لتوثيق الروابط بين الكيان الصهيوني وحاضنه الأول والأكبر الولايات المتحدة الأمريكية، مما أدى إلى صدور الضمانات التي تهدد حق العودة، وتخل بحق تحرير الأرض المحتلة منذ١٩٦٧.

أهمية استراتيجية التواصل مع فلسطينيي١٩٤٨ ترجع في المقام الأول إلى أنهم يمثلون بحق شوكة في عيون العدو وخنجراً في ظهره، لا يكف عن السعي إلى التخلص منهم.. ولو ظلت الأمور على ما هي عليه، وبقي شارون في الحكم لسنوات أخرى، وفي ظل ضمانات بوش، فلن يتردد الإسرائيليون في القيام بعمليات ترحيل وتهجير حتى تظل"إسرائيل دولة يهودية"، حسبما تعهد بوش في شرم الشيخ في العام الماضي!.

لذلك، تتزايد في الظروف الراهنة أهمية الاتصال والتواصل الفعال والصحيح والمخطط مع فلسطينيي ١٩٤٨، حتى لا تتخذ بعض القوى هذا الاتصال مدخلاً لتربية"طابور خامس"، بل يجب أن يكون الهدف الأول والأساسي من ذلك هو

تمسك كل مواطن فلسطيني في أرض١٩٤٨ بالبقاء عليها وعدم الخروج منها، مهما كانت الضغوط والمغريات. ولا أعتقد أن ظروف فلسطينيي ١٩٤٨ اليوم أسوأ مما كانت عليه في الفترة من ١٩٤٨ إلى ١٩٦٦، حيث فرضت عليهم العزلة، وتعرضوا لضروب عديدة من الاضطهاد والتمييز. أكتب هذا وفي ذهني الضمانات الخطيرة التي منحها بوش لشارون، وفي ذهني ما قرأته منذ أيام عن نتائج استطلاع للرأي في أوساط الشبيبة الفلسطينية في أرض١٩٤٨، ذكرت أن ٢٥% منهم يفكرون في الخروج من أرضهم وبلدهم. صحيح أنهم يواجهون ظروفاً صعبة وتمييزاً بغيضاً، ولكن الرد يجب أن يكون التمسك بالبقاء في الوطن.. أمس علمت ضربة الجلاد الفلسطيني أن يمشي ويمشي ويقاوم، واليوم يجب أن يقاوم أكثر وأكثر، على أن يجد معه وبجانبه سنداً عربياً قوياً.. .. ومقاوماً أيضاً.

٢٦-٤-٢٠٠٤

"هربرت صمويل" الجديد

ذكـــر إبراهـــيم نافع رئيس تحرير"الأهرام" أن هناك تحركات أمريكية لإعداد مشـــروع قرار جديد يقدم إلى مجلس الأمن، ويتضمن"الرؤية الجديدة" أي ضمانات بـــوش لشـــارون، لتصدر في قرار جديد يلغي ما سبق من قرارات دولية، ويضع الـــتزامات جديـــدة على عاتق السلطة الفلسطينية. ولعل الصورة تكتمل معالمها - بعضها أو أكثرها - حين نربط ذلك بنبأ عن الاستعداد لتعيين"دينيس روس" مبعوثاً للأمم المتحدة في عملية التسوية، بدلاً من"تيري لارسون" الذي كان قد لعب من قبل دوراً كبيراً في المحادثات التي أدت إلى"طبخة أوسلو" الفلسطينية - الإسرائيلية في ١٩٩٣.

وإذا ســـارت الأمـــور علـــى هـــذا النحو، فإن تسلم"روس" حقيبة هذه المهمة الدولـــية، قد يعيد إلى الذاكرة دور"هربرت صمويل" أول مندوب سامٍ بريطاني في فلســطين في ظل الانتداب، والرجل الذي وضع الأساس العملي عبر سنوات عمله فـــي هذا المنصب، فيما بين ١٩٢٠ و١٩٢٥، لقيام الكيان الصهيوني، اعتماداً على صـــك الانـــتداب الذي وافقت عليه عصبة الأمم في ٢٤يوليو١٩٢٢، والذي استند بـــدوره إلى وعد بلفور، ومع أن هذا الصك وثيقة دولية صادرة عن منظمة دولية إلا أنـــه في حقيقته وثيقة صهيونية اشترك الصهاينة في وضعها، واقتبسوا أحكامها ومـــبادئها وعباراتها من المذكرات التي قدمها الوفد الصهيوني إلى مؤتمر الصلح في باريس في فبراير١٩١٩.

ودور"هربـــرت صـــمويل" معروف عربياً وصهيونياً ودولياً.. وقد نظر إليه عرب فلسطين على أنه صهيوني"واتجهوا إلى عدم الوثوق بنياته" كما يقول مؤرخ فلسطيني كبير.

أما"دينيس روس" فحدث عنه ولا حرج، إنه أحد الدبلوماسيين الصهاينة الذين لعـــبوا دوراً لـــيس قليل الشأن في عملية التسوية، من موقع التعاطف مع إسرائيل، حسب التعبير الذي استخدمه أحمد ماهر السيد وزير الخارجية المصري، في مقال كتـــبه فـــي صـــحيفة"الأهرام" في١٦ديسمبر عام٢٠٠٠، وذكر فيه أن نقطة البدء عند"روس" هذا هي "ما هو الأفضل لإسرائيل".

وخاطب ماهر في مقاله الذي كتبه في شكل رسالة، دينيس روس بقوله:"حين كنـــت تســـعى بجديـــة إلى السلام، كنت تنطلق من إدراكك أن السلام في مصلحة

إسرائيل، لأنها لا تستطيع أن تعيش في مرحلة استنفار دائم، ولا تستطيع الاعتماد على أنها ستبقى الأقوى دائماً، ولكنها تتطلع إلى سلام يحقق لها مكاسب اقتصادية وسياسية تحصل عليه بأبخس الأثمان، ولذلك فقد سعيت إلى ذلك السلام كما تراه إسرائيل، فلا تخطو بعدُ خطوات قد تكون طيبة إلا في حدود ما يرى رئيس وزراء إسرائيل، أياً كان اسمه، قبوله. وبعد ذلك، ففي رأيك أن الفلسطينيين عليهم أن يقبلوا ما يعطى لهم شاكرين لأنه على أي حال -في تقديرك أيضاً - أفضل مما هم فيه، وأنه ممنوع عليهم أن يتطلعوا إلى أكثر منه".

ومضى ماهر في رسالته مخاطباً"روس" بقوله:"وفي إطار هذا الفكر الأمريكي الملوث بالفكر الإسرائيلي الذي يتحرك بين قطبين كلاهما متطرف، تلاشت في جهودك الشرعية والعدالة والقرارات الدولية، وزادت الشكوك لدى كل من يتطلعون إلى السلام الحقيقي المستند إلى العدل والحق وطغى إحساس لدى الكثيرين بأن الهدف الأساسي ليس سلاماً عربياً -إسرائيلياً، بل سلام إسرائيلي قائم على السيطرة والإملاء".

هذه تجربة دبلوماسي عربي مع"دينيس روس"، حين كان يعمل منسقاً أمريكياً للسلام في المنطقة، فماذا ستكون عليه الحال لو أنه تولى وظيفة المنسق الدولي، خاصة بعد الضمانات التي منحها بوش لشارون؟ أليس من حقنا أن نعترض، وأن نقاوم وصول هذا الرجل إلى هذا المنصب؟ فإن وصل فلا أقل من مقاطعته. إلا إذا قبلنا أن نفاوض موظفاً دولياً جاء أساساً ليخدم مصلحة إسرائيل ويحقق أهداف الصهيونية، كما فعل"هربرت صمويل" من قبل.

٢٠٠٤-٤-٢٧

أسرار الماضي وشائعات الحاضر!

"لانغالـــي إذا وصفناه بأنه اليهودي السري الذي عمل دون كلل لصالح قضايا الـــيهود. ونظراً للمناصب الهامة التي احتلها في حياته، فقد لعب دوراً مصيرياً في نجاح المشروع الصهيوني الذي أدى في النهاية إلى إقامة دولة إسرائيل".

هـــذه الكلمات كتبها مؤرخ بريطاني كبير، هو"البروفيسور ويليام روبنشتاين" أســـتاذ الـــتاريخ المعاصـــر في جامعة ويلز البريطانية، ونشرها في مجلة"التاريخ اليوم"، عدد فبراير١٩٩٩، وكان يشير إلى السياسي البريطاني"ليوبولد إيمري" الذي كتـــب المســـودة الأخـــيرة لــــ"وعد بلفور"، إذ كان عندئذ مستشاراً سياسياً لوزير الخارجـــية البريطاني صاحب الوعد المشؤوم. وقد كشف المؤرخ الكبير أن إيمري هـــذا كـــان"يهودياً"، ولكنه كان يخفي يهوديته لدرجة أن"روبنشتاين" يقرر أن إخفاء السر بالنسبة لـــ"إيمري" أضحى أكثر أهمية من السر نفسه، ويشير إلى ما كتبه في مذكـــراته:"يبدو أنني وضعت إصبعي في الكعكة، ليس فقط بكتابة إعلان بلفور، بل أيضاً في وضع أسس الجيش الإسرائيلي الراهن".

وقـــد طـــرح هذا الاكتشاف التاريخي -إن صح أن يسمى هكذا - عدداً من الأســـئلة، مـــن أبرزها: هل أثرت يهودية كاتب"وعد بلفور" على مضمون الوثيقة؟ (مصـــطفى كركوتـــي، السفير١٥مارس) ويقرر"روبنشتاين" -حسب المصدر الذي نســـتند إلـــيه -أنه"أثناء إخفائه لهويته الدينية أصبح إيمري من أبرز المدافعين عن الصـــهيونية وخدمة القضايا اليهودية. فهو - بالإضافة إلى دوره في صياغة"وعد بلفـــور" - لعـــب دوراً حيوياً في إنشاء"الفيلق اليهودي" الذي أصبح في وقت لاحق الجـــيش الإسرائيلي، وفي مرحلة لاحقة، ومن موقعه كوزير للمحميات البريطانية بيـــن ١٩٢٥ و١٩٢٩ فـــي حكومـــة بالدوين المحافظة أشرف على ازدهار ونمو المســـتعمرات الـــيهودية في فلسطين، وعرف بعلاقته الوطيدة مع زعماء الحركة الصهيونية ولعب دور الوسيط بينهم وبين وزارة الحربية البريطانية".

هـــذه وقـــائع تاريخـــية أو"أسرار" يتذكرها المرء وهو يرى مشاهد الحاضر، ودور الدبلوماســـيين الصهاينة من هنري كيسنجر إلى دينيس روس، وغيرهم، في عملـــية التســـوية، فمـــع أنهـــم أمريكيون إلا أنهم لعبوا أدواراً لحساب الصهيونية وإســـرائيل، وبعضـــهم لعب هذا على المكشوف، وليس من وراء ستار أو حجاب. وإلـــى جانـــب مـــا ذكـــره أحمد ماهر - وزير الخارجية المصري الحالي - عن

دور"دينيس روس" وتعاطفه مع الكيان الصهيوني، فإن روس نفسه لعب دوراً في صياغة"الضمانات " التي منحها بوش لشارون، من خلال موقعه الحالي رئيساً لمعهد واشنطن لسياسات الشرق الأوسط، الذي يلعب دوراً غير هيّن في رسم سياسة أمريكا الخارجية، وتحديد اتجاهاتها بل ووضع قراراتها. وتدور شائعات في واشنطن أن"روس" كان وراء التوجه الأيديولوجي الأمريكي بمنح"الضمانات" لشارون، ويعترف الدبلوماسي الأمريكي"المتعاطف مع إسرائيل" بأن شارون بموجب هذه الضمانات"حصل على أقل مما كان يطالب به واشنطن، وأن الرئيس بوش أعطاه أكثر مما كان واضعو السياسة الأمريكيون قد حددوه كسقف أو حد أقصى لما يمكن أن تقدمه أمريكا" (روز اليوسف، العدد١٩٥٨، في ١٧أبريل ٢٠٠٤، ص١٥).

هل يجب أن ننبه إلى هذا الدور، دور الدبلوماسيين الأمريكيين ذوي الميول الصهيونية، وهل نستطيع أن نطلب، وأن نعمل من أجل، إبعادهم عن أي دور في التفاوض، سواء من خلال وظيفة أمريكية أو دولية؟!

٢٠٠٤-٤-٢٨

أوهام الضمانات المضادة

أرجو ألا ننخدع، نحن العرب، بأوهام يحاول البعض نسجها، ونثرها، ونشرها، بدعوى أن أمريكا -أي الرئيس جورج دبليو بوش - يمكن أن تقدم لهذا الطرف العربي أو ذاك، أو حتى لطرف دولي ضمانات مضادة للضمانات التي منحها الرئيس الأمريكي نفسه لآرييل شارون رئيس وزراء الكيان الصهيوني، في لقائهما في داخل البيت الأبيض في ١٤ أبريل الحالي.

لا أعرف بالضبط ما هي الضمانات المضادة هذه؟ ما الضمان المضاد الذي يمكن أن يبطل تعهد بوش لشارون بأن "على الولايات المتحدة التزام قوي بأمن وسلامة إسرائيل كدولة يهودية"؟ هل يمكن مثلاً وصف "إسرائيل" بأنها دولة عربية أو مسلمة أو حتى علمانية أو غير دينية؟. لا أعتقد أن هناك توصيفاً آخر يمكن الحصول عليه في الظروف الراهنة من الرئيس الأمريكي يبطل اعترافه بإسرائيل دولة يهودية.

وما الضمان المضاد الذي يمكن أن يبطل تعهد الرئيس الأمريكي بوجوب "إيجاد حل لقضية اللاجئين الفلسطينيين بواسطة إقامة دولة فلسطينية"؟. هل يكون الضمان المضاد هو إقرار قرار الأمم المتحدة رقم ١٩٤ بحق اللاجئين في العودة والتعويض؟ أو حتى بذكر أن هذه القضية من قضايا المرحلة النهائية الأخيرة من المفاوضات؟.

وما الضمان المضاد الذي يمكن الحصول عليه من بوش والذي ينقض ضمانه بأن الولايات المتحدة تعود لتؤكد "التزامها الراسخ بأن تحفظ وتعزز قدرة إسرائيل على الردع والدفاع عن نفسها بنفسها ضد كل تهديد أو تآلف ممكن بتهديدات...".

وما الضمان المضاد الممكن لالتزام بوش بعدم إزالة المستوطنات وبعدم العودة إلى حدود ١٩٦٧،سواء في الضفة أو الجولان. والقدس أيضا؟.

حينما منحت بريطانيا "وعد بلفور" للحركة الصهيونية في ١٩١٧ كانت تقدم عهوداً وضمانات للعرب، وكانت تفاوض الفرنسيين والروس على تقسيم تركة "الرجل المريض"، وهي المفاوضات التي تحولت إلى مفاوضات ثنائية بين بريطانيا وفرنسا، والتي أسفرت عن اتفاق "سايكس ــ بيكو" الذي لانزال نتجرع مر نتائجه.. كانت بريطانيا تخفي مفاوضاتها مع الشريف حسين شريف مكة عن حلفائها الصهاينة، بينما كانت تخفي مفاوضاتها مع الصهاينة عن حليفها الفرنسي،

ولذلــك قدمت تعهدات متضاربة وسرية، وكان هذا يخدم مصلحتها ويحقق أهدافها، ومضت سنوات إلىأن اتضحت حقيقة الصفقات السرية التي أبرمتها مع كل طرف وأخفتها عن الطرفين الآخرين.

كانــت هذه طبيعة العصر الاستعماري، عصر الدبلوماسية السرية والصفقات السرية. وعالم اليوم مختلف، في ظل "العولمة" وهيمنة القطب الأوحد على الساحة الدولــية.. فهــو لا يحــتاج إلـــى صــفقات سرية، ولا إلى مفاوضات بعيدة عن الأضواء..ولا توجد فرصة لأن يقدم الرئيس الأمريكي ضمانات مضادة لما أعطاه لرئيس وزراء الكيان الصهيوني، إلا من خلال التلاعب بالألفاظ، والإدلاء بعبارات مطاطــة وفارغــة المضمون، إلا إذا تمكن العرب من الضغط على أمريكا بحيث تلغى علنا ورسميا ضمانات بوش لشارون، كما ألغت من قبل قرار الجمعية العامة للأمــم المــتحدة باعتبار الصهيونية شكلاً من أشكال العنصرية. هل هذا ممكن؟ لا أظن.

٢٠٠٤-٤-٢٩

فــواصــل

قطعت جهيزة قول كل خطيب، وأجهزت "الفلوجة" بوقفتها الجسور على ألسنة كثيرمــن المرجفيــن. وقفتها منذ التاسع من أبريل الماضى طوت أحزان مثل هذا اليوم من عام سابق سقطت فيه عاصمة بنى العباس تحت سنابك ورجس الاحتلال. ببسالة وشجاعة عز نظيرها، تؤكد الفلوجة أن المجد للمقاومة وأن حرب الإبادة لا تكســر الإرادة، إنهــا "فلوجة" العرب، أى أرضهم الطيبة المعطاء أو المستخرجة "بكســر الــراء" للــزراعة، كمــا يقول صاحب"لسان العرب"، الذى يدلنا على أن "الفلوجة" تعنى"الأرض المستصحلة للزرع والجمع فلاليج.

وقــد خــرج مــن ينطقون بألسنتنا، ويكتبون بلغتنا من "فلاليج" هذا الزمان، خــرجوا ينعون علينا المقاومة، من العراق إلى فلسطين. أذكر مقالى الدكتور محمد السـيد سـعيد فــى "الأهرام"فى ٢٢و٢٩ مارس الماضي. على الدرب نفسه وضد المقاومــة العراقــية والفلســطينية معــا، وفى الوقت نفسه، تردد الحديث نفسه فى صحف "النهار" و"الحياة"، وحتى فى "السفير" لا تعنينى الأسماء ولا الأشخاص ممن دعــوا ويدعــون إلى هجر المقاومة ونبذها ولعنها، فهى فيما يزعمون لم تعد ــ ولــن تعــيد ــ حقاً، ولم تحرر ــ ولن تحرر ــ أرضاً..إذن كيف نستعيد الحقوق ونحــرر الأرض ونتصــدى للخطر الصهيوني؟ دلونى ــ بربكم ــ كيف نعود إلى حــدود ١٩٦٧، فقــط، وإلــى القــدس ونضمن هذه العودة، ونقيم دولة فلسطينية مستقلة؟. وكفى.

أليست هذه هى الشرعية الدولية؟. يدى على أكتافكم. هل تضمنون لنا هذا لو رفعــنا الأيــادى مستسلمين؟ أو جلسنا على موائد المفاوضات مستجدين؟ أو مددنا الأيادى لسيدنا الذى فى البيت الأبيض سائلين "حتة أرض لله يا محسنين"؟. ألم نسر على دربكم هذا منذ ١٩٧٧؟أو على الأقل منذ ١٩٩١. فماذا كانت النتيجة؟.. وماذا ســتكون بعد اليوم سوى ضياع الأرض وتبديد الحقوق والمزيد من التوسع للعدو، هــذه الأســئلة أثارهــا سؤال طرحوه على أنفسهم مستفسرين: "بعد اغتيال ياسين والرنتيســي: هل مازالت العمليات الفدائية الأسلوب الأمثل لمقاومة الاحتلال؟" في الــرد علــى هــذا، يذهب دكتور استراتيجى معروف لا يعنينى اسمه، لأنى أكره "الشخصــنة فــى السياسة" إلى أن المقاومة عبر سنوات الانتفاضة "خسارة سياسية بالنســبة للقضية الفلسطينية"، وجهة نظر، ولكل وجهة هو موليها، بشرط أن يحترم

صـــاحب الوجهـــة عقولنا (فضلا عن وطنيتنا) فلا يزعم ـــ وبئس ما يزعم ـــ أن الضـــمانات الـــتى حصل عليها شارون من بوش فى ١٤ أبريل الماضي،هى "نتاج سلوك حماس والجهاد الإسلامى فى خلال السنوات الأربع الماضية".

افتـــئات على الحقيقة لم يجرؤ على ارتكابه كاتب أمريكى أوأوروبي، أوحتى إسرائيلي، بدليل أن أوروبا ودولها أصدرت عدة بيانات ضد هذه الضمانات.

ولســـت أدرى لصـــالح مَن يقال أويكتب هذا الكلام، الذى أعجز عن أن أجد الوصف اللائق به.. ولكن أهلنا يقولون إن الغرض مرض، والمرض عضال حين يستهدف التبرير، تبرير الضعف والتخاذل والاستسلام والتنازل، وهذه جميعا نقيض المقاومة من الفلوجة إلى جنين، ومن غزة إلى النجف، ومن بورسعيد إلى القصبة.. هـــدد الأمـــريكان يومـــا بتدمير "هانوى" فقال العجوز "هوشى منه": سنبنى هانوى أجمل" .وهل هناك أجمل من مدن محررة، إنها أجمل عندى من ورد يُفتحه الندى، وغدا ستزهو الفلوجة والنجف والكوفة ونابلس وكل مدينة وقرية وبيارة فى العراق وفلسطين بجمالها، وبمقاومتها، وبشجاعة نسائها ورجالها وأطفالها..لهم المجد أحياء أو شهداء، فالتاريخ تصنعه الشهادة، ويلطّخه الجُبن.

٢٠٠٤-٤-٢٩

أصدقاء التطمينات

يدهشني ويحيرني رد الفعل العربي على ضمانات بوش لشارون. يكاد يغلب علـــى الظن، من الفتور والتهافت الذي أراه، أنه لن يكون هناك فعل عربي يرقى إلى مستوى خطورة هذه الضمانات. فقد خرج نبيل عمرو وزير الإعلام الفلسطيني الســـابق يطمئنـــنا بـــأن "واشنطن تجيد إغضاب العرب وإرضاءهم أيضاً" (الشرق الأوسط ، الجمعة ٣٠ أبريل ٢٠٠٤). وقال :"إن الأمريكيين تفهّموا ردود الأفعال العربـــية". ولعلهـــم عكفـــوا فـــيما بينهم على دراسة كيفية إرضاء الغاضبين دون الإخـــلال بالـــتعهدات التـــي قدمـــت لشـــارون". وتحدث أساساً عن الغاضبين من الفلسطينيين والأردنيين والمصريين.

وقال نبيل عمرو إن الفلسطينيين حصلوا على بعض ما يرضيهم "حين فُهِم أن التطمينات الأمريكية لإسرائيل لا تلغي اعتماد النتائج التي ستسفر عنها المفاوضات بيـــن الطرفين في شتى القضايا المختلف عليها، خاصة قضايا الوضع الدائم، وفوق هـــذه "الترضـــية العامـــة" هناك ترضية أخرى هي التزام الولايات المتحدة بحماية الرئـــيس عـــرفات وتحذيرها الجدي لشارون، بعدم الإقدام على أي عمل يلحق به أذى، مثل الاغتيال أو الإبعاد".

وصـــف الضـــمانات التـــي مـــنحها بوش لشارون بأنها "تطمينات" يعبر عن التهويـــن من أهميتها وخطرها وتأثيرها، ولم لا؟ ألم ينع وزير الإعلام الفلسطيني الســـابق وابـــن "فتح" وأحد كوادرها إلينا "الغضب" من هذه "التطمينات"، خاصة أن "مـــا يجـــري علـــى ساحة الشرق الأوسط لعبة أمريكية كبرى. تحتاج إلى لاعبين كَفوئيـــن. يـــؤدون أدواراً فعّالـــة، ولـــيس إلى ساخطين يصرخون من الانفعال أو مصفقين لما يظنون أنها ألعاب جديدة".

من أسف أننا لا نرى على الساحة هذا أو ذاك، فلا أقل من الغضب الذي هو أضعف أضعف الإيمان، والذي ليس وراءه حبة خردل من فعل الوطنية والمقاومة. ومـــن الواضـــح أن هـــناك استعداداً عربياً –وفلسطينياً– للاستجابة إلى التطمينات الأمريكـــية حتى لو كانت شفوية، علماً بأنها لا تنقض ضّمانات ولا تلغيها، وحديث التطيمنات للعرب أو بعضهم ليس أكثر من ضحك على الذقون، بدأه الرئيس بوش نفســـه في المؤتمر الصحفي الذي عقده مع توني بلير رئيس وزراء بريطانيا، غداة منحه(أي بوش) ضماناته كبيرة الأهمية والخطورة. وتوالى العزف النشاز على آلة

التطمينات التي يعني الالتفات إليها تفريطاً في الثوابت الفلسطينية، حتى إن كان من يلتفـت إلـيها من أصدقاء أمريكا، الذين لعلهم قرأوا سطوراً من رسالة ٤٠سفيراً أمريكـياً خاطـبوا رئيسهم بوش بقولهم:"إن تأييدكم لسياسة التصفيات التي ينتهجها رئيس الوزراء الإسرائيلي آرييل شارون، وللجدار الإسرائيلي ولإجراءات إسرائيل العسـكرية القاسـية في الأراضي الفلسطينية المحتلة، والآن تأييدكم لخطة شارون الأحادية الجانب.. ينقض من هيبة ومصداقية أمريكا ويفقدها أصدقاءها".. ويبدو أن هـؤلاء السفراء لا يعرفون أن أصدقاء أمريكا من العرب لا يعرفون إلا الصداقة الأبديـة، وأنهم يحرصون على صداقتهم، حتى لو كانت أمريكا لا تريدهم ولا تريد صداقتهم. أو تخونهم وتخون صداقتهم كما حدث في ١٩٣٦مع الصديقة أو الحليفة بريطانيا، وهذه حكاية نرويها غداً.

٣٠-٤-٢٠٠٤

وساطة وصداقة بلا تعهدات

أكـــره تعبير "ما أشبه الليلة بالبارحة". أعتبره غير صحيح. وأرى فيه صيغة الـتقريع لـنا، لأنـنا لم نتعلم شيئا ولم نستفد شيئا من دروس التاريخ. وفي اللحظة الراهنة،فلسطينيًا وعربياً، ومنذ استشهاد الشيخ أحمد ياسين وصدور ضمانات بوش لشـارون ثم اغتيال الدكتورعبد العزيز الرنتيسي، والتهديد العلني والمعلن باغتيال الرئيس عرفات، في ظل الوقفة العراقية الجسور في الفلوجة والنجف، في ظل هذا تلـح على الذهن وقائع وفصول مهمة من الثورة العربية الكبرى في فلسطين، التي انطلقـت شرارتها الأولى في أبريل ١٩٣٦، وقد أطلقها "القساميون" أي المنتسبون إلـى الشيخ عز الدين القسام، وفي العشرين من ذلك الشهر ـ أي أبريل ـ انطلقت مـن نـابلس شـرارة الدعوة إلى الإضراب العام، وتجاوبت فلسطين كلها مع هذا النداء. حمل الشعب اللواء، بلواء الإضراب والكفاح.

هـنا، تحركت "القيادات التقليدية" أو "أصحاب المصالح" الذين تنادوا بدورهم وأقـاموا "اللجـنة العربية العليا"، التي ضمت رؤساء الأحزاب برئاسة الحاج أمين الحسيني.

وفـي أول اجـتماع لها – في ٢٥ أبريل – قررت اللجنة استمرار الإضراب العـام إلى أن "تبدل الحكومة (أي حكومة الانتداب البريطاني) سياستها المتبعة في فلسـطين تبديلاً أساسياً، تظهر بوادره في وقف الهجرة اليهودية" بمنعها "منعا باتا"، وكذلك منع انتقال الأراضي العربية إلى اليهود.

بذلـت بريطانيا مساعيها العسكرية والسياسية والاقتصادية لكسر الإضراب، ولـم تفلـح. ولكـن بعـض الفئات كانت تحاول التشكيك ــ كالعادة ــ في جدوى استمرار الإضراب. ومع تزايد أعمال البطش والاضطهاد البريطانية، والتوسع في مـنع التجول وهدم المنازل وعمليات الاعتقال، مع ذلك لم يتوقف المضربون، ولم تنكسـر إرادتهم، بل انضمت إليهم فئات جديدة، أعطت الثورة والعمل المسلح زاداً جديداً.

ومـع اشـتداد الثورة، حاولت بريطانيا تطويقها بسياج عربي، فأوعزت إلى الأمـير عـبدالله بـن الحسين أمير شرق الأردن بالقيام بالوساطة التي تدخلت فيها أطـراف عربية أخرى برز من بينها عندئذ "العراق" الذي كان قد عقد معاهدة مع

بريطانيا في ١٩٣٠ نصت على امتناعه عن أي عمل عسكري معاد لمصالح بريطانيا.

أصرت بريطانيا على أن تتوقف "الاضطرابات"، أولاً، (أو ما يسمى "الإرهاب" حالياً) وأخذت في دفع مزيد من القوات إلى فلسطين، في وقت كانت المشاورات متصلة بين العواصم العربية وبعضها، وبينها وبين لندن. وفي اتصال تليفوني،أبلغ رئيس الحكومة العراقية سكرتير اللجنة العربية العليا أنه "لا فائدة من ابتزاز أي تعهد كان من الحكومة البريطانية كشرط لإيقاف الإضراب والاضطرابات" وفي ١١ أكتوبر ١٩٣٦ نشرت اللجنة العربية العليا "النداء العربي المشترك" الذي دعا إلى وقف الإضراب والاضطرابات اعتماداً على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل في فلسطين"، والذي لايزال غائبا ومفقودا إلى اليوم.. في ٤ نوفمبر ١٩٣٦، وقف "أورمسبي جور" وزيرالمستعمرات البريطاني،أمام مجلس العموم ليعلن: "لم تتقدم حكومة صاحب الجلالة أو المندوب السامي لفلسطين بأي طلب على الإطلاق إلى أي من الحكام العرب للمساعدة أو المشورة فيما يتعلق بفلسطين. إن الحكام العرب قد أبدوا تلقائيا وبالطرق الدبلوماسية رغبتهم في استخدام نفوذهم لدى عرب فلسطين لصالح السلام، وقد أخبروا ــ رداً على استفساراتهم بشأن موقف حكومة صاحب الجلالة من القضية ــ أن حكومة صاحب الجلالة ليس لديها اعتراض على أن يوجه الحكام العرب نداء إلى عرب فلسطين لإيقاف الإضراب وحملات العنف، شريطة أن يكون الإيقاف غير مشروط، ولم تقدم حكومة صاحب الجلالة أية تعهدات أو وعود صريحة أو ضمنية، كما أنه كان واضحاً تماماً للحكام المعنيين أن حكومة صاحب الجلالة غير مستعدة للدخول في أي نوع من التعهدات على الإطلاق".

ومن المعروف أن البيان العربي وقعه ملكا العراق والسعودية وإمام اليمن وأمير شرق الأردن.

ليت كل عربي، وفلسطيني،لديه الجرأة لأن يتحدث عن تعهدات من الصديقة أمريكا بشأن (لا أقول ضد) ضمانات بوش لشارون أن يقرأ هذه الوقائع،أو أن يفتح ملف ثورة ١٩٣٦ كاملاً.

الضمانات خطيرة.. خطيرة وسيتحمل الجميع أوزار أية محاولة لتمريرها، ولذلك وجب الحذر الشديد من هؤلاء، من أقوالهم وكتاباتهم وأفعالهم.

١-٥-٢٠٠٤

خذلان.. ووعود بلا نقض!

جــرى أمس (الأحد الثاني من مايو ٢٠٠٤) تصويت أعضاء حزب "الليكود" الإسرائيلي على خطة شارون "للانسحاب من غزة، الذي يعلم الله وحده متى يمكن أن يــبدأ، وكــيف، ومتى يمكن أن ينتهي؟. وهذا التصويت الذي تعلن نتيجته اليوم ليس بعيداً بأية حال عن ضمانات بوش لشارون. وأمس أيضاً، تناقلت الصحف ما قالـــه الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات في حديث لصحيفة "عكاظ" السعودية من أن الأمريكان "خذلوه" لماذا؟ لأنهم "لم يفوا بالوعود التي قطعوها على أنفسهم معي".

ولا أعــرف إن كان الرئيس الفلسطيني قد حدد في حديثه "الوعود"التي منحها الأمــريكان أم لا، ومن الذي منحها، ومتى، وما مضمون هذه "الوعود" بدقة، وما وزنهـــا القانوني؟. وهذه أسئلة مطروحة منذ بدأت الاتصالات السرية والعلنية بين قــيادة مــنظمة التحرير الفلسطينية وبعض المسؤولين الأمريكيين، وهي اتصالات ترجع إلى أوائل السبعينيات من القرن الماضي.

وكان الدكتور صائب عريقات كبير المفاوضين الفلسطينيين قد أشار، في هذا الصـــدد، إلـــى الضمانات الأمريكية التي حصلت عليها منظمة التحرير التي بناء عليها شاركت في مؤتمر مدريد. ولكن هذه الضمانات صدرت عن وزير خارجية أمـــريكا ولـــيس عن رئيسها، ولكن الأهم أن هذه الضمانات كان معلوماً منذ ذلك الوقـــت أن الكـــيان الصهيوني حصل على ضمانات "مضادة" لها، مما يجعلها قليلة القــيمة والأهمــية.. وقـــد تضـــمنت اتفاقات أوسلو نصوصاً حول قضايا المرحلة النهائــية، أشارت إلى أنه لا يحق لأي طرف أن يتخذ إجراء تجاه هذه القضايا إلا بالتفاوض. ولكن أين هذا كله؟. لقد ذهب أدراج الرياح، لأن الطرف الصهيوني لا يقــيم لأي اتفـــاق وزنـــاً إلا بمقدار ما يخدم أهدافه وأغراضه المرحلية، في حين انخـــرط العـــرب فـــي عملـــية التسوية دون أن يحددوا لأنفسهم ما الذي يمكن أن يخـــرجوا بـــه منها، وما الذي لا يمكن أن يتنازلوا أو يتزحزحوا عنه، خاصة أنهم وضـــعوا البـــيض في سلة واحدة، وقال حاديهم إن ٩٩% من أوراق اللعبة في يد أمريكا.

ومـــع أن ضـــمانات بوش لشارون جرس إنذار قوي لكل الذين انخرطوا في عملـــية التسوية، وارتكبوا في دربها ما ارتكبوه من أخطاء وخطايا، إلا أن هؤلاء لايـــزالون مصـــرّين على أن يستكملوا مشوارهم، وينتظروا كلمة هنا أو تصريحاً

هناك يدلي به دبلوماسي أمريكي من الدرجة الثانية، فهل يمكن لمثل هذا التصريح أن يــبطل ضــمانات مكــتوبة في خطاب من رئيس الولايات المتحدة إلى رئيس وزراء الكيان الصهيوني.

أمس أيضاً، وبمناسبة تصويت "الليكود" اهتمت وسائل إعلامنا العربية بما قيل مــن أن "دانــي يعلــون" ســفير الكيان الصهيوني في واشنطن نقل إن "مسؤولين أمريكيــن بارزين"!! رجحوا احتمال سحب الإدارة الأمريكية لتعهداتها التي حصل علــيها شــارون كتابة من بوش. وقال هؤلاء المسؤولون، غير المعروفين وغير المحدديــن، إن بوش سيجد نفسه "مضطراً إلى سحب خطاب الضمانات إذا رفض الليكود خطة شارون".

هل هذا كلام، كلام في السياسة.. أم هو أمنيات وأحلام يتلقفها كل من عوّلوا ولايزالون يعوّلون على أمريكا، آسف: الصديقة أمريكا؟!.. شبيه بهذا ما حدث في ١٩٤٨، حيــن قــيل إن أمــريكا فكرت في التراجع عن قرار التقسيم الصادر في نوفمبر ١٩٤٧، والذي قامت بالدور الأكبر في إصداره..

٣-٥-٢٠٠٤

"هــزة أرضيــة"

أؤجل إلى الغد فقط، إن شاء الله، الحديث عما وعدت به، وهو موقف أمريكا في الأمم المتحدة بعد إصدارها قرار التقسيم، وكيف أنها فكرت في مشروع قانون بديل بفرض الوصاية، ولكنها تراجعت عن ذلك سريعاً.. وما أقدمه اليوم ليس بعيداً عن الضمانات، ومن قدمها، ومن حصل عليها، إنه وثيق الارتباط بذلك، إذ يتناول نــتائج التصــويت داخل حزب الليكود على "خطة شارون" التي كانت ذريعة لبدء حديث الضمانات. إنه مقال جدير بالقراءة، خاصة أنه منشور أمس الاثنين ٣ مايو الحالــي، فــي صـــحيفة "يديعوت أحرونوت"، كتبه صحفي إسرائيلي معروف هو "عوفر شيلح". وفيما يلي النص الكامل للمقال:

"لا يمكـــن وصف نتائج التصويت في استفتاء أعضاء الليكود أمس (الأحد) بكلمات مغايرة للكليشيه المتآكل "هزة أرضية". إن مجرد الحسم ضد رئيس وزراء مقــيّم مــن أعضـــاء حزبه نوع من قبيل الاهتزاز. فالفارق من رقمين مما يجعل هزيمة شارون حقيقة سياسية لا مجال للشك فيها. ورغم كل التلميحات من مقربي رئـــيس الوزراء، فإن شارون لا يمكنه أن يقفز على هذا الحسم في الاستفتاء. وإذا كان يرغب في إبقاء خطته على قيد الحياة، فإنه يتعين عليه أن يصطدم جبهوياً مع الأغلبية في حزبه.

وفوق كل شيء، توجد هنا حالة متفردة في نوعها من الغرور السياسي الذي أخفــق. فشـــارون، الذي يعتبر فنان التكتيك، توجه نحو الحل الشائه، غير المقبول وغـــير المعقـــول، لاستفتاء الليكود، كنوع من الالتفاف على الحاجة للحسم. رئيس الوزراء، الذي مهمته، حسب جميع قواعد الديمقراطية التمثيلية، أن يتخذ القرارات وأن يقودهـــا عبر الهيئتين الحكومية والبرلمانية، اختار أن يتخذ القرار بطريقة لا توجد في أي كتاب أو عرف. وقد فعل ذلك لأنه افترض ـــ باستخفاف جاء على ما يـــبدو مع القوة السياسية ـــ أنه لا يعقل أن يصوحت الليكود ضده. وها هو الليكود صوحت ضده، وبأغلبية هائلة.

الغـــرور وانعدام المسؤولية من شارون لا يتوقفان هنا. ففي خطوة تدل على الاســـتخفاف أو علـــى انعدام الكوابح، جند رئيس الوزراء رئيس الولايات المتحدة لتأيـــيد علني لخطة إشكالية من ناحية علاقات أمريكا مع العالم العربي. والآن يقف الرجل القوي في العالم، بوش، بشعور من الخجل والعار حيال حسم أعضاء حزب الســـلطة فـــي إســـرائيل. الوزيـــر يوســـف لبيد وصف ذلك أمس "بالضرر الأشد بالعلاقـــات الإســـرائيلية – الامريكـــية". ولهـــذا الضرر يوجد مسؤول. فمنذ ألمح

شـــارون لأول مـــرة بخطته، وبعد ذلك في سلسلة تصريحات، الغموض فيها يزيد علـــى الوضـــوح ، فصّـــلها أكثر - ثارت علامات استفهام حول التزامه بتنفيذها. ويـــبدو أنـــه اليوم لا يشك أحد في أن شارون يعتزم تنفيذ الخطة، ولكن الغموض والإحساس بأنه يعمل بنصف قلب ساهما في هزيمته. حتى اليوم ليس للخطة جدول زمنـــي، ولـــيس واضـــحاً ماذا ستفعل إسرائيل في اليوم التالي. معارضة الجيش الإســـرائيلي - والتي يعرب عنها بلسان لين ولكن لا لبس فيه - بقيت على حالها. مـــن الصـــعب جـــداً بيع بضاعة لا تاريخ عليها، وحتى صاحبها يجد صعوبة في الشهادة عن مضمونها.

يـــتخذ شـــارون مـــنذ يـــوم أمس صورته ليس فقط في ضوء من فشل فشلاً سياسياً، من المشكوك أن يكون له نظير في التاريخ الحزبي في إسرائيل، بل كمن سقط في الفخ، انطلاقاً من الاستخفاف والغرور، وأحدث بذلك ضرراً شديداً بقواعد الحكـــم، للعلاقات الخارجية واستقرار النظام في إسرائيل. في هذا الضوء عليه أن يـــنظر بخطواتـــه ابتداء من اليوم: فإذا كانت صحيحة الحجة التي تقول إنه مستعد لمواصـــلة قيادة تنفيذ الخطة، فإن قرارات مشابهة لتلك التي اتخذها حتى اليوم من شأنها أن تفاقم وتزيد الضرر الذي سبق أن لحق حتى الآن.

أقـــل من نصف أعضاء الليكود كلفوا أنفسهم عناء التصويت في استفتاء حسم فـــيه ليس فقط مصير خطوة سياسية - أمنية هامة، بل وأيضاً - ربما - استمرار الطريق السياسي لرئيس وزراء. وهذا هو أيضا من علامات العصر، ومن سمات الطـــريق المـــتلوي الـــذي اتخـــذه رئيس الوزراء في خطوته. النواة الأيديولوجية الصلبة، التي جلبت أعضاءها إلى الصناديق وقادت حملة متحمسة وناجعة، رجحت الكفة داخل حزب السلطة بشكل يفوق وزنها الحقيقي بين السكان بشكل عام، وحتى داخـــل مؤيـــدي الليكود. وفي هذا أيضاً درس: في الصراع على مستقبل إسرائيل، فإن من يقاتل على مواقفه بقلب كامل وبتصميم أيديولوجي، سينتصر على من يريد أن يحل كل شيء بالمناورات السياسية في الظلام".

ولـــيس لـــدي ما أقوله سوى أن نقرأ جيداً السطرين الأخيرين، لعلنا نتساءل: "هل من يسعى؟ هل من يدرك؟ وألف هل.. وهل.

٣-٥-٢٠٠٤

أمريكا التقسيم.. والوصاية!

لو أننا، نحن العرب، جادون في المواجهة ضد الصهيونية وكيانها منذ إنشائه، وضد كل من ساندهما وآزرهما وساعدهما بأي شكل من أشكال المساندة والمؤازرة والمساعدة لما احتجنا إلى أكثر من مراجعة "الصفقات" التي أدت إلى إصدار الأمم المتحدة قرار التقسيم في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ وماتلاه من أحداث إلى إعلان إنشاء الكيان الصهيوني ومسارعة بعض الدول إلى الاعتراف به، والوقوف معه في الحرب التي دارت في عام ١٩٤٨، وصولاً إلى اتفاقيات الهدنة.. بكلام أكثر تحديداً، إن هذه الفترة شهدت المقدمات الحقيقية لسياسة الولايات المتحدة الأمريكية، منذ ذلك الوقت إلى اليوم، تجاه الصهاينة والعرب ، تجاه الإسرائيليين والفلسطينيين.

لقد لعبت الولايات المتحدة الدور الأكبر، سراً وعلناً ،إلى أن ضمنت إصدار قرار التقسيم، كما رعت إنشاء الكيان الصهيوني بناء على هذا القرار، وهذا الدور الأمريكي منشور بتفصيلاته في أي كتاب ذي قيمة عن تاريخ فلسطين الحديث، أو عن سياسة أمريكا تجاه العرب عامة والفلسطينيين خاصة. ولكن "المصالح النفطية" الأمريكية عملت ضد التقسيم. وثارت مخاوف من احتمال وقف تدفق النفط. ومع اشتعال المعارك في فلسطين، بعد قرار التقسيم، بدأت قوى أمريكية في التراجع عن قرار التقسيم، ومالت إلى إصدار قرار بفرض الوصاية على فلسطين.

وفي حين كان العرب غائبين عن مسرح السياسة الداخلية في الولايات المتحدة ، وضغوطها، وقواها، واتجاهاتها، كان الصهاينة قريبين من ذلك كله، وعلى معرفة به وبكيفية التعامل معه . وتأكد هذا بشكل خاص منذ المؤتمر الصهيوني في "بلتيمور" في ١٩٤٢، ومنذ اتجه ديفيد بن جوريون إلى نقل الولاء الصهيوني إلى واشنطن، التي رأى أنها ستكون القوة ذات النفوذ الدولي الكبير، بعد أن تضع الحرب الدائرة عالمياً أو زارها. وما إن شم الصهاينة رائحة تراجع في الموقف الأمريكي، حتى سعوا جاهدين إلى طرق أبواب البيت الأبيض مباشرة، خاصة وأن ساكنه عند ئذ هو "هاري ترومان" الذي استقبل "حاييم وايزمان" رئيس المنظمة الصهيونية العالمية في ٤ مارس ١٩٤٨،على الرغم من أن الرئيس الأمريكي كان قد قرر تجنب اللقاء مع الصهاينة!.

وعلـــى الرغم من ذلك، وعلى الرغم من إعلان المندوب الأمريكي في الأمم المـــتحدة أن "خطـــة التقســـيم لا تلزم الأمم المتحدة ولا أياً من أعضائها"، واقترح فـــرض وصـــاية مؤقـــتة تحت إشراف مجلس الوصاية في الأمم المتحدة، إلا أن الرئـــيس الأمريكي أعلن في ٢٥ مارس ١٩٤٨ أن "الوصاية" لم تقترح كبديل عن التقســـيم..ولذلـــك كانـــت الولايـــات المـــتحدة الأمريكية أول دولة تعترف بالكيان الصهيوني، بعد ساعات من إعلان إنشائه، "ولم يتوقف دور ترومان في قيام دولة إســـرائيل عند الاعتراف، فقد وعد بأن تلتزم الولايات المتحدة بضمان بقاء وأمن دولـــة إسرائيل. وأعاد جميع الرؤساء الأمريكيين التأكيد على هذا الالتزام منذ ذاك، إلـــى الـــيوم". ولم يحدث يوماً أو مرة أن تراجعت واشنطن عن ضمان أو عد أو عهد أو اتفاق قدّمته للصهاينة وللإسرائيليين. مما يؤكد أن حديث بعض العرب عن تـــراجع واشنطن عن ضمانات بوش لشارون هو ضرب من الوهم، يجب التراجع عـــنه بالكـــامل وسريعاً ، فالسياسة لا تُبنى على الأوهام بل على الحقائق، والحقيقة الأســـاس هـــنا هي أن أمريكا الضامن الأول والأكبر لإسرائيل، طالما بقينا، نحن العرب، على ما نحن عليه من ضعف وغفلة.. وتهاون، وتعلق بالأوهام.

٤ - ٥ - ٢٠٠٤

الضمانات وتوازن المصالح

السياسة أخذ وعطاء، ومصالح متبادلة، فهي لا تعرف مقياساً دقيقاً، خاصة السياسة الدولية، سوى المصلحة، والمصلحة فقط. وقد شاع في أدبيات السياسة الدولية منذ عقود قليلة تعبير "توازن المصالح" كبديل عن تعبير "توازن القوى" الذي سيطر على الموازين الدولية لعدة قرون، ساد خلالها مبدأ أن السياسة الدولية لا تعرف صداقات دائمة، بل تعرف مصالح دائمة. ولذلك يمكن الجمع والدمج بين الميزانين، ميزاني القوى والمصالح. ومنذ أنشئت إسرائيل، اعتدنا ،نحن العرب، على أن نردد كثيراً أن مصالح أمريكا عندنا، فلماذا تقف ضدنا ومع إسرائيل؟. والجواب بسيط، ولكننا تغافلناه. وهو أنه من النادر أن تعاملنا مع "الصديق" الأمريكي بميزان المصلحة، بل كدنا نتعامل معه بنوع من "الصداقة العذرية".. وفي مرات قليلة ونادرة شرعنا ضده سلاح المصالح، حدث هذا حين رددنا على مقاطعته لسفننا بمقاطعة مماثلة، ثم حين أعملنا سلاح البترول في إطار حرب أكتوبر المجيدة.. وعندئذ، لم تتردد أمريكا في إعلان نواياها واستعدادها لاحتلال هذا البلد أو هذا الجزء من الوطن العربي كي تضمن الحصول على البترول الذي يمثل بالنسبة لها مصلحة استراتيجية. والغريب أن بعض العرب من المسؤولين والسياسيين والكتّاب الذين أُوهموا أنفسهم، وحاولوا أن يوهمونا، بإمكانية الحصول على ضمانات مضادة للضمانات التي حصل عليها شارون من بوش، لم يفكر أحد منهم في أن يغازل أمريكا أو "يشاغبها" بحديث المصالح، بل نظر هؤلاء إلى أمريكا على أنها فاعل خير يوزع الضمانات في كل الاتجاهات..ومن أطرف ما قيل في هذا الشأن – إن كان ثم مجال لطرافة – منسوباً إلى "مصادر عربية عليا طلبت حجب الأسماء" إن الأردن كان قاب قوسين أو أدنى من الحصول على ضمانات "لموازنة رسالة الضمانات إلى شارون". ولكن الخبر عُرف، وأُذيع، فتراجعت الإدارة الأمريكية.

وإذا كانت هناك مصادر عليا قد نسب إليها هذا الكلام، فإني لا أملك مصادر عليا ولا سفلى، ولكني أستطيع أن أقطع بناء على ما جرى ويجري وما هو معروف ومعلوم عن سياسة أمريكا تجاه إسرائيل منذ إنشائها، أن حديث "الضمانات المضادة" ضرب من الوهم، يبدو أن البعض يأبى إلا أن يغرق فيه، ولأسباب شتى.. ودليل ذلك، أنه في اليوم نفسه الذي ظهر فيه ما هو منسوب إلى "مصادر

عربية عليا" خرجت علينا السيدة "كوندليزا رايس"مستشارة الأمن القومي الأمريكي لتعلن جهاراً نهاراً ومن فوق شاشة "الجزيرة" في يوم الثلاثاء ٤ مايو الحالي أنه لا ضـــمانات مضـــادة للعرب، وعبرت عن المعنى نفسه بأسلوب مخالف بقولها في حديث إلى "الحياة" في الأربعاء ٥ مايو إن ضمانات بوش لشارون "لا تتناقض مع قــرارات الشـــرعية الدولية فيما يخص الصراع العربي ـ الإسرائيلي ولا تستبق مفاوضات الوضع النهائي بحسب خريطة الطريق".

صحيح أنه في اليوم نفسه الذي تحدثت فيه مستشارة الأمن القومي الأمريكي وافــق وزير الخارجية الأمريكي كولين باول على بيان "اللجنة الرباعية" الذي ذكر أن "أيـــة تســـوية نهائـــية لمســـائل مـــثل الحـــدود واللاجئين يجب أن يتفق عليها الإســـرائيليون والفلســـطينيون علـــى أساس قرارات مجلس الأمن ٢٤٢ و٣٣٨ و ١٣٩٧و١٥١٥ ومـــبادئ عملـــية مدريـــد"، ولكـــن لا أعتقد أن هذا البيان ينقض ضمانات بوش العلنية والصريحة لشارون..

وعلـــى أيـــة حال، وعلى مدى السنين والعقود من تاريخ الصراع العربي ـــ الإســـرائيلي، ومـــن وعـــد بلفور إلى وعد بوش فإن "الضمانات المتضاربة" كانت تصـــب في النهاية في مصلحة الصهيونية وإسرائيل، سواء كان الرئيس الأمريكي هـــو "وودرو ويلسون" أو "جورج بوش الابن"، هذه حقيقة ثابتة، لا يستطيع أحد أن يجادل فيها أو ينفيها.

٥- ٥ -٢٠٠٤

مغزى الرسالة

لا يــزال حديث "الضمانات المضادة" يتردد. وقد تردد بقوة بمناسبة لقاء أمس بيــن الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش وملك الأردن عبدالله بن الحسين. وأكتب هــذه الكلمات قبل اللقاء، وما يمكن أن يسفر عنه. ومن المستبعد، بل من الصعوبة بمكان، أن يصدر كلام علني يناقض ما سبق أن تعهد به بوش لشارون. وهنا، فإن أي كــلام غامض أو سري لا قيمة له. صحيح أن الضمانات من بوش لشارون قد اكتــنفها قــدر من الغموض، ولكنه غموض متعمد، وغير بنّاء، ولا ينفي بأية حال الــتعهدات الخطيرة الثلاثة: إسقاط حق العودة، الموافقة على عدم إزالة مستوطنات من الضفة الغربية، وعدم العودة إلى حدود ١٩٤٩.

وهــذه التعهدات خطيرة إلى درجة أن مجموعة السفراء الأمريكيين السابقين الذيــن وجهــوا رسالة إلى الرئيس جورج دبليو بوش قد اهتموا بتبيان معارضتهم لذلــك، وكتبوا في رسالتهم وبمنتهى الجرأة والصراحة:"إننا نشعر بقلق عميق تجاه مصادقتكم يوم الرابع عشر من أبريل على خطة رئيس الوزراء الإسرائيلي آرييل شــارون الانفرادية التي ترفض حقوق ثلاثة ملايين فلسطيني وتنكر حق اللاجئين فــي العــودة إلى وطنهم وتحتفظ بخمس مستوطنات كبرى غير شرعية في الضفة الغربية المحتلة".

وأضــاف الدبلوماســيون الأمريكيون: "إن هذه الخطة تتحدى قرارات مجلس الأمــن الدولي التابع للأمم المتحدة التي طالبت إسرائيل بإعادة الأراضي المحتلة، وهــي تتجاهل القوانين الدولية التي أعلنت أن المستوطنات غير شرعية، وتستهين بقــرار الأمــم المتحدة رقم ١٩٤ الصادر عام ١٩٤٨ الذي يؤكد حق اللاجئين في العــودة إلــى ديارهم أو تلقي تعويضات على فقدان ممتلكاتهم ومساعدة في إعادة توطيــنهم فــي بلــد يرحــب بهم إذا ما اختاروا القيام بذلك، وهي تقوض خريطة الطريق"..

هذا تفسير أمريكي صحيح وقانوني لضمانات بوش إلى شارون. فهل يستطيع بوش أن يتراجع علناً عن هذه الضماناتَ أو عن بعضها؟ لا أظن. وإن فعل، فأمر يجــب أن نرحب به، ونعرف أننا نستطيع أن نقول: "لا"، من ناحية، ونستطيع أن نرفض من ناحية أخرى كل ما يمثل اعتداءً على حقوقنا الثابتة والأصيلة، حتى لو كــان المعتدي هو رئيس أكبر قوة في تاريخ البشرية.. خاصة وأن هذه القوة فيها

جماعات وهيئات ومنظمات يمكن أن تستمع لنا حين نخاطبها ونتحدث إليها، ولكن تركيزنا في التعامل مع أمريكا لا يزال ينصبّ على الإدارة وما يدور في فلكها، ونتجاهل قوى أخرى فاعلة ومؤثرة سواء في ذلك "الكونجرس" أم الجامعات ومراكز الأبحاث ووسائل الإعلام وغيرها.

إن رسالة الدبلوماسيين الأمريكيين السابقين تحمل في ثناياها رسالة إلينا، نحن العرب، هي أن المجتمع الأمريكي المفتوح يمكن مخاطبة قوى وعقول فيه، تتفهم حقوق الشعوب ومصالحها، وإذا كان هذا المجتمع يعرف "المحافظين الجدد" من أمثال "بول ولفويتز" و"بيرل" و"فايث"، فإنه يعرف أيضاً العلامة "نعوم تشومسكي" والقس "جيسي جاكسون"، كما يعرف دبلوماسيين كباراً لهم خبرتهم في الشؤون الدولية عامة، وفي الشؤون العربية خاصة، وهؤلاء يجب أن ننفتح عليهم، ونشد على أياديهم، ونؤكد لهم أننا لم نعرف ولا نعرف عداءً لأمريكا الشعب والثقافة والتقدم.. ولكن عداءنا ينصب على سياساتها وقواها العدوانية التي تتجاهل حقوقنا، وتقف على طول الخط مع العدو الصهيوني.

٦-٥-٢٠٠٤

لا تــراجــع

من غير اللائق سياسياً ووطنياً وقومياً أن يكون فريق من العرب أمريكياً أكثر مــن الأمريكان. فقد قيّم ٥٨ دبلوماسياً أمريكياً سابقاً، في رسالة إلى رئيس دولتهم، ضــمانات رئيســهم إلى شارون تقييماً صحيحاً ورصيناً، ورأوا فيها ضوءاً أخضر للتوسع ، والاستيطان، وإهدار حق العودة الفلسطيني.

وفي اليوم الثاني والعشرين بعد صدور هذه الضمانات، أي في يوم الخميس، الســادس مــن مــايو ٢٠٠٤ التقى في البيت الأبيض الرئيس الأمريكي مانح هذه الضمانات مع ملك الأردن الذي كان قد أجل بعد إعلانها اجتماعاً كان مقرراً عقده في ٢٣ أبريل الماضي. وسبق لقاء الخميس حديث متعدد الأطراف والأهداف عن إمكانــية حصــول الأردن علــى "ضــمانات" مثل الضمانات التي حصلت عليها إسرائيل.

ولم يكن هذا توقعاً مصيباً، وربما كان ضرباً مما يسميه علماء النفس "التفكير الراغــب" الــذي يدخل في دائرة الأوهام و"الهلوسة" التي تحيل الأحلام إلى رؤى ومشاهد ليس لها من الحقيقة نصيب.

وقــبل لقــاء الخمــيس بــيوم واحد قطعت مستشارة الأمن القومي الأمريكي السيدة"كوندليزا رايس" بأنه لا ضمانات للعرب.

ولكــن السيد كولين باول وزير الخارجية الأمريكي حاول أن يدغدغ مشاعر العرب فقال إن الأردن سيلقى ما يسره، وحدث اللقاء وتلاه مؤتمر صحفي لم تظهر فــيه ضمانات للعرب عامة أو للأردن والفلسطينيين خاصة. ولكن مصادر عربية فــي لهفة من أمرها سارعت إلى وصف ما أدلى به الرئيس الأمريكي في المؤتمر الصــحفي بأنــه "تحول" عما منحه من قبل لشارون، بينما وصفه الدكتور صائب عــريقات كبــير المفاوضين الفلسطينيين بأنه"يبدو تراجعاً" . والحقيقة أنه لا يوجد تــراجع ولا تحــول، بــل توجد "غمغمة" مقصودة ومتعمدة ، من قبيل:" إن قضايا الوضــع النهائــي يجــب أن تخضع للتفاوض بين الإسرائيليين والفلسطينيين وفقاً لقــراري مجلــس الأمــن ٢٤٢ و ٣٣٨." وأضاف الرئيس الأمريكي أن بلاده لن تحاول التأثير في هذه المفاوضات، كما تحدث عن التزامه بدولة فلسطينية ، وأشار إلى أنه سيبعث برسالة إلى رئيس الوزراء الفلسطيني.

وتقرير أن هذه الأقوال لا تمثل تراجعاً عن ضمانات حصل عليها شارون يرجع في المقام الأول إلى أن هذه الضمانات مكتوبة وموثقة في شكل رسالة، بينما ما يسميه البعض "تراجعاً" هو تصريحات أو بيانات صحفية لا يمكن لأحد أن يعتبرها عند التدقيق " نطقاً رئاسياً". أما حديث الدولة الفلسطينية فهو أقرب إلى"حديث فض المجالس، لأنها دولة بلا رأس أو قدمين، بلا حدود معينة، ودون سيادة محددة، أما الرسالة إلى رئيس وزراء فلسطين فمع جواز انتظارها، إلا أنه يمكن القطع من الآن بأنها لن تخرج عما أعلنه الرئيس الأمريكي في مؤتمره الصحفي مع الملك عبد الله ، وربما زاد إلحاحه على ما يسميه إصلاح السلطة الفلسطينية، وهو شعار حق ، ولكن يراد به باطل.

ولو افترضنا جدلاً أن هناك تراجعاً بدرجة ما من جانب الرئيس الأمريكي عما قدمه لرئيس وزراء الكيان الصهيوني من "ضمانات" مكتوبة وعلنية ومحددة، فإننا يجب أن ندقق في الظروف التي كان يواجهها رب البيت الأبيض حين عقد مؤتمره الصحفي مع الملك عبد الله، وهي ظروف أزمة فضائح التعذيب الذي تعرض له مواطنون عراقيون، وهي فضائح هزت الضمير العربي بل والأمريكي وتهدد بإقالة أو استقالة وزير الدفاع الذي اعتمد عليه بوش في عدوانه على العراق، وعلى أفغانستان من قبل. ثم هناك التصويت داخل حزب "الليكود" ضد مشروع شارون بالانسحاب من غزة مما وضع الرئيس الأمريكي في حرج شديد، لم يمنعه من أن يكرر في مؤتمره الصحفي تأييده لهذه الخطة.

يضاف إلى ذلك رد الفعل العربي ضد ضمانات بوش لشارون ، مما جعل أمريكا تحصد كراهية غير مسبوقة في الوطن العربي والعالم الإسلامي .. ولم يجد بوش من يسانده في ضماناته التي ليس لها نظير من قبل ، مما حرك أصحاب الضمائر الحية حتى في داخل الولايات المتحدة نفسها.

هل يمكن أن يكون هذا نهاية المطاف في انتظار ما سماه البعض "ضمانات مضادة" وهل نستطيع أن نتعامل مع هذه الضمانات بفكر سياسي ناضج يعرف خطورتها، ويحدد وسائل الحد من هذه الخطورة ، ويضع هذه الوسائل موضع التطبيق؟ هذا هو البديل الصحيح دفاعاً عن وجودنا وحقوقنا ومصالحنا.. بدلاً من محاولة البعض "تبييض" وجه بوش!!

٧ – ٥– ٢٠٠٤

حوار حول الحوار

(١)

أجـرى الأسـتاذ إبراهيم نافع، رئيس اتحاد الصحفيين العرب ورئيس مجلس إدارة ورئيس تحرير "الأهرام"، حواراً مع الرئيس الأمريكي جورج بوش. ونشرت الحـوار، إلـى جانب "الأهرام"، عدة صحف عربية، وذلك في يوم السبت ٨ مايو ٢٠٠٤، نظـراً لأهمـية الحوار، ولدقة الظروف التي أجري فيها، خاصة فضائح التعذيـب التـي تعرض لها سجناء عراقيون، يبدو أنهم كثيرون، وقد تكشفت هذه الفضـائح بعـد وقـت قصير من الضمانات التي منحها الرئيس الأمريكي لرئيس وزراء الكيان الصهيوني.

وكانـت هاتـان القضيتان محور الحوار الصحفي، الذي قد يكون أهم حوار صـحفي عربي مع رئيس أمريكي. ولذلك يجب أن يكون محوراً للتحليل والتعليق، خاصـة وأن الحـوار - فـيما يبدو- استهدف إتاحة منبر، بل منابر، عربية أمام الرئيس الأمريكي كي يتراجع نسبياً عن ضماناته لشارون.

فهـل حـدث هـذا، وهل ما أدلى به الرئيس الأمريكي "للأهرام"- ونشرته صـحف عربـية أخرى - تضمّن تراجعاً حقيقياً، أم أن الأمر لا يعدو كونه حواراً صـحفياً لا يمكن أن يرقى، في أية حال من الأحوال، إلى مستوى ضمانات مكتوبة ومعلنة في شكل رسالة من الرئيس الأمريكي إلى رئيس وزراء "إسرائيل"؟

الجـواب مـن وجهة نظري واضح، وقد أثرتُه، بل ألححت عليه، طيلة الأيام الماضـية، مـنذ صـدر ما أسماه كثيرون "وعد بلفور الجديد". صحيح أن الرئيس الأمريكـي قال في حواره مع "الأهرام" ،الذي نشرته صحف عربية أخرى، "إن أي أمـور تـتعلق بالوضـع النهائـي ستقوم بالتفاوض حولها الأطراف المعنية ؛ أي الإسـرائيليون والفلسطينيون وليس الولايات المتحدة." ، ثم أضاف: "نحن لن نصدر أحكاماً مسبقة بشأن الوضع النهائي." كيف ؟ والرئيس بوش نفسه وفي الحوار نفسه يعـترف بأنه "أقر أن الظروف قد تغيرت"، وتغير الظروف هذا انعكس في رسالة الضمانات بأنه لا عودة إلى حدود ١٩٤٩، ولا إزالة لمستوطنات تلتهم جزءاً كبيراً من الضفة الغربية، ولا عودة للاجئين إلى أراضي ١٩٤٨ التي طُردوا منها.

وفـي جزء آخر من الحوار، طرح إبراهيم نافع سؤالاً كاشفاً هو:" لقد قلتم يا سـيادة الرئـيس، في تصريحات أدليتم بها أخيراً، إن الضمانات التي قمتم بتقديمها إلى شارون لا تختلف عما كان يجري مناقشته في مفاوضات المرحلة النهائية التي

جــرت فـــي السابق بين الفلسطينيين والإسرائيليين.ولكن في هذه المباحثات السابقة كانـــت هناك أفكار مطروحة من قبيل تبادل الأراضي وموافقة إسرائيل على عودة عـــدد محـــدود من اللاجئين. لماذا لم تشر إلى هذه المقترحات في الخطاب الأخير الذي قدمته لشارون؟".

لقد فتح إبراهيم نافع، بهذا السؤال بنصّه وصيغته وألفاظه ومصطلحاته، نافذة واســعة أمـــام الرئيس الأمريكي ليعلن "تراجعه النسبي" عن ضماناته لشارون، لو كـــان هـــناك تـــراجع، ولكن الرجل كان عند موقفه، متمسكاً بما منح وأعطى من ضمانات، وقال: "انظر، أود أن أؤكد لك مجدداً أنني أفهم حساسية القضايا الخاصة بمـــرحلة الحـــل النهائي. ولكن سيجري التفاوض حولها ليس بين الولايات المتحدة والأطـــراف، ولكـــن سيتم التفاوض حولها بين إسرائيل والحكومة الفلسطينية التي ســتقوم فـــي دولة جديدة. ولقد كان هذا هو الموقف الذي تمسكت به طوال الوقت. وكـــان هذا هو ما قلته لصديقي الرئيس مبارك. كما أن هذا هو ما قلته للتوّ لجلالة ملك الأردن عبد الله وسوف أواصل شرح هذا الموقف المتسق الخاص بي. وأعتقد أن بعـــض الناس يحاولون قراءة أمور ما فيما قلته وفيما لم أقله. ودعني أقل التالي مجـــدداً للمرة الأخيرة: هذه فرصة لا يجب السماح بضياعها. هناك كثير من الجدل بشأن قضايا الحل النهائي وهي قضايا مهمة للغاية وأرجو ألا تفهمني خطأً في هذا المجـــال. ولكـــن تركـــيزنا الآن يجب أن يكون حول كيفية إنشاء دولة فلسطينية، والمضي قدماً بعد ذلك"!!

ولـــم يكن الرئيس بوش في حاجة إلى أن يوضح أن هذه الدولة تقوم على ٤٢ % مـــن أراضـــي الضفة الغربية، ولا أن يضيف أن هذا هو الحل المؤقت طويل المدى الذي أعلنه صديقه الحقيقي شارون عند توليه رئاسة الحكومة الإسرائيلية في أوائـــل ٢٠٠١؛ لأن هـــذا واضح جداً من ثنايا الأجزاء الأخرى التي تتناول قضية فلسطين من الحوار الذي أدلى به الرئيس الأمريكي إلى "الأهرام"، ونشرته صحف عربـــية أخرى، ولو جاز تصديق ما يروّجه البعض عن تراجع الرئيس الأمريكي عـــن ضماناته لرئيس وزراء إسرائيل، فإن المعوّل عليه ليس الكلام؛ لأن المهم – كمـــا قالـــت "الأهرام" في افتتاحيتها في اليوم نفسه الذي نشرت فيه حوار الرئيس الأمريكي –المهم هو "التنفيذ وعدم الاكتفاء بالتصريحات".. وفي الحوار نفسه نقطه أساســـية خاصـــة بالتنفـــيذ تبيـــن أنـــه باطل باطل كل مسعى للإيحاء بأن الرئيس الأمريكـــي تـــراجع عن ضماناته، وهي نقطة خاصة بما يسمى "خريطة الطريق" وقيام الدولة الفلسطينية في ٢٠٠٥!.

٨ – ٥ – ٢٠٠٤

(٢)

في حواره مع"الأهرام"، الذي نشرته أيضاً صحف عربية أخرى، قدم الرئيس الأمريكـــي"جـورج دبليو بوش" رؤية متكاملة إلى حد كبير حول التسوية، تسوية الصـــراع العربي – الصهيوني، أو"تسوية القضية الفلسطينية"، وجوهر هذه الرؤية لا يخـــتلف كثـــيراً عـــن مشـــروع آرييل شارون رئيس وزراء الكيان الصهيوني عـــن"تسوية مؤقتة طويلة المدى" بما في ذلك قيام"دولة فلسطينية مؤقتة". وقد عبر عن ذلك بكل وضوح بقوله في هذا الحوار:

"أعـــتقد أن التركيز يجب أن يكون على بناء المؤسسات الضرورية لقيام دولة فلســـطينية مســـالمة ومزدهـــرة. أعـــتقد أنه من المهم للغاية أن يقوم الفلسطينيون المؤيـــدون للإصـــلاح بـــالوقوف ومطالبة العالم بالمساعدة من أجل بناء الأجهزة الأمنـــية الضـــرورية لقيام الدولة وكذلك المساعدة في مجال التعليم وتنشيط طبقة المســـتثمرين، وذلـــك لكـــي تنمو الأعمال التجارية. أعتقد أن ذلك سوف يحدث. وعندما يحدث ذلك فإن حل القضايا الخاصة بالوضع النهائي سيصبح أكثر سهولة. بمعـــنى آخر، عندما تصبح هناك دولة بالفعل تعمل وتتمتع بالازدهار وبثقة مصر وإســـرائيل وأمريكا والاتحاد الأوروبي وبقية العالم فإنه سيكون من الأسهل بكثير حـــل القضايا الصعبة الخاصة بالحل النهائي بين الطرفين. ولذلك فإن الوقت غير مناســـب الآن لكـــي نتجادل كيف سيكون العالم عندما نمضي قدماً. يجب أن يكون الجـــدل حـــول مـــا ســـيكون عليه شكل العالم هذا العام، ولهذا السبب فإن خريطة الطريق مهمة للغاية. إن الولايات المتحدة ملتزمة تماماً بخريطة الطريق".

أرجو أن نقرأ هذه الفقرة جيداً، وألا نهون من أهميتها، بدعوى أن هذه فلسفة أمـــريكا أي"البراجماتـــية" أو الذرائعـــية أو"العملية"، وهي الفلسفة التي قامت عليها سياســـة الخطوة خطوة، أو الكيسنجرية – الساداتية، التي أوصلتنا إلى ما نحن فيه الـــيوم. ومناقشـــة هذه الفقرة وتحليلها يطول، ونكتفي هنا بالإشارة إلى أن الرئيس بوش الذي يقول إن الوقت غير مناسب الآن للجدال حول قضايا الحل النهائي، هو نفســـه الـــذي أثار هذه القضايا في"رسالة الضمانات" إلى شارون، واتخذ تجاه هذه القضايا مواقف محددة.

ويحـــاول الرئيس بوش بذكاء يحسد عليه من صاغ له هذا الكلام أن يقنعنا أن الخير كل الخير في أن تقوم أولاً دولة فلسطينية"مسالمة ومزدهرة" تثق فيها مصر وإسرائيل وأمريكا وآخرون. متى تقوم هذه الدولة؟.

في الفقرة نفسها يؤكد الرئيس الأمريكي أن خريطة الطريق مهمة للغاية وأن بــلاده ملــتزمة بهــا، ثم ما يلبث أن ينسف بنفسه أحد الأسس أو الأركان في هذه الخطــة، حيــن يقول إن الموعد الذي حددته لقيام هذه الدولة وهو عام٢٠٠٥"قد تم تجــاوزه"، لمــاذا؟. السبب معروف ومسلم به لديه: إنه العنف، العنف من الجانب الفلســطيني ممــا لا يسمح بقيام دولة فلسطينية مسالمة. وفي رده على سؤال آخر يضــع الرئــيس الأمريكي مزيداً من النقاط على الحروف، فبعد أن تجاوز موعد "٢٠٠٥" الــذي تضمنته"خريطة الطريق" التي تلتزم بلاده بها، لم يجد مانعاً في أن يقــول:"أعــتقد أن عليــنا أن نضغط بقوة من أجل قيام هذه الدولة في أسرع وقت ممكن".

هل هذا تلاعب بالكلمات أو بالمواعيد أو بالأهداف، أو تلاعب بهذا كله دفعة واحــدة. إن هــذا ما يليق بنا إذا تم السير على الدرب نفسه الذي سارت فيه عملية التسوية منذ سبعينيات القرن الماضي، وإذا ما ظل بعضنا يردد صباح مساء تمسكه بـــ"خريطة الطريق" بدعوى أنها الخطة الوحيدة التي تحظى بقبول دولي حالياً.. ولــو أمكــن التغاضي - ولو مؤقتاً - عن العيوب الجوهرية في هذه الخطة، فإن الســؤال هــو: أين هذه الخطة أو الخريطة، ألم ينسفها الرئيس بوش كما نسفها من قــبل حلــيفه شــارون بخطــة الانسحاب من غزة وجزء من الضفة؟. وحتى هذه تعطّلــت، ولكــن الرئــيس بــوش في حواره مع"الأهرام" وصفها بأنها"آلية مثيرة للاهتمام"!!

٩-٥-٢٠٠٤

(٣)

حــوار الرئيس الأمريكي مع "الأهرام" ، الذي نشرته صحف عربية أخرى ، فيه "نغمة ترغيب" ظاهرياً ، ولكن فيه إلى جانب ذلك لغة ترهيب ، وتهديد ووعيد. والجانــب الأخير لم يتوقف عنده أحد ، بينما جرى ويجري كثيرون حول ما أسموه "تــراجعاً نســبياً" عــن ضمانات بوش لشارون، وهذا نهج سار عليه كثيرون من العرب منذ صدرت تلك الضمانات ، حيث صبّوا كل اهتماماتهم على تلقّف كلمة أو عبارة على لسان هذا المسؤول الأمريكي أو ذاك ليتحدثوا عن "التراجع" . في حين أن مــن يجمع كل التصريحات والبيانات التي صدرت عن "الإدارة الأمريكية " بعد

إعــلان الضـــمانات يتبين في يسر وسهولة أن هناك إصراراً على هذه الضمانات وتمسكاً بها.

ولكنــنا، نحــن العــرب، لا نزال نصرّ على تلقّى "إيضاحات" من "الصديقة" أمــريكا، بالطــريقة نفسها التي تعاملنا بها مع "الصديقة بريطانيا" بعد إصدار وعد بلفور في ١٩١٧.

بالنســبة للغة "الوعيد" في حوار الرئيس الأمريكي مع الأهرام، والذي نشرته صـــحف عربية أخرى ، ألا يستوقفنا قوله :"أعتقد أن بعض الناس يحاولون قراءة أمــور مــا فــيما قلته وفيما لم أقله، ودعني أقل التالي مجدداً للمرة الأخيرة : هذه فرصـــة لا يجــب لنا السماح بضياعها . هناك الكثير من الجدل بشأن قضايا الحل النهائــي وهي قضايا مهمة للغاية، وأرجو ألا تفهمني خطأً في هذا المجال ، ولكن تركــيزنا الآن يجـــب أن يكون حول كيفية إنشاء دولة فلسطينية والمضي قدماً بعد ذلك"؟

وســيكون مــن الخطأ كل الخطأ ألا نفهم كلام الرئيس بوش على النحو الذي يجب ويستحق أن يُفهم به، وهو أن ضماناته لشارون أخطر من وعد بلفور . يكفي أن"الوعد" كان من وزير خارجية بريطانيا إلى شخص غير ذي صفة وحيثية دولية أو رســمية ، كان أحد وجهاء اليهود، أما الوعد الجديد فهو صادر من رئيس القوة الأعظــم الوحــيدة على ظهر الأرض حالياً. وهو موجَّه إلى رئيس وزراء الكيان الذي أقيم بناءً على الوعد الأول الذي لم يكن في جوهره "التزاماً دولياً" في حين أن ضـــمانات الرئيس الأمريكي يمكن أن ترقى إلى هذا المستوى ، خاصة وأنها بدأت تنعكس في مواقف وبيانات هيئات ذات طابع دولي، مثل "اللجنة الرباعية".

وهنا تحاول الإدارة الأمريكية بذل كل مساعيها وضغوطها كي لا يفهم العرب هــذه الضـــمانات كمـــا يجـــب أن تُفهم، وكي لا يرتّبوا عليها التغيير الواجب في سياستهم وفي مواقفهم وفي علاقاتهم مع" صديقتهم"أمريكا.

إن كـــل مـــا نســـمعه ونقـــرأه ونراه من جانب الإدارة الأمريكية منذ صدور ضـــمانات بـــوش لشارون يعيد إلى الذاكرة الردّ الذي بعثت به السلطات البريطانية إلى الشريف حسين بن علي في جدة حين طلب إيضاحاً حول "وعد بلفور" حين علم به. ردّت عليه بريطانيا– أعني " الحليفة " بريطانيا– برسالة أكدت فيها العزم على "إتاحـــة الفرصـــة للعنصر العربي لكي يكون مرة أخرى أمة في العالم". وبالنسبة لفلســطين، أبلغـــت بريطانيا العظمى – وهذا هو اسمها الرسمي– حليفها الشريـف

حسين عزمها "على ألا يخضع شعب لآخر، ولكن نظراً لأن هذه البلاد تضم أماكن مقدسة لدى المسلمين والمسيحيين واليهود فإنه يجب وضع نظام خاص للإشراف على هذه الأماكن بحيث يحظى بموافقة العالم كله". وأضافت الرسالة البريطانية:" لما كان اليهود في كل أنحاء العالم يحبّذون العودة إلى فلسطين ، ولما كانت الحكومة البريطانية تنظر بعين العطف إلى هذه الأمنية فإنها عازمة على ألا توضع أية عقبة في سبيل تحقيق هذا الهدف بحيث لا يتعارض مع حرية السكان الموجودين سواء الاقتصادية أو السياسية".

والتطمينات التي أصدرها الرئيس بوش وأركان إدارته، سواء في المؤتمرات والأحاديث الصحفية أو في الاتصالات الهاتفية أو في خطابه إلى الملك عبد الله الثاني ملك الأردن، لا تختلف كثيراً عن رسالة السلطات البريطانية في ٤ يناير ١٩١٨ إلى الملك الحسين بن على . وقد لا يختلف مصير من يصدق هذه التطمينات عن مصير الحسين بن على الذي وثق في عهود "صديقته" بريطانيا وحثّ العرب على الاستمرار في الثقة فيها.

٢٠٠٤-٥-١٠

(٤)

بعد حوالي شهر، من لقاء البيت الأبيض في ١٤ أبريل الماضي بين الرئيس الأمريكي ورئيس وزراء الكيان الصهيوني، وفي جولة سريعة عبر "الشبكة الدولية" أو "الإنترنت" ووقفة متأنية أمام صفحات الصحف العربية في جميع بلاد العروبة، وجدت عشرات الكتّاب الذين يتناولون "ضمانات بوش لشارون"وخطورتها على حاضر ومستقبل القضية الفلسطينية، ويؤكدون أن التصريحات الصحفية والتطمينات التي حصل عليها ملك الأردن لا تلغي هذه الضمانات ولا تؤثر فيها، ولا تقلل من خطورتها. ووجدت بين العشرات من الزملاء في مشرق الوطن العربي ومغربه تشابهاً في العرض والتحليل والرأي والنقد، والمطالبة بخطوات وإجراءات عربية محددة تحد من خطر الضمانات التي لا يجوز السكوت عليها، حتى لا يفسر هذا السكوت على أنه قبول وموافقة.

ووجدت، فيما وجدت، دعوات إلى ضرورة إعادة النظر في عملية التسوية، وإجراءاتها، وعدم "الهرولة" – بعد الآن – وراء أية إشارة تصدر من واشنطن،

خاصـــة وأن الرئيس الأمريكي صاحب الضمانات، أشار في مؤتمره الصحفي مع الملــك عبدالله ملك الأردن، وفي حواره مع "الأهرام" ،الذي نشرته صحف عربية أخـــرى، إلـــى لقـــاء يعقد بين رئيس الوزراء الفلسطيني ومستشارة الأمن القومي الأمريكـــي السيدة كونداليزا رايس، إلى جانب رسالة يوجهها الرئيس الأمريكي إلى رئيس وزراء السلطة الفلسطينية.

وكـــنا قـــد توقعنا –قبل حوار "الأهرام"– أن هذه الرسالة لن تشفع ولن تنفع، لأنها لن تتضمّن تراجعاً عن الضمانات أو نقضاً لمضمونها، وجاء حوار بوش مع "الأهـــرام" ،الذي نشرته صحف عربية أخرى، ليؤكد صحة هذا التوقع؛ إذ قال في هذا الحوار إنه سيشرح في الرسالة ما سماه التزامه بخريطة الطريق وبقيام دولتين تعيشان بجوار بعضهما البعض في سلام.

وأضـــاف الرئـــيس الأمريكي وبكل الوضوح: "ولكنني أيضاً أقوم بتذكير أن الوقـــت قـــد حان للتقدم وإظهار قيادة جديدة؛ إظهار قيادة في مواجهة الإرهابيين، وإظهـــار قـــيادة في تشكيل المؤسسات التي ستؤدي إلى قيام دولة". ومن تفصيلات الحديث فإن المقصود بهذه المؤسسات هو المؤسسات الأمنية التي تتصدى للإرهاب وتقضي عليه كي تتمتع إسرائيل بالأمن والاستقرار والاستيطان والتوسع!.

وعلـــى الـــرغم من أن السلطة الفلسطينية ورئيس وزرائها ووزيرها المكلف بشـــؤون المفاوضات قد وصفوا تصريح بوش بعدم واقعية موعد العام ٢٠٠٥ لقيام الدولـــة الفلســـطينية بأنـــه "إذعان لإسرائيل"، وعلى الرغم من أن مستشارة الأمن القومـــي كانت قد أعلنت أنه لا ضمانات للعرب مقابل الضمانات التي حصل عليها شـــارون، علـــى الـــرغم من ذلك لم نجد إلا هرولة نحو اللقاء الموعود مع السيدة كوندلـــيزا رايـــس، دون حتى المساومة – أدنى المساومة – على أنه لا اجتماع إلا بعـــد ضـــمانات مضادة، أو بعد تصريح علني من البيت الأبيض يحدد بشكل قاطع معنى ما جاء في تصريحات الرئيس بوش ومسؤولين آخرين من أن قضايا الوضع النهائي لم تصدر بشأنها "أحكام مسبقة".

ولعل خير تعليق على هذا الموقف الفلسطيني والعربي هو ما نشرته "الأهرام" –ولـــم تنشـــره صحف عربية أخرى – بقلم المفكر والسياسي الفلسطيني المعروف الدكـــتور عزمـــي بشارة، وبالمصادفة فقد نشر مقاله في اليوم نفسه الذي نشر فيه حوار بوش!! كتب بشارة ما يلي:"إن التعلق بحبال هواء خريطة الطريق بحجة أن اللجنة الرباعية "الكوارتيت" سوف تعود إليها هو عمل يائس وعبثي لا يدل إلا على

العجــز وانعـــدام الحيلة، فخريطة الطريق لم تحتو أبدا خطوطاً عريضة لحل دائم، ولذلـــك فـــإن الحل الدائم الذي تقود إليه قد حُدد في رسالة الضمانات الموجهة من بـــوش، صـــاحب خـــريطة الطـــريق ومفسرها المعتمد،إلى شارون. ومن يتمسك بخـــريطة الطريق كمن يحاول أن يتمسك ببوش ضد بوش، أو يفسر مقاصد بوش أفضـــل مـــن بـــوش، وما هذا إلا استراتيجية تجنب النقاش مع الولايات المتحدة، وكسب الوقت وإيهام الرأي العام العربي بأن يبقى في إطار التفكير في ظل الهيمنة الأمريكـــية ومصطلحاتها الأمريكية ـــ الإسرائيلية. وبهذا الأسلوب لن تُطور علاقة أمريكـــية عربـــية وإنما تبعية شبه مطلقة لأمريكا، وردود فعل انفعالية وعدمية من ناحـــية أخـــرى؛ وجهـــان لعملـــة واحدة هى عدم وجود مشروع عربي قادر على صياغة علاقة أكثر توازناً مع ذاته ومع الولايات المتحدة".

تحليل واقعي وصحيح ودقيق، لا غبار عليه سوى أن صياغة الجملة الأخيرة تعنـــي أن هـــناك علاقة متوازنة أصلاً.. لقد دبّ الخلل في كل شيء، منذ سيطرت الســـاداتية على منهج التسوية، ولا مخرج إلا بخلع ثوبها؛ ثوبها السياسي والفكري والعملي، فلسطينياً ومصرياً وعربياً.

٢٠٠٤-٥-١١

شخصيات وأدوار

التقت مصالح بريطانيا وأماني وأهداف الصهيونية، في الحرب العالمية الأولى، فكان "وعد بلفور". وبالمثل، التقت مصالح الولايات المتحدة الأمريكية وأهداف الكيان الصهيوني، في مرحلة ما بعد العدوان على العراق واحتلاله، فصدر في ١٤ أبريل ٢٠٠٤ "وعد بوش لشارون" الذي حمل اسم "الضمانات". والتشابه، وإن شئت فقل التماثل في تلاقي المصالح التي دفعت إلى صدور الوعدين، عبرت عنه وحملته وأسهمت فيه شخصيات متعددة في ١٩١٧ وفي ٢٠٠٤، بحيث تشابهت "خلفيات الكواليس" فيما جرى في الحالتين.

وقد أميط اللثام عن الشخصيات البريطانية والصهيونية – والأمريكية أيضاً! – التي كان لها دور في صدور الوعد الأول . وليس من الصعب اكتشاف وتحديد الشخصيات التي قامت بدور في صدور الوعد الثاني، سواء في ذلك الشخصيات الإسرائيلية والصهيونية أو الشخصيات الأمريكية. وقد سجلت الكتابات التاريخية تفصيلات دقيقة عن الشخصيات والأدوار في "وعد بلفور"، فتناولت وحددت من اجتمع مع من؟ وأين عقد الاجتماع وماذا جرى فيه من نقاش وحوار، وما النتيجة التي أسفر عنها.

ولن نخوض في تفصيلات ذلك كله إلا بما يساعد في كشف ما جرى أمام أعيننا وصولاً إلى صدور ضمانات بوش لشارون. على أن هناك ملاحظة جديرة بالتسجيل وهي أن مركز الصهاينة لم يكن قوياً في بريطانيا عشية نشوب الحرب العالمية الأولى، ولكن الصراع الدولي الذي استعر بنشوب هذه الحرب، ومحاولة الصهاينة أن يلعبوا ويتلاعبوا بجميع القوى الأساسية المشاركة في هذه الحرب: ألمانيا وتركيا وروسيا وفرنسا وبريطانيا، وحرص الأخيرة على الاستقواء بالصهاينة وكسب تحالفهم بدلاً من أن تفوز به القوى الأخرى، كل هذا دفع بريطانيا إلى احتضان الحركة الصهيونية. وقد كانت بريطانيا منذ ١٨٤٠ حريصة على فكرة إنشاء كيان غريب في المنطقة يفصل بين مصر وبقية أجزاء الوطن العربي، في حين يقال إن نابليون حين غزا مصر في ١٧٩٨ وتطلع إلى احتلال الشام، دعا "اليهود" إلى القدوم للمنطقة.

على أية حال، أعتقد أنه لا كفاءة الصهاينة، ولا ألاعيبهم وحيلهم كانت قادرة على استصدار "وعد بلفور" والحصول عليه من بريطانيا لولا الشخصيات

البريطانــية الحاكمة من أصحاب الميول الصهيونية، سواء في ذلك "لويد جورج"، أو "هربرت صمويل" أو "آرثر جيمس بلفور" أو "سكوت" وغيرهم وغيرهم، وعلى الجانــب الأمريكــي هــناك شخصيتان لعبتا دوراً مؤثراً في إصدار "وعد بلفور" بالمضــمون الــذي صــدر به هما "برانديز" رئيس اللجنة التنفيذية المؤقتة لشؤون الصهيونية العامة، و"فليكس فرانكفوتر" من المحكمة العليا الأمريكية. وتروي كتب الــتاريخ أن "برانديــز" كان عضواً في الحزب الجمهوري الأمريكي، ولكنه هجره وانضــم إلــى الحزب الديمقراطي، وبذل جهداً كبيراً في الحملة الانتخابية للرئاسة لصــالح "وودرو ويلسون"، وتوثقت العلاقات بينهما "وأصبح من أبرز مستشاريه، وعيــنه ويلســون عام ١٩١٦ في أحد المناصب بالمحكمة العليا". ويقرر الدكتور "محمــود حســن صالح منسي" في دراسته الممتازة عن "تصريح بلفور" أن صلة برانديز الوثيقة بالرئيس ويلسون كانت أداة استغلها زعماء الصهيونية في لندن في مباحــثاتهم مــع الحكومة الأمريكية" من أجل الحصول على تأييدها لمشروع وعد بلفور.

كــان هــذا فــي ١٩١٧. أما في ٢٠٠٤ فما أكثر الصهاينة في دوائر البيت الأبيض وفي داخله. وقد كان لهؤلاء أدوار مؤثرة في صدور "وعد بوش".

١٢-٥-٢٠٠٤

بلفور.. إليكم الحقيقة!

"فلسطين: إليكم الحقيقة" واحد من أهم الكتب عن قضية فلسطين، إنه – كما يقول مترجمه –كالدرة اليتيمة التي لا يحط من قيمتها توالي الأحقاب. والكتاب مؤلفه صحفي بريطاني يدعى ج . م . ن جفريز. وقد ترجمه إلى العربية المترجم الفلسطيني القدير أحمد خليل الحاج، وراجعه أستاذنا الدكتور محمد أنيس رحمه الله، وصدر في القاهرة في أربعة أجزاء في عام ١٩٧١. لا أستطيع أن أفي الكتاب حقه في غزارة المعلومات ودقتها، وتوثيقها. أتمنى أن يعيد ناشر همام طباعة هذا الكتاب.

عدت إلى هذا الكتاب بالذات بمناسبة الضمانات التي منحها بوش لشارون، لأن إحدى النقاط الجوهرية فيه أنه يكشف أن صياغة"وعد بلفور" جرت على جانبي الأطلسي، أي كانت لأمريكا أياد غير بيضاء في ذلك.

في ١٩١٦ اشتعلت نيران الحرب التي قدح زنادها الشريف حسين ضد الأتراك. وفي أثناء ذلك، كانت قضية أخرى تحرز تقدماً، كما يصفها"جفريز" الذي يضيف:"كانت الدهقانة الجميلة العاهرة.. الصهيونية تعرض مفاتنها على هذا البلد أولاً ثم ذاك، وكانت تنظم نفسها في الولايات المتحدة بنجاح كبير، الأمر الذي كان يعني شيئاً كبيراً بالنسبة لها".

لن أستطيع هنا أن أرصد كل ما أورده الكاتب البريطاني عن دور الولايات المتحدة الأمريكية في إصدار"وعد بلفور" وسأكتفي بنقاط متفرقة سأنقلها بلغة مترجمها، ولن أتدخل فيها إلا لكي أربط الأجزاء ببعضها، علماً بأن"جفريز" في هذا الجزء من كتابه لا يعتمد إلا على مصادر صهيونية، سواء في ذلك كتب أو"مقالات بأقلام صهاينة أو تقارير صادرة عن المنظمة الصهيونية العالمية. ومن أسف أننا نحن العرب لم نقرأ هذه الوثائق ولم نتعرف عليها، ويكفي أن يوميات هرتزل الكاملة لم تترجم إلى العربية، ولا"التجربة والخطأ" لحاييم وايزمان، فضلاً عن عشرات وربما مئات الكتاب والسياسيين وعلى رأسهم"بن جوريون"الذي لا تزال بعض الهيئات العربية تعتبر ترجمة كتبه"سرية" أو"محدودة التداول"!!

إن أول اجتماع عقد في فبراير ١٩١٧ لوضع مشروع الوعد قد أرسلت محاضره فوراً وبالشفرة إلى المنظمة الصهيونية في الولايات المتحدة. وكان امتياز استعمال الشفرة الرسمية هذا امتيازاً منطقياً بكل تأكيد. إذ بدأت المنظمة الصهيونية في الولايات المتحدة يكون لها يد في رسم السياسة البريطانية وفي تنظيم الشؤون البريطانية.

وفي أبريل من ذلك العام توجه اللورد بلفور إلى الولايات المتحدة وكان الهدف الأساسي من هذه الزيارة هو توثيق العلاقات مع ذلك البلد.. ولكن كان في

ذهـنه هدف أقل وهو دفع المشروع الإنجليزي -الأمريكي الصهيوني إلى الأمام. فقـابل المسـتر"برانديـز" الزعيم الصهيوني المتمتع بثقة الرئيس ويلسون، وورقة الصـهيونية الرابحة في الولايات المتحدة، ويبدو أن السيد القاضي"برانديز" قد أخذ يؤكـد لبلفور باستمرار طوال إقامة البعثة البريطانية، رغبة الصهاينة في أن يروا إدارة بريطانـية تنصَّـب على فلسطين.. فقد كان الاتجاه عندئذ هو إقامة نوع من الإشـراف المشترك البريطاني -الصهيوني على فلسطين: يأخذ اليهود البلاد، ويقع على عاتقهم عبء تنظيمها كله، ولكن يعملون على مدى السنوات العشر أو الخمس عشـرة التالـية فـي ظل نظام من حماية بريطانية. وقد تبنى برانديز والصهاينة الأمـريكان هـذا المشروع ولقنه برانديز للرئيسالأمريكي "ويلسون". وقد عارض الصهاينة تقسيم فلسطين بين انجلترا وفرنسا.

إن جـزءاً كبيراً من العمل الذي تم في الولايات المتحدة يرجع إلى ما قام به المستر لويس برانديز الذي كان قد أصبح آنذاك أوسع الصهاينة نفوذاً في ذلك البلد وأخطـرهم شـأناً وقـد بحـث برانديـز مستقبل فلسطين مع السفيرين الفرنسي والبريطانـي فـي واشنطن وتبعاً لذلك، يمكن القول بأن الصهيونية قد بدأت كقوة عالمية في الولايات المتحدة.

ونصـل إلى فصل الخطاب، أي صياغة وعد بلفور. وهنا يقرر جفريز: في انجلـترا دبجـت صـور كثـيرة مخـتلفة مـن قـبل أعضاء كثيرين في اللجنة السياسية"الصهيونية" للمقولة المقترحة.. وأخذت المسودات تروح وتجيء من مكتب الخارجـية وإلـيه. وكذلك راحت وجاءت عبر المحيط. وقد دُبج عدد كبيرمن هذه المسـودات فـي لـندن وأرسل به عن طريق رسائل مكتب الحرب الخاصة إلى الولايات المتحدة، لكي تستعين بها اللجنة السياسية الصهيونية الأمريكية. وقد ساهم الرئـيس ويلسون نفسه في هذه الصياغة، أو أنه قد قام، على الأقل، بإيلاء الصور التـي جـاءت مـن انجلترا عيناً مدققة ومراجعة ممحصة وبناء عليه اتسع ميدان المناقشـة الدولية فقدمت جميع المسودات التي صيغت لهذا التصريح المقترح إلى البيـت الأبيض للموافقة عليها. والمسوَّدة النهائية لـ"وعد بلفور" قد جرى تعديلها.. وبعـد التشـاور مـع القاضي برانديز قدمت إلى الكولونيل هاوس الذي نقل هذه الصـورة إلـى الرئـيس ويلسون. فأصدرت وزارة الحربية البريطانية هذا النص النهائـي بـناء علـى موافقته وعلى طلب صريح منه، أي من الرئيس الأمريكي ويلسون!!

ومن ويلسون إلى بوش لا تزال التصريحات متواصلة.

١٣-٥-٢٠٠٤

غـــزة.. تحيـة

مــرة أخرى، ومضطراً، أتوقف عن الحديث - الذي تواصل على مدى شهر -عن خطورة ضمانات بوش لشاورن، والوقفة ليست بعيدة ولا منقطعة الصلة بما نحــن فــيه، كــيف ونحــن اليوم في الخامس عشر من مايو، ذكرى الاغتصاب، اغتصــاب فلسطين، لا الاغتصاب في أبوغريب، وذكرى إنشاء الكيان الصهيوني، وهـــي الذكــرى السادســة والخمســون. هنا، واليوم، لن أقدم كشف حساب عما حققــته"إســرائيل" وعمــا لم تحققه، عن المكاسب والخسائر، عن الإنجاز والفشل، ولكــن ســأتحدث عن"إسرائيل اليوم"، في هذه اللحظة التي تلطم فيها الخدود وتشق الجــيوب وتصــرخ وتولــول، وتنصب مأتماً لا يرتاده معزون، لأن كل إسرائيلي يعزي الآخر، ويكاد يقول له: "سلامة راسك" أو انج سعد، فقد هلك سعيد!!

لقــد قــرأت مقتطفات من صحف"تل أبيب" في الأيام الثلاثة الماضية فأثارت دهشــتي، علــى الــرغم من أني أزعم أني أعرف بعض ما يجري في داخل هذا الكــيان، وأعــرف أنه كيان مصطنع وهش، ومتفوق، وقد بلغ آفاق التقدم في ظل عقلــيات ظلامية متخلفة، وأعرف أنه مجتمع عسكري أو كيان مقاتل، أي جيش له دولـــة.. وهذا الجيش عقيدته عدوانية، لا تعرف إلا الضربات الاستباقية، والحرب الخاطفة.

كـــل ما أعرفه عن هذا الكيان كاد يضطرب وأنا أقرأ مقالات وكتابات كبار المحلليــن السياسيين والعسكريين فيه وهم يجمعون على الصراخ والنحيب:"ياويلنا وســواد ليلــنا". لماذا كل هذا؟. إنه نتيجة لتفجير ناقلتي جنود مدرعتين ومقتل ١١ جندياً، تطايرات أجسادهم أشلاء، فتعالت الصيحات بالخروج من غزة. وتشكلت - فوراً - حركات احتجاج مثل"الأمهات الأربع" كما حدث من قبل بالنسبة للانسحاب مــن لبــنان، وكذلك حركة"ثلاثة آباء" ، والنداء: الخروج من غزة فوراً. وبسرعة أيضـــاً ارتفعت أرقام المطالبين بالانسحاب من ٦٢ في المائة في ٤مايو الحالي إلى ٧١فـــي المائة في استطلاع نشرت نتائجه-أمس، والغريب أن هذه النسبة في داخل "اللـــيكود" ارتفعت من ٥٥% إلى ٦٣% وانخفضت نسبة معارضي الانسحاب بين أعضاء الليكود من ٤١% إلى ٣٢%!!.

إنها المقاومة ولا شيء غيرها. قد تهدأ، قد تتوقف حيناً، أو تتعطل حيناً آخر، ولكـــنها أبداً لن تموت، لأنها ببساطة إرادة شعب قرر أن يتحرر، أن يستقل، وأن

تكــون له دولــة لائقة به، وليست الدولة المقطوعة الأجزاء بالمستوطنات والطرق الالتفافية التي يريد البعض أن يمن بها عليه.

من المؤكد أن أحداً في الجانب الفلسطيني، والعربي، لا يريد إراقة المزيد من الدمــاء، ولا الخــراب الــذي يصــنعه شارون وجيشه في غزة. ولكن هذا شيء والاستســلام شـــيء آخر، اليوم وفي هذه اللحظة بالذات يجب أن تتراجع أصوات الخائفيــن والمذعورين والمتباكين على ما يسمونه"السلام".. السلام الحقيقي، سلام الــتحرير والعــودة والاســتقلال، هــو مطلب شعب وإرادة أمة، ولم يدفع الشعب الفلســطيني كل هذا الثمن من الدم والدمار من أجل تسوية خائبة أو استقلال شكلي أو انسحاب صوري.

العــدو قوي .. نعم، وقادر على الضرب والعدوان والتخريب والتدمير..نعم، ولكن ماذا لديه بعد ذلك؟ إذا كان يريد الأمن والاستقرار يجب أن يراجع نفسه وأن يــتراجع عــن عدوانيته، ويوقف وحشيته ضد النساء والأطفال والشيوخ والعجزة، وضد الديار والبيوت والمنازل والبيارات.

والتحــية واجــبة لشعب صامد، ومدافع عن أمة لا يزال ينتظر أن تفيق من سبات عميق، أصبح مثل نوم أهل الكهف.

٢٠٠٤-٥-١٤

أسرار مكشوفة !!

جميع الخطوات واللقاءات والحوارات والصياغات والتعديلات على الصياغات التي خرجت في النهاية بالنص والمضمون الذي خرج به "وعد بلفور" في الثاني من نوفمبر ١٩١٧، كل هذا أصبح من قبيل "الأسرار المكشوفة" حسب عنوان كتاب للكاتب والسياسي الإسرائيلي الراحل "إسرائيل شاحاك" . وهذه الأسرار كشفها الصهاينة أولاً ، وقبل أي طرف آخر . وقد حدث هذا خلال سنوات . ولكن الشهور من فبراير ١٩١٧ إلى نوفمبر من ذلك العام كانت " شهور الحسم " ، وتم الحسم والعرب عنه غائبون ومغيبون.

وهنا، فإن السؤال الذي لم يطرحه أحد منذ ١٤أبريل ٢٠٠٤ ، تاريخ صدور ضمانات بوش لشارون، هو: أين كان العرب؟ هل لم يسمعوا عن اتصالات جرت؟ ولقاءات تمت؟ وصفقات أبرمت؟.

الصهاينة أنفسهم أعلنوا غداة فوزهم بالضمانات أن الاتصالات بشأنها جرت منذ أكتوبر ٢٠٠٣!. في الشهور الممتدة من أكتوبر هذا إلى أبريل ٢٠٠٤ أين كان العرب؟ أين كانت أجهزة استخباراتهم؟ وسفاراتهم في واشنطن،(وفي تل أبيب أيضاً)؟ أستطيع أن أتوقع أن يكون هناك دبلوماسي عربي من هذا البلد أو ذاك قد "شمّ" خبراً ، وشمر عن ساعديه وأبلغ المسؤولين عن الأمر في بلده . وربما يكون البلاغ قد ضل طريقه، أو تسرب هنا أو هناك، أو وقع في يد لم تدرك خطورته ولم تحسن التصرف ، فوضعت الرسالة في " الحفظ والصون".

وإلى أن يأتي من يكشف عن ذلك، ويتقصى الأمر عسى أن يعثر على مكاتبات أو مراسلات ورسائل شفوية أو مكتوبة، فإني لا أملك سوى"الأسرار المكشوفة" والمنشورة على صفحات الصحف.. وسأعتمدها هنا على صحيفة وحيدة هي "الأهرام" ألتقط بعض أخبارها، وسأكتفي، غالباً، بالعناوين:

- " في يوم الجمعة ٢٧ فبراير ٢٠٠٤ : " بوش يتطلع إلى زيارة مبارك لبحث الأوضاع في المنطقة ودعم العلاقات الثنائية – واشنطن تؤكد التزامها بدفع عملية السلام وعدم فرض إصلاحات على دول المنطقة – باول : لكل دولة خصوصيتها وهويتها. ومستعدون لدعم برامج الإصلاح

– تحقـيق السلام أولوية أمريكية بالتوازي مع تنفيذ مبادرة الشرق الأوسط الكبير" .

- وفـي الصـفحة السادسة من العدد نفسه ، تصريح في مؤتمر صحفي لـ "آلـن لارسن" وكيل وزارة الخارجية الأمريكية للشؤون الاقتصادية يقول فيه:"أهمية خاصة لزيارة الرئيس مبارك المقبلة للولايات المتحدة، وناقشنا كيفية الإعداد الجيد لها".
- فـي يـوم الأحد ٢١ مارس:"مسؤول كبير في الإدارة الأمريكية للأهرام: بـوش حريص على استطلاع رؤية مبارك للمتغيرات في المنطقة وخطط الإصلاح – مباحثات لبيرنز في القاهرة قريباً تمهيداً لقمة مبارك – بوش". (وبـيرنز هـو مساعد وزير الخارجية الأمريكية) ومن هذا الخبر أنقل ما يلي:"وفي تصريحات لـ" الأهرام" أكد مسؤول كبير في الإدارة الأمريكية أن بـوش حـريص على الوقوف على تصور الرئيس مبارك للمتغيرات الجديـدة التـي طـرأت على الشرق الأوسط بعد حرب العراق، ولخطط الإصلاح والتطوير في المنطقة العربية . وقال إن الرئيس الأمريكي يقدر خـبرة الرئيس مبارك ورؤيته لما تشهده المنطقة من تطورات، مضيفاً أن الشـرق الأوسـط الـذي سيتحدث عنه الرئيسان في قمتهما، يختلف الآن وبشـكل جـذري عـن الشرق الأوسط قبل عامين". هل قرأ أحد الجملة الأخيرة بإمعان وتدقيق؟!
- فـي يوم الأحد ٢٨ مارس:"في بيان البيت الأبيض بمناسبة زيارة الرئيس لأمريكا : بوش يتطلع للقاء مبارك ١٢ أبريل لبحث قضايا الشرق الأوسط ومكافحـة الإرهاب". وجاء في متن الخبر أن بوش يستقبل الرئيس حسني مـبارك والملـك الأردنـي ورئيس الوزراء الإسرائيلي "في ثلاثة لقاءات منفصـلة ضـمن جولـة جديـدة من الجهود الدبلوماسية الأمريكية لبحث الأوضاع في الشرق الوسط وتطورات القضية الفلسطينية". واللافت للنظر أن نبأ الزيارات الثلاث نشر في يوم نشر نبأ تأجيل قمة تونس!
- وفـي يـوم الجمعـة ٢ أبريل، العنوان الرئيسي في "الأهرام" هو:" حوار اسـتراتيجي مصـري – أمريكي تمهيداً لزيارة الرئيس مبارك لواشنطن نهايـة الأسبوع المقبل وقمته مع بوش ١٢ أبريل، وقد تأجل الحوار بسبب وعكـة أصابت وزير الخارجية المصري! وفي اليوم نفسه وفي الصفحة

الأولـــى نفســـها من الصحيفة ذاتها عنوان يقول :" المبعوثون الأمريكيون يناقشـــون خطـــة " فـــك الارتباط" مع قريع وشارون - ضمانات أمريكية لإســـرائيل بعدم إجبارها على العودة إلى الخط الأخضر". ونقلت "الأهرام" في نبئها هذا عن صحيفة "هآرتس" الإسرائيلية تفصيلات خطاب الضمانات التي سيحصل عليها شارون مقابل تنفيذ خطة فك الارتباط في غزة!!"

- إذن علـــم مـــن لم يعلم، وعرف من لم يعرف. وكان هذا يقتضي وقفة ما، وإجراء ما لوقف هذه الضمانات أو قطع الطريق عليها. وهذا ما لم يحدث مـــن أي بلد عربي، أو من أي مسؤول عربي، حسبما هو مذاع، ومعلن، حتى كتابة هذه السطور !

١٥- ٤ - ٢٠٠٤

لقاء كراوفورد

(١)

هـل كـان ترتيب الزيارات الثلاث عملاً مقصوداً من جانب واشنطن بحيث يذهـب الرئيس حسني مبارك أولا ، ثم – وهو لا يزال في أمريكا – يصل آرييل شارون ، ويأتي بعده الملك الأردني؟

لمـاذا لـم تأخذ الدبلوماسية المصرية ، والهيئات المصرية الأخرى ، هذا في الاعتـبار، خاصـة وأن نبأ الضمانات أصبح ذائعاً ومعروفاً، وقد نشرتها "الأهرام" نقـلاً عـن "هـآرتس"، ولـم يختلف ما نشر عما صدر فيما بعد إلا في الصياغة والتعبير، فضلاً عن أن نبأ المسعى الإسرائيلي للحصول على هذه الضمانات قد بدأ في أكتوبر ٢٠٠٣، وتكثف منذ ديسمبر من ذلك العام؟

عـند هـذا الحـد، كان يجب التنبه، وكان يجب أن يصدر أو يتخذ إجراء ما اعتراضاً أو احتجاجاً أو رفضاً لإصدار بيان الضمانات .

لـم يحدث علناً شيء من ذلك. بل حدث كالعادة تهليل إعلامي واسع، وحديث مكـرر معـاد عن الزيارة التاريخية وعن الاستقبال أو التكريم الخاص الذي أعده الرئـيس بـوش للرئيس مبارك حيث يستقبله في مزرعته الخاصة في"كراوفورد"، وهـذه مكرمة لا ينالها إلا أقرب المقربين، ومن يريد الرئيس الأمريكي أن يستمع إلى تقديراتهم الحكيمة، ويتطلع إلى لقائهم.

وبـدأت الزيارة . وتم اللقاء. وانهالت المقالات المطولة والتحليلات العبقرية مـن كبار الصحفيين الرسميين، فضلاً عن التغطيات الإذاعية والتليفزيونية . ولعل مطالعـة العناويـن الرئيسية(المانشتات) لأكبر صحيفة مصرية، أي "الأهرام" تغني عن كثير يمكن قوله:

- في يوم السبت ١٠ إبريل ٢٠٠٤ :"مبارك يؤكد في لقائه مع بوش بعد غد أهمـية الانسـحاب الإسرائيلي الشامل ونقل السلطة للعراقيين وفق جدول زمنـي محـدد –ضرورة مراعاة وجهة النظر العربية حول الإصلاح من خـلال الحـوار والـنقاش – دعم العلاقات الثنائية في مقدمة قضايا القمة المصرية – الأمريكية".
- فـي يـوم الأحـد ١١أبريل : "قمة مبارك –بوش غداً في تكساس تتناول قضـايا الشـرق الأوسـط والإصـلاح في المنطقة – بيان مشترك عقب

مباحثات الزعيمين حول الرؤى الاستراتيجية لمستقبل التعاون بين البلدين – الرئيسان يعقدان ٣ لقاءات تدور حول المحاور الآتية: بحث خطة شارون للانسحاب من غزة ودعم السلطة الفلسطينية لتتحمل مسؤوليتها – مناقشة تأثير التطورات الأخيرة في العراق على تسليم السلطة إلى حكومة وطنية – تبادل الرأي حول مبادرة "الشرق الوسط الكبير" وضرورة أن ينبع الإصلاح من الداخل".

في اليوم نفسه، نشرت "الأهرام" نبأ بعنوان"شارون في واشنطن غداً لإقناع بوش بفك الارتباط مع الفلسطينيين" لم ترد فيه كلمة وحيدة عن ضمانات ينتظر أن يحصل عليها شارون من بوش. في حين أن الموضوع الرئيسي في صحيفة "هآرتس" الإسرائيلية في اليوم نفسه تقول:

"مساع لإكمال إعلان بوش عن الحدود الدائمة قبل سفر شارون إلى واشنطن". وتناول النبأ رسالة من بوش إلى شارون تتضمن إلى جانب أجزاء أخرى :"التصريح بأن إسرائيل لن تكون مطالبة في المستقبل بالانسحاب إلى خطوط الهدنة في العام ١٩٤٩ (الخط الأخضر) في الضفة الغربية ، وتحديد الحدود في الاتفاق الدائم سيأخذ في الاعتبار "الواقع الديموجرافي" الناشئ على الأرض، والتصريح بأن اللاجئين الفلسطينيين بوسعهم أن يستوعبوا في المستقبل في دولة فلسطينية، مثلما استوعب اللاجئون اليهود من البلاد العربية في إسرائيل.

ولم يقف ما نشرته الصحيفة الإسرائيلية عند هذا الحد، بل أضافت : "في الجانب الإسرائيلي يولون أهمية كبرى للمواقف التي ستطرحها الولايات المتحدة بالنسبة للاتفاق الدائم، ويرون فيها اعترافاً بضم مستقبلي للكتل الاستيطانية ، وبرفض المطلب الفلسطيني بعودة اللاجئين . وفي الآونة الأخيرة، استمرت الاتصالات بين مكتب رئيس الوزراء والبيت الأبيض".

ولم يختلف ما نشرته "معاريف" و" يديعوت أحرونوت" عما أوردته "هآرتس" بشأن التصريح من بوش إلى شارون.

- في يوم الاثنين ١٢ أبريل : "القمة المصرية – الأمريكية تشهد في تكساس اليوم حواراً إيجابياً شاملاً حول قضايا المنطقة – مبارك وبوش يبحثان الوضع في العراق والتطورات الفلسطينية ويضعان أسس التعامل مع تحديات المستقبل– الرئيسان يتناولان الجهود الدولية لمكافحة الإرهاب –

مؤتمـــر صـــحفي لمـــبارك وبوش في ختام مباحثاتهما اليوم – الصحف الأمريكية تؤكد أهمية دور مبارك في تسوية أوضاع المنطقة"

ونقلت "الأهرام" في صفحتها الثالثة عن صحيفة "هيوستن كرونيكل" الأمريكية قولهـــا:"إن الرئـــيس بـــوش سيطلق دفعه دبلوماسية جديدة نحو السلام في الشرق الأوســـط في وقت توقفت فيه جهود السلام بين الإسرائيليين والفلسطينيين وتفاقمت الأوضاع المتدهورة في العراق".

وأضـــافت الصـــحيفة الأمريكية ، حسب قول "الأهرام"، أن "من أقوى الدلائل على ذلك هو استقبال بوش للرئيس حسني مبارك في مزرعته الخاصة لبحث آخر عـــروض الســـلام التـــي قدمتها إسرائيل مع الرئيس مبارك، وذلك قبل أن يحملها رئيس الوزراء الإسرائيلي آرييل شارون إلى بوش بعد غد الأربعاء".

- فـــي الثلاثاء ٣ أبريل: "اتفاق مبارك وبوش على مواصلة الجهود لتحقيق السلام في الشرق الوسط وإعادة السيادة للشعب العراقي – قمة ناجحة في تكســـاس تؤكـــد عـــزم مصـــر والولايـــات المتحدة على تعزيز الحوار الإستراتيجي وبرنامج الشراكة – الرئيسان عقدا مباحثات ثنائية ثم موسعة ســـادتها مناقشـــات بناءة وصريحة وإيجابية – في المؤتمر الصحفي عقب مباحثات القمة: مبارك: أبلغت بوش قلقي من الأوضاع في العراق ومصر مقبلة على مرحلة جديدة من الإصلاح – بوش: الانسحاب الإسرائيلي من غـــزة لـــيس بديلاً عن خريطة الطريق وعلاقتنا بمصر استراتيجية ونؤكد الشراكة معها".

٢٠٠٤-٥-١٦

(٢)

وحـــدث اللقـــاء الـــذي كان يتطلع إليه الرئيس الأمريكي ليستمع إلى نصائح الرئـــيس مـــبارك. ولكن يبدو أن الاستماع هذه المرة تعطل أو "بعد فوات الأوان" حسب غلاف وعنوان مقال محمد عبد المنعم في "روزاليوسف" (العدد ١٩٥٨ في ١٧ أبـــريل ٢٠٠٤) . وهـــو مقـــال تتصادم نتائجه مع مقدماته، وإن أشار – كما أشـــارت صـــحف ومجلات أخرى "قومية" – أو حكومية إن أردنا الدقة – إلى أن اللقاء بين الرئيسين مبارك وبوش تطرق إلى ما كان سيحصل عليه شارون.

ولكن مكرم محمد أحمد في "المصور" (العدد ٤١٤٩ في ١٦ أبريل ٢٠٠٤ ، وإن كان يوزع قبل ذلك بيومين، أي أن العدد صدر قبل لقاء بوش مع شارون، ولو بساعات) كان الأدق والأوضح معلومات هنا، إذ ذكر تحت عنوان :" ماذا دار في مباحثات مبارك وبوش؟" أن الرئيس الأمريكي " عرض بعض الأفكار التي سوف تكون موضع نقاش مع شارون عندما يأتي إلى واشنطن، تتعلق بعدد من التعديلات على حدود ٦٧ بالاتفاق مع الجانب الفلسطيني، وحصر حق عودة اللاجئين في إطار الدولة الفلسطينية الجديدة، لكن هذه القضايا خضعت لنقاش طويل من جانب الرئيس مبارك وأسئلة عديدة من أعضاء الوفد المصري الذي تمسك بضرورة ألا يمس أي من هذه الضمانات قضايا التسوية النهائية، أو يصادر عليها".

واللافت للنظر أن المؤتمر الصحفي الذي عقده الرئيس مبارك مع بوش لم يتطرق بكلمة واحدة إلى ذلك. ولكن إبراهيم سعده في إحدى مطولاته في " أخبار اليوم" (العدد ٣١٠٢، في السبت ٧ أبريل) حاول أن يستنطق المؤتمر الصحفي ما ليس فيه فقال مثلاً :

" في الكلمة التي ألقاها الرئيس مبارك – عقب انتهاء جولة مباحثات مع الرئيس الأمريكي في مزرعته – حرص الرئيس على أن يعلن رأيه – مسبقاً – فيما تخطط له الولايات المتحدة وإسرائيل منذ عدة أسابيع ولم يكن خافياً على القيادة المصرية. سمعنا الرئيس يقول:" لقد ناقشت مع الرئيس بوش مسؤولياتنا المرتبطة بعملية السلام في الشرق الوسط . وقد أعربت عن رغبتي القوية في أن تواصل الولايات المتحدة دورها بعزم وتصميم متزايدين من أجل تحقيق رؤيتنا المشتركة للتسوية القائمة على دولتين متجاورتين إسرائيلية وفلسطينية، في أقرب وقت وفي إطار تسوية شاملة وعادلة للصراع العربي – الإسرائيلي".

أين هي الصلة بين كلام الرئيس مبارك هذا، وبين ما كانت تخطط له أمريكا وإسرائيل منذ أسابيع ، حسب قول "إبراهيم سعده"، بينما الأصح – كما سنوضح اعتماداً على المصادر الإسرائيلية – أن " الطبخة" كانت تحت الإعداد منذ شهور وليس منذ عدة أسابيع، يبدو أن " سعده" لديه قدرة خاصة على اكتشاف ما لم نكتشفه نحن أصحاب الفهم العادي. ومرة أخرى يستوقفنا قوله :" لم يكن خافياً على أحد أن الرئيس مبارك كان على علم بالمخطط الإسرائيلي الشاروني لإجهاض عملية السلام، عندما أضاف في كلمته قائلاً :" لقد أوضحت للرئيس بوش محورية تسوية الصراع لشعوب المنطقة، وأكدت له اقتناعنا بأن إحياء آمال السلام من خلال جهودنا الدؤوبة لإعادة عملية السلام إلى مسارها يعتبر أمراً محورياً لتعزيز فرص نجاح جهود الإصلاح والازدهار في المنطقة ..." إلى آخر ما سطره إبراهيم

سـعده ، وحاول خلاله أن يضفي على الكلام ما ليس فيه، ولا من جنسه. وإن كان هذا الكلام قد أثار نقطة مهمة بل وجوهرية، حين ذكر أن الرئيس مبارك كان على علم بالمخطط الإسرائيلي الشاروني لإجهاض عملية السلام. في حين يتحدث مكرم محمـد أحمـد عن "دهشة المفاجأة التي أخذت الرئيس مبارك عندما فاتحه الرئيس بـوش فـي عـزمه علـى مسـاندة خطـة شـارون واستعداده لأن يقدم له هذه الضـمانات"(المصـور ، العدد ٤١٥٠ في ٢٣ أبريل ٢٠٠٤) ثم يضيف :"ووسط صـدمة المفاجـأة، لم يجد الرئيس مبارك بداً من أن يعلن على الملأ موقف مصر بوضـوح كـامل وهو لا يزال في الولايات المتحدة سواء في أحاديثه إلى الصحف الأمريكـية أو مقابلاته مع محطات التليفزيون الأمريكية، أو في المحاضرة المهمة التي ألقاها في جامعة رايس وسط حشد ضخم من أساتذة الجامعة والمهتمين بشؤون الشـرق الأوسط، والتي تم تغييرها في اللحظة الأخيرة لتؤكد اعتراض مصر على الموقـف الأمريكـي وتحذيـرها الواضح من مغبة المخاطر المتوقعة، وكانت قمة الطـرح المصري فقرة مهمة أضيفت في آخر لحظة إلى الخطاب، شكلت جوهره ومضـمونه ورسالته. تقول الفقرة المضافة كما أعلنها الرئيس مبارك وسط تصفيق حاد للحاضرين : "ولأن الإطار الزمني لقيام الدولة الفلسطينية غير محدد فلابد من أن يكون واضحاً أن التعامل الآن ، مع أي من القضايا المتعلقة بالحل النهائي وهي الحـدود والأمن واللاجئون والقدس والمياه، أو مجرد تقديم ضمانات حول أي من هـذه القضـايا سيشـكل حـرماناً لأحد الطرفين من حقوقه المشروعة غير القابلة للتصرف..".

"مكرم" يحترم قارئه ويقدر مهمته، ولذلك يتحدث بوقائع محددة دون "فهلوة" لا يلجـأ إلـيها إلا من تعوزه المعلومات، ويخلو جرابه من الوقائع، كما يورد رئيس تحريـر "المصـور" واقعـة ذات دلالـة خاصة فيما سيأتي من تطورات بعد هذه الأحـداث، فـيقول:"اتصل وزير الخارجية الأمريكي كولين باول بالرئيس مبارك يحـاول تخفـيف وطـأة ما حدث، مؤكداً أن أياً من الضمانات التي تحدث عنها الرئـيس الأمريكـي مشروط بموافقة الطرف الفلسطيني، وكان رد الرئيس مبارك "وماذا يملك الفلسطينيون حيال أمر واقع يستند إلى القوة؟"".

والجديـر بالذكـر أن عـنوان مقـال مكـرم محمد أحمد هو :" بوش صدم المصـريين وأغضـب العرب وأثار استياء الأوروبيين". وتعبير " صدم" مقصود، خاصة حين نصل إلى سؤالين طرحهما وأجاب عليهما على النحو التالي:

**"هـل كـان يمكـن للرئيس مبارك أن يأتي إلى هيوستن لو أن الأمريكيين أطلعوه مسبقاً على تفاصيل ما تضمنته الخطابات المتبادلة بين شارون وبوش؟!.

** أشك كثيراً.

* وهـل رتب الأمريكيون زيارة الرئيس للولايات المتحدة التي كانت مقررة قبل شهرين كي تتوافق مع وصول شارون؟!.

** أعـتقد أن شـيئاً من ذلك ربما يكون قد حدث لأنه عندما تم ترتيب زيارة الرئـيس مبارك لم يكن واضحاً لدى الجانب المصري أن شارون سوف يأتي بعده بيوم واحد".

ومـع كل الاحترام لمقام الرئاسة ، ومع كل التقدير لرصانة مكرم محمد أحمد وتدقـيقه فـإن هـذا الكـلام معـناه أنه ليس لنا عقول، ولا يصدق عليه إلا المثل المعـروف:إن كنت تدري فتلك مصيبة، وإن كنت لا تدري فالمصيبة أعظم !! لأن نـبأ هذه الضمانات ذائع ومنشور قبل "الزيارات" بوقت غير قصير، كما أن ترتيب الـزيارات الـثلاث كـان مـن شأنه أن يثير الريبة، ويدفع إلى الحذر، ويدعو إلى الاحتـياط. خاصـة وأن التقالـيد المعـروفة في أنحاء العالم كله هي أن ترتيبات وإجراءات وتفصيلات لقاءات الرؤساء تكون محددة من ألفها إلى يائها قبل أن يتم اللقاء الذي يكون عادة تتويجاً لما تم الاتفاق عليه.

وحيـن يقـال إن رئـيس مصر صدم أو فوجئ ، فإن السؤال : أين الأجهزة والوزارات والهيئات المسؤولة عن ترتيب مثل هذه اللقاءات والزيارات؟ أين ديوان الرئاسـة؟ ومستشـارو الرئاسة وأجهزة الأمن العديدة والمعقدة ؟ وأين من يقرأون صـحف العـدو، ويطالعون ما تنشره من أنباء وتحليلات؟ وأين.. وأين ؟! ..أم أن هذه الأجهزة والهيئات تخفي الحقائق والمعلومات عن الرئيس؟

١٧- ٥ - ٢٠٠٤

(٣)

لا أكـاد أتصور، وأعتقد أن كثيرين يشاركونني في عدم تصور أن الأجهزة المصـرية المخـتلفة والمتعددة، الدبلوماسية والأمنية، العلنية والسرية، لم تكن تعلم بالمحادثات الإسرائيلية - الأمريكية حول ضمانات من بوش لشارون؟.

هذه واقعة ليست بسيطة أو هينة، لأنها تعني أن الخلل استفحل، لدرجة لم نعد معها ندري شيئاً عن شيء مما يجري حولنا، ومعنا، وضدنا، وعلى حسابنا.

وبعـد أن صدر ما صدر عن لقاء بوش وشارون في يوم الأربعاء ١٤ أبريل ٢٠٠٤، بينما كان الرئيس مبارك لا يزال على الأرض الأمريكية لم يغادرها بعد،

توالـت التصريحات والخطب والأحاديث التي تؤكد ضرورة الانسحاب إلى حدود ٦٧ وحـل مشكلة اللاجئين واحترام حق العودة، كما تعلن أن التصور الذي طرحه بـوش وشـارون يتجاوز القرارات الدولية، وأنه تصور ليس أمامه فرصة للتنفيذ (انظر الأهرام في يوم الجمعة ١٦ أبريل ٢٠٠٤).

فـي ظني أن هناك ردوداً كانت أكبر تأثيراً كان يجب اللجوء إليها، أو حتى الـتلويح بهـا، بشـكل أو آخر، مثل مغادرة الولايات المتحدة فجأة، وفور إعلان الضـمانات. أعـرف أن المعوّقين والذين لا يأتون البأس إلا قليلاً وأعضاء "فريق الماريـنز الإعلامـي" سيقولون إن هذا تصرف غير لائق، وضار ويمثل خروجاً على حدود علاقات الصداقة مع الولايات المتحدة.

والـرد علـى مثل هذا القول بسيط، فهل مصر أكثر تبعية اليوم من الأردن لأمـريكا، وأكـثر انصياعاً وانبطاحاً أمام رب البيت الأبيض من المملكة الأردنية الهاشمية؟!

مـنذ البداية، كان الملك الأردني أسعد خط، أو كانت أجهزته وبلاطه وديوانه الملكـي أكـثر درايـة، فقد كان ترتيبه الثالث - بعد الرئيس مبارك، وبعد رئيس وزراء الكيان الصهيوني - في اللقاء مع الرئيس الأمريكي، وكان الفاصل بين لقاء بـوش وشـارون ثـم لقائـه مع عبدالله يصل إلى أسبوع، ومع ذلك "قطع العاهل الأردنـي الملك عبد الله الثاني زيارته للولايات المتحدة وعاد إلى عمان.. بصورة مفاجـئة، فيما يبدو كاحتجاج دبلوماسي على موقف واشنطن من النزاع العربي - الإسـرائيلي، كمـا أرجأ الملك عبد الله اجتماعاً كان مقرراً له (اليوم) مع الرئيس الأمريكـي جـورج بـوش إلى الشهر المقبل. وبررت مصادر أردنية عودة الملك عبدالله، لاستيضاح الموقف الأمريكي من النزاع الفلسطيني - الإسرائيلي" (الشرق الأوسط، طبعة القاهرة، ٢١ أبريل ٢٠٠٤).

وأشـارت "الشـرق الأوسـط" إلى بيان أصدرته سفارة الأردن في واشنطن، وقالـت فيه إن التأجيل سيسمح "للمسؤولين الأردنيين بمواصلة المحادثات الجارية مـع مسـؤولي الإدارة الأمريكية لاستيضاح الموقف الأمريكي فيما يتعلق بقضايا الوضـع النهائي خاصة في ضوء التصريحات التي صدرت مؤخراً عن مسؤولين أمريكيين". كما أشارت الصحيفة نفسها إلى رد فعل هذا الإجراء في داخل الأردن، وقالـت إن الأوسـاط السياسـية والحزبية الأردنية "استقبلت قرار العاهل الأردني بتأجيل لقائه مع الرئيس بوش بارتياح واسع عبرت عنه الفعاليات السياسية والنيابية

والحزبية التي أبدت تقديرها لهذه الخطوة التي اعتبرتها "شجاعة" بعد تصريحات الرئيس الأمريكي واغتيال إسرائيل قائد حماس في غزة عبد العزيز الرنتيسي.. ويقارن الأردنيون ما جرى بالخطوة المشابهة التي اتخذها الملك الراحل حسين عام ١٩٧٨ عندما عاد من واشنطن من دون مقابلة الرئيس الأمريكي جيمي كارتر آنذاك، بعد أن تلكأ الأخير في تقديم إجابات على رسالته بخصوص اتفاقية كامب ديفيد التي أبرمت بين مصر وإسرائيل، حيث خرجت الجماهير الأردنية في شوارع العاصمة عمان لاستقبال الملك حسين بعد عودته المفاجئة من واشنطن".

ولابأس من أن نستطرد في الاقتباس من "الشرق الأوسط" التي قالت: "يجمع الأردنيون بكافة أطيافهم السياسية على أهمية خطوة الملك عبدالله معتبرين أنها رسالة قوية جداً إلى الإدارة الأمريكية من أقرب حلفائها في المنطقة العربية ويجب أن تحدث تغييراً في سياسة الرئيس بوش تجاه عملية السلام التي اختل توازنها في الأسبوع الماضي.

لكن الاختلاف ظهر واضحاً في تقدير الرأي العام وقواه السياسية للخطوة اللاحقة، ورغم ميل القسم الأكبر إلى تصعيد الضغط على الولايات المتحدة من دون قطع شعرة معاوية إلا أن المعارضة الأردنية تريد قطع تلك الشعرة والدخول في مواجهة سياسية. وتعتبر الناطقة الرسمية باسم الحكومة "أسمى خضر" أن الموقف الأردني جاء نتيجة لقناعته بأن البيئة الحالية في واشنطن غير مواتية لإجراء حوار على مستوى القمة يكون له نتائج إيجابية".

فهل تعلم الأردنيون كيف يتعاملون مع الأمريكيين الذين لا يحترمون من يقول لهم نعم.. نعم على طول الخط، ويقدرون من يقول لهم: لا؟!

ولكن "اللعبة الأردنية" لها حدودها، وقيودها، التي لا يمكن أن تتخطاها أو تخرج عليها. فقد كررت الأردن ورددت أنها ستحصل على "ضمانات " أو "تطمينات" تبطل ما حصل عليه شارون. ولكن الجبل تمخض فولد فأراً، وجاءت الرسالة هزيلة لا تبطل ضمانات ولا تلغيها، ولا حتى تمنح مثلها أو شبيهها بل تردد كلاماً خالياً من المضمون الملموس والمحسوس. ولعل هذا ما كشف عنه خالد داود مراسل "الأهرام" في واشنطن في رسالته المنشورة في يوم السبت ١٥ مايو ٢٠٠٤، حيث ذكر أن مسؤولين أمريكيين ذكروا "أن العاهل الأردني اشترط الحصول على الخطاب قبل التوجه إلى واشنطن، وطالب بأن يتعهد فيه الرئيس الأمريكي بالدعوة إلى تعويض اللاجئين الفلسطينيين الذين طردوا من مدنهم

وقـراهم بعد قيام إسرائيل عام ١٩٤٨، وبرغم أن الخطاب لم يتضمن هذا المطلب، واكتفى بترديد الموقف الأمريكي الرسمي من أن قضايا الحل النهائي تبقى خاضعة للـتفاوض بيـن الطرفيـن ، فـإن المسؤولين الأردنيين أعربوا عن رضاهم عن الخطـاب، حيـث قدم الرئيس بوش تعهداً للعاهل الأردني بألا تؤدي أية تطورات إقليمـية في المنطقة (في إشارة إلى العراق وإسرائيل) إلى الإضرار بأمن ومصالح الأردن".

وأشـارت "الأهـرام" أيضاً إلى أن "جدلاً ثار في البيت الأبيض حول جدوى تقديـم الخطاب للأردن، وانعكس ذلك من خلال قيام السفارة الأردنية في واشنطن ولـيس البيت الأبيض بالإعلان عن محتوى الخطاب وإرساله لوسائل الإعلام". ثم يسجل مراسل "الأهرام" في واشنطن واقعة ذات دلالة وهي أنه "في نفس اليوم الذي سـلم فـيه بـوش العاهل الأردني خطاب الضمانات والذي أكد فيه تمسكه بخطة خـريطة الطـريق التـي تنص بشكل واضح على إعلان دولة فلسطينية في عام ٢٠٠٥، كـان يصـرح فـي حواره مع الأستاذ إبراهيم نافع رئيس مجلس الإدارة ورئـيس الـتحرير بأن ذلك الموعد لم يعد واقعياً ويطالب بالتركيز الآن على تنفيذ خطـة شـارون وبـناء مؤسسات الدولة الفلسطينية، أما قضايا الحل النهائي فلكل حادث حديث، وفقاً للرئيس الأمريكي".

وبـدلاً مـن أن أقول: يا ضمانات.. يا، أنقل من "خالد داود" قوله إنه بشأن قضـايا الحـل النهائـي أصدر سيد البيت الأبيض بالفعل حكمه النهائي في خطاب الضمانات الذي قام بتسليمه لشارون، ولا مانع في نفس الوقت من استرضاء الدول العربـية بتصريحات عامة تتناقض تماماً مع ما يحدث عملياً على الأرض والدعم غـير المحـدود الـذي قدمه بوش لشارون، منذ وصوله للبيت الأبيض قبل أربع سنوات.

وحـتى تكتمل صورة العرب وضماناتهم، أي الرسائل الورقية التي حصلوا علـيها مـن بـوش نشير إلى ما أوردته "الأهرام" في التاريخ نفسه من أن "إدارة الرئيس بوش قامت قبل نحو أسبوعين بتسليم خطاب ضمان مماثل (مماثل للخطاب الـذي حصـل علـيه الملك عبد الله) إلى إحدى الدول الخليجية الكبرى تتعهد فيه بحماية أمنها والحفاظ على استقرارها في مواجهة أية تطورات إقليمية مفاجئة نتيجة لما يحدث في العراق".

ويـــبدو أن تعبـــير "إحدى الدول الخليجية الكبرى" قد وضعه من راجع رسالة واشنطن، لأن الرسالة نفسها تقريباً منشورة في "الأهرام ويكلي" الذي يصدر باللغة الإنجلـــيزية، فـــي العدد الصادر في يوم الخميس ١٣ مايو وقد حدد اسم هذه الدولة وهي المملكة العربية السعودية ونسب إلى مصادر أمريكية مطلعة قولها إن المملكة طلبت وحصلت على خطاب ضمان من الرئيس بوش، ولكن مضمونه لن يذاع علناً "فقـــد ارتجفـــت معظم الدول العربية من خطاب الرئيس بوش الذي تسلمه شارون ومـــن مستقبل استراتيجيتنا في الإقليم. وإذا كانت هذه الخطابات ستساعد في تهدئة مخاوف أوثق حلفائنا العرب، فلن نعبأ بأن نمنحها لهم"!!

١٨ - ٥ - ٢٠٠٤

الضمانات.. وقائع ومصائر

"التعهد" الذي طلبته وحصلت عليه المملكة العربية السعودية من الولايات المتحدة الأمريكية، ولا يعلن مضمونه على الملأ، حسبما ذكرت صحيفة"الأهرام ويكلي" التي تصدر باللغة الإنجليزية (في عدد ١٣مايو٢٠٠٤)، يثير عدداً من الأسئلة، بشأن هذا التعهد وعلاقته بضمانات بوش لشارون، التي أعلن بيان مجلس الوزراء السعودي أنه فوجئ بها. كيف؟. لقد أوضح أو ذكر"بوب وودوارد" في كتابه الأخير"خطة الهجوم" أن الأمير السفير بندر بن سلطان سفير المملكة العربية السعودية في واشنطن علم من الرئيس الأمريكي جورج بوش بنفسه نبأ الإعداد للعدوان على العراق، قبل أن يعلم بذلك كولين باول وزير خارجية الرئيس الأمريكي!! فهل هذا الأمير - السفير ذو النفوذ النافذ لم يعلم بما كان يجري في البيت ألابيض منذ شهور بشأن التفاوض حول ضمانات بوش لشارون، ومضمونها، وصياغتها؟

سؤال لا نملك عنه الآن إجابة، خاصة وأن من المعتاد لدى واشنطن فرض نطاق خاص من السرية على علاقاتها مع الرياض، بحيث لا يتسرب إلا ما تقصد هي تسريبه عمداً. ولكن تبقى الأسئلة مطروحة ومشروعة، خاصة وأن دبيب"رجال شارون" القادمين من تل أبيب إلى واشنطن كان مسموعاً ومرئياً. وفي الوقت نفسه فإن الوفود الأمريكية التي توجهت إلى تل أبيب لم تكن سرية ولا بعيدة عن العيون.. حتى لو كان ما تبحثه"سراً". فما بالنا و"السر مكشوف" والحوارات متعددة الأشكال والمستويات! والأمير السفير - بما له من مكانة خاصة في"البلاط الامبراطوري" الأمريكي - لا يخفى عليه -في ظني - مثل هذه الأمور، التي يبدو أنه رآها من"التوافه" و"الهوامش" التي لا تستحق منه اهتماماً، أو التفاتاً أو تدخلاً، حتى لا تعكر صفو العلاقات بين المملكة والامبراطورية، خاصة وأن الأمير يرى - غالباً - أن هناك من يحاول أن"يعكر الماء الصافي" أو من يحاول أن"يصطاد في الماء العكر".. ويكفي علاقات الرياض مع واشنطن ما تتعرض له من"اتهامات" علنية وغير علنية من بعض الدوائر الأمريكية، خاصة الدوائر الأمريكية الصهيونية أو المتصهينة. ولعل هذه"الأجواء" تثير احتمالاً آخر,وهو أن يكون"الأمير السفير" قد علم بما كان يجري، وتدخل.. ولكن على نحو غير الذي نتصوره نحن، ويتمناه الفلسطينيون من أي رجل سياسة أو دبلوماسي عربي!!

إن هـــذا الموقف، ليس السعودي فقط، بل والعربي عامة، من"ضمانات بوش لشــــارون" يشير بوضوح إلى استمرار تداخل المصالح بين الأنظمة العربية القائمة وبين الولايات المتحدة الأمريكية، وهذا التداخل ليس جديداً أو طارئاً، سواء بالنسبة لهـــذا الـــنظام العربـــي أو ذاك.. مادام يستطيع في العلن أن يتحدث عن فلسطين وحقـــوق شعبها، أما في السر فالعلم عند ربك.. وإن كانت الأسرار لا تخفى على جميع الناس في جميع الأوقات. ولعل هذا ما تؤكده واقعة تاريخية"سرية" مما يدخل فـــي شـــؤون فلسطين وشجونها. وترجع الواقعة إلى يناير١٩٤٨، أي بعد حوالي شهرين من صدور قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين، حين أوفد الملك عبدالله ملك الأردن كـــلاً مـــن رئـــيس الوزراء ووزير الخارجية وقائد الجيش إلى لندن تلبية لدعوة الحكومة البريطانية للتفاوض حول تعديل المعاهدة المعقودة بين البلدين، قبل عاميـــن مـــن ذلك التاريخ،"كان ذلك هو السبب المعلن للزيارة. أما السبب الرئيسي وغـــير المعلـــن فلـــم يكـــن، على أية حال، صعب التخمين. لقد كان الأمر متعلقاً بفلســـطين"، حســـبما تـــروي"مـــاري ولـــش" في دراستها المترجمة إلى العربية بعـــنوان:"عـــبدالله وشرق الأردن بين بريطانيا والحركة الصهيونية". وقد استهدفت رحلـــة الموظفين الثلاثة إلى لندن"تحديد دور شرق الأردن في عملية رسم مستقبل فلسطين".

تكمـــل"ماري ولش" روايتها قائلة: "كانت بريطانيا شديدة الاهتمام بما ستؤول إلـــيه مصائر المناطق الفلسطينية التي وصفتها الأمم المتحدة بالعربية. ومن المؤكد أنهـــا كانـــت تفضل رؤية الأردن وهو يستولي على هذه المناطق على رؤية خلق دولـــة فلســـطينية، أملاً في تحقيق أسهل شكل ممكن من أشكال انتقال السلطة وفي تسليم زمام الأمر لحليف مضمون. فما إن طلب رئيس وزراء شرق الأردن توفيق أبوالهـــدى اجـــتماعاً مغلقاً، مستبعداً حتى وزير خارجيته، لمناقشة هذا الموضوع الحســـاس، حـــتى سارع وزير الخارجية البريطاني إرنست بيفن إلى الموافقة على الطلب. وفي الحادية عشرة والنصف من صباح السبت الواقع في السابع عشر من شـــباط(فـــبراير) اجتمع الرجلان. صحيح أن أي محضر لما دار في الاجتماع لم يســـجل نظراً لحساسية موقفي الطرفين كليهما، غير أن غلوب باشا الذي طلب منه تولـــي مهمة الترجمة، والذي كان الشخص الثالث الوحيد في الاجتماع، ما لبث أن كتب فميا بعد يقول:

"إن بيفــن علــق موافقاً على كلام توفيق أبوالهدى عن اعتزام شرق الأردن إرسال جيشه إلى داخل فلسطين بعد الخامس عشر من آيار(مايو) قائلاً:"إنه الشيء الواضــح الــذي يمكــن القــيام به على ما يبدو" غير أنه حذر من غزو المناطق المخصصة للدولة اليهودية الناشئة".

إن علاقة هذه الواقعة التي ترجع إلى ١٩٤٨، بما يجري اليوم تبدو أوضح ما تكون من خلال تعليق"ماري ولش" التي تبدو كلماتها وكأنها قراءة لمرحلة"ضمانات بوش لشارون"، فقد كتبت تقول:

"مــثل هــذا التفاهم لم يكن إلا تحقيقاً لحلم طالما راود الملك عبدالله الذي كان رجــلاً طموحاً، بل ومبالغاً في طموحه برأي البعض. وبما أن جيش شرق الأردن المعــروف باســم الفيلق العربي كان معتمداً على الضباط البريطانيين في المواقع الأساســية، وعلى الأسلحة والتجهيزات البريطانية، إضافة إلى تعويله الكامل على التمويل البريطاني في تسديد نفقاته، فإن الملك كان عاجزاً عن أن يحلم بتجريد أية حملة مناقضة لرغبات بريطانيا. وعلى الرغم من أن الأجزاء العربية من فلسطين التي كان سيتمكن من إلحاقها بمملكته كانت صغيرة بالمقارنة مع أحلامه التوسعية، فإن عبدالله لم يعتبر هذه الحيازة هدفاً بذاته، بل نظر إليها على أنها الخطوة الأولى علــى طريق تجميع أجزاء أخرى من العالم العربي تحت وصايته، وراح يسوغها بوصفها المرحلة الأولى من مراحل تحقيق وحدة عربية أوسع".

"لقد شكل هذا التفاهم مع بيفن خروجاً على علاقات عبدالله المألوفة ببريطانيا. صــحيح أن هــذه العلاقــات كانــت تتسم، رغم عدم خلوها من التوتر بين الحين والآخر، بحميمية فريدة لم يكن لها أي نظير في أي مكان آخر في الشرق الأوسط، ولكــن بريطانيا لم يكن قد سبق لها، مع ذلك، أن أيدت طموحات عبدالله فيما وراء الحــدود طــوال ســبعة وعشــرين عاماً من الانخراط الحميمي في شؤون شرق الأردن".

"فالــترابط الوثــيق بين عبدالله وبريطانيا، في إطار شرق الأردن، لم يكن إلا نــتاج مــنافع متــبادلة، حيث كان مجرد وجود شرق الأردن كدولة منفصلة يلبي حاجــات بريطانــيا الاستراتيجية والسياسية من جهة، في حين كان ارتباط عبدالله ببريطانــيا وموقعــه كحجر زاوية في الجسر القائم بين سلطة الانتداب البريطاني والمجتمع المحلي، هما اللذان أديا إلى رفعه ووضعه فوق مستوى القيادات المحلية مــن الجهــة المقابلــة. وفيما يخص المصالح البريطانية كان عبدالله مفيداً بوصفه

(الواجهــة الوطنــية) التي كانت بريطانيا تستطيع أن تضمن مصالحها وراءه دون إثارة أية معارضة مزعجة".

واقعة وتحليلها يغنيان عن قول الكثير، لأنهما في صميم وفي أصول وجذور قضــية فلســطين ومأساتها التي شهدت وتشهد أكثر من "عبدالله بن الحسين".. وما على المرء إلا أن ينظر حوله.

ومــا أكــثر وقائع التاريخ التي تشهد وتتحدث عن أحداث اليوم بلسان عربي مبين، لكل من يلقي السمع وهو بصير، أي من القوم الذين إن فقدوا أبصارهم فإنهم لا يفقدون بصائرهم، وهؤلاء أصبحوا في قادتنا نادرين.

٢٠٠٤-٥-٢٥

اعتراف إسرائيلي يبطل تحليلاً عربياً

ضوء أخضر من بوش لهدم رفح

بعــد أقــل مــن شهر من حصول شارون من بوش على الضمانات، بدأ هذا التطور يطرح نتائجه في أرض الواقع. ففي ثلاثة أيام متوالية ابتداءً من العاشر من مــايو ٢٠٠٤، وجهــت المقاومة الفلسطينية لطمة قوية لقوات الاحتلال في غزة، وكلفتها ١٣ قتيلاً وعدداً آخر من الجرحى. هزت هذه "الخسائر" الكيان الصهيوني. وأصــبح شارون بين نارين، خذلان حزبه، وقوة عدوه، فدفع بقوة هائلة إلى رفح، ارتكبــت أعمــال قــتل جماعــية، هدمت المنازل، وفتحت النيران على المدنيين، واجتاحــت أرضاً زراعية. أثارت عملية الإبادة الرأي العام في أوروبا، وفي العالم تقريباً. وخلال ذلك اجتمع أحمد قريع (أبو علاء) رئيس وزراء السلطة الفلسطينية مــع كل من كولين باول وزير خارجية أمريكا، والسيدة كوندليزا رايس مستشارة الأمن القومي الأمريكي. وتوالت التصريحات. وامتنعت أمريكا عن التصويت على قــرار هزيل أصدره مجلس الأمن بشأن مجزرة رفح وهدم بيوتها. وألقى الرئيس الأمريكــي كلمــة أمام منظمة "الإيباك" أقوى لوبي صهيوني في الولايات المتحدة، وبيــنما هلّــل بعض العرب لامتناع أمريكا عن التصويت في مجلس الأمن، بدت كلمة الغزل التي ألقاها بوش أمام "الإيباك" وكأنها رسالة مفتوحة إلى القمة العربية في تونس التي بدأت أعمالها في يوم السبت ٢٢ مايو ٢٠٠٤.

وفــي يــوم الجمعة السابق مباشرة على بدء القمة العربية أعمالها في تونس، خرجــت صــحيفة عربــية ذات وزن وتأثــير لتــتحدث عن "تحول" في الموقف الأمريكي، وفي اليوم نفسه كان هناك نبأ في صحيفة إسرائيلية يبين حقيقة الموقف الأمريكي، وتجاه رفح وما حدث فيها بالذات..

ونــتابع هــذه الوقــائع لاهثين مذعورين من محاولات تجميل وجه أمريكا، والتغاضــي عن خطورة ضمانات بوش لشارون، وهي محاولات تنخرط فيها قوى وأطراف عديدة..

ففي يوم الجمعة ٢١ مايو ٢٠٠٤، خرجت صحيفة "الحياة"– طبعة القاهرة – وفي صدر صفحتها الأولى عنوان يقول:"موقف أمريكي جديد من النزاع؟"، وفوق هــذا الســطر ســطر آخر يقول:"إسرائيل مستمرة في حملتها المدوية على غزة".

والموضـــوع عبارة عن تحليل إخباري كتبته "راغدة درغام"، وبعد أن أشارت إلى قرار مجلس الأمن، قالت:"... ويبقى السؤال عن معنى امتناع الولايات المتحدة عن ممارســـة حــق الــنقض (الفيتو)، مما أتاح إقراره في مجلس الأمن، ولوحظ أن الخطــوة الأمريكــية تعكــس موقفاً جديداً" (من هنا تبدأ بقية التحليل على الصفحة السادســة) مــن الملــف الفلسطيني - الإسرائيلي من النواحي الآتية:إمكان تطبيق القــانون الدولــي، ومعــاهدة جنــيف الرابعة على الأراضي الفلسطينية المحتلة، والتراجع عن الإصرار على إدانة المنظمات الفلسطينية وتسميتها "إرهابية" كشرط مســبق لأي قــرار يصدر عن مجلس الأمن، ومعارضة التصور الإسرائيلي القائم علــى عــزل قطــاع غــزة، وتوسيع ممر "فيلادلفيا" أي ما يسمى "الممر الآمن"، واعتــبار الهدم للبيوت غير قانوني يجب وقفه، وإدانة قتل المدنيين الفلسطينيين في رفــح مــن دون ربــط هــذه الإدانة بشروط أخرى، ووضح انزعاج المسؤولين الأمريكيين مــن إفراط رئيس الوزراء الإسرائيلي آرييل شارون في تعميق الهوة بيــن الولايات المتحدة والمنطقة العربية باللامبالاة بالجهود الأمريكية الساعية إلى طمأنة المنطقة".

"واعتــبر مــندوب فلســطين لــدى الأمم المتحدة "ناصر القدوة" أن الموقف الأمريكــي الــذي تمــثل بالامتــناع عن التصويت، موقف "مهم من دون المبالغة بأهميــته". وقــال:"لا نعرف كون التغير تكتيكياً أو بعيد المدى، فإذا تبين أنه بعيد المدى، فسيكون مهماً حقاً".

"وســاهمت عناصــر عــدة في التحول في المواقف الأمريكية، بينها الحاجة الأمريكــية إلى موقف تعتبره المنطقة العربية إيجابياً في أعقاب الغضب من رسالة الضــمانات الأمريكــية إلــى إسرائيل، وفي أعقاب فضائح السجون في العراق.. وإفــراط إســرائيل فــي اســتخدام القوة ضد المدنيين الفلسطينيين، خصوصاً قتل المتظاهرين المدنيين، ، ووضوح استعداد ١٤ دولة في مجلس الأمن للتصويت مع القرار، وصعوبة استخدام "الفيتو" الأمريكي ضده.. واعتماد المجموعة العربية عبر ناصــر القدوة، ومندوب الجزائر، العضو الوحيد في المجلس السفير عبدالله بعلي، أســلوب التركــيز على أحداث رفح بصورة ضيقة بدل حشد مختلف المواضيع في قرار".

إني أكره الكتابة بأسلوب "لا تقربوا الصلاة.."، ولذلك أتجنب الاجتزاء، وأميل إلــى إيــراد الــنص الذي أتناوله كاملاً، كي يتبين نقده من داخله، ولذلك أواصل

الاقتباس من تحليل "راغدة دراغام"، الذي لا يعبر عن مجرد وجهة نظر فردية، بل يكـاد يعكـس اتجاهاً عربياً، ينتظر أي سراب أمريكي ليحسبه ماء ثم يمضي في "تسويقه" على أنه ماء. على أية حال، نتابع قراءة ما كتبت:

"مسـؤول أمريكـي اشـترط عدم ذكر اسمه قال إن مستشارة الأمن القومي كوندلـيزا رايس، اتخذت مواقف صريحة جداً "إذ أوضحت أن ما تقوم به إسرائيل لـيس مسـاعداً ، ويجـب وقفه". وزاد المسؤول أن الاجتماع بين رايس ورئيس الـوزراء الفلسطيني أحمد قريع قبل أيام "كان مساعداً جداً للقضية" الفلسطينية، لأنه أتاح الإصغاء إلى الطروحات الفلسطينية.

وبحسب المسؤول، أن ما فعلته إسرائيل ضد المتظاهرين، وفي تدمير البيوت "لم يكن دفاعاً عن النفس، بل مبادرة لا تساعد على الاستقرار في المنطقة". السفير جـيمس كننجهام. قال أمام مجلس الأمن إن العمليات الإسرائيلية في غزة لا تخدم أهـداف الأمن والسلام.. وتزيد من سوء الوضع الإنساني.. ولا تساعد في تعزيز أمن إسرائيل".

وفي العدد نفسه من "الحياة" وفي مقالها الأسبوعي، الذي عنوانه "البناء على الفـرص" بنت "راغدة درغام" على أساس أن الامتناع الأمريكي عن التصويت في مجلـس الأمـن "تطور مهم"! ومثل هذا التحليل يمكن نقده من داخله، أو بمقارنته بتصريحات علنية وفجة للرئيس الأمريكي نفسه، في الأيام نفسها التي تتحدث عنها الكاتـبة، أو بمقـال آخر منشور على الصفحة نفسها التي نشرت مقال "البناء على الفـرص".. ولكن العنصر الأهم في الرد على ذلك هو نبأ نشرته صحيفة إسرائيلية في اليوم نفسه الذي نشرت فيه "راغدة درغام" تحليلها ومقالها. ولكن قبل أن أورد النـبأ الصـحفي الإسـرائيلي أترك راغدة درغام ترد على راغدة دراغام، وبمقال كتبـته فـي "الحـياة" نفسها، وقبل أسبوع واحد من تحليلها عن التحول أو التطور الأمريكـي المهم. ففي ١٤ مايو، وبعنوان: "بوش ورث أخطاء "الخيانة الأمريكية" وإدارته أسيرة المتطرفين"، كتبت تقول:

"جـورج دبلـيو بـوش لن يتمكن من استعادة الثقة العالمية ما لم يطرد، أو يـتخلص بصـورة ما ، من المتطرفين في وزارة الدفاع ومكتب نائبه. هذه الزمرة ورطـت الولايـات المـتحدة الأمريكـية واستولت على القرار الوطني، وارتهنت الرئيس الأمريكي برغبته. ولذلك تقع المسؤولية عليه. فإما أن يراجع نفسه ويتغلب علـى فكره وعقيدته ويختار فريقاً كاملاً غير فريق الصقور والمتطرفين المفعمين

بالكراهية، أو يغامر بأن يسجل التاريخ له أنه أسقط أمريكا من خانة التفوق والعظمة إلى حضيض مستنقع أخلاقي يتجاوز فضائح السجون وانتهاكات حقوق الإنسان. مفاتيح القرار المصيري في يدي جورج دبليو بوش، والعيب عليه أولاً وأخيراً.

"الفريق الذي اختاره بوش لدى تسلمه البيت الأبيض بدا وكأنه شهادة على قدرات خفية لهذا الرئيس الذي أحاطته سمعة الغباء، حتى الذي تحفظوا على انتخابه رئيساً، قرروا إعطاءه الفرصة بعد اختياره الفريق المؤهل بكفاءات . لكن هذا الفريق خان الرئيس الأمريكي وخان الولايات المتحدة في رأي البعض، وثمة رأي يقول إن هذا الفريق استخدم جورج بوش لغايات في ذهنه منذ زمن بعيد، ووجد في بوش "خامة" جاهزة للاستخدام".

ترى هل حدث ما بين ١٤ و ٢١ مايو التغير الذي تحدثت عنه "راغدة درغام" في مقالها هذا - أي مقال ١٤ مايو - ونحن لا ندري؟

أم ماذا حدث بالضبط؟. ما حدث هو ما عبر عنه خير تعبير "باتريك سيل" في مقاله عن "غزة الذبيحه" في "الحياة" في ٢١ مايو بقوله: " فيما كان القتل والدمار مستمرا هذا الأسبوع في غزة، أكد الرئيس جورج بوش أمام جمهور من اليهود المبتهجين أن إسرائيل هى حليف أمريكا الرئيسي في الشرق الأوسط في "الحرب ضد الإرهاب". الحق أن من النادر أن تبلغ الوقاحة والإجرام بالإدارة الأمريكية مثل هذه الحدود".

"حدود الإجرام والوقاحة" هذه كشف عنها سياسي إسرائيلي معروف هو "يوسي سريد" عضو الكنيست الإسرائيلي، الذي حذر من أن "جيش الدفاع ينوي هدم نصف رفح"، وذلك طبقاً لما ورد في مقال "عوزي بنزيمان" في "هآرتس" في ٢١ مايو بعنوان: "الحكومة والجيش.. حطام سحابة" وقد ذكر أن سريد قال كلامه هذا في يوم الجمعة الماضي، أي في ١٤ مايو، أي قبل أسبوع من خروج "راغدة درغام" بحديث التطور والتحول في سياسة أمريكا، حيث أكد أن "العملية"، أي عملية "قوس قزح" كما سماها شارون وجيشه وحكومته، "مخططة على أساس التفاهم الصامت مع الولايات المتحدة".

وأضاف بنزيمان أن "سريد كان على حق أيضا عندما قال إن أمريكا تعلم بنية إسرائيل هدم مئات البيوت في منطقة رفح وأنها غير معترضة على ذلك. آرييل شارون اتفق مع بوش ــ خلال زيارته لواشنطن وفي إطار الحديث عن خطة فك

الارتـــباط (في غزة) – على إمكانية توسيع رواق فيلادلفيا، الأمر الذي يعنى هدم مئات البيوت وذلك لاعتراض طريق دخول الأسلحة إلى القطاع.

التعبـــير عـــن ذلـــك جاء في الصياغة الرسمية للخطة: "في المرحلة الأولى ستواصل إسرائيل الحفاظ على وجودها العسكري على امتداد خط الحدود بين غزة ومصـــر، أي محـــور فيلادلفـــيا. هـــذا الوجود هو حاجة أمنية حيوية، وفي بعض الأماكن قد يتطلب الأمر توسيعا ماديا للمساحة التي تتم فيها العمليات العسكرية".

وأشـــار "بـــنزيمان" إلـــى أنه في يوم الأحد – أي ١٦ مايو – عقدت حكومة شـــارون جلســـتها، وقـــد أثـــارت تصريحات "سريد" الاهتمام في "إسرائيل" وفي واشـــنطن. فهـــل ســـمع أحد أو علم أو قرأ أن العاصمة الأمريكية نفت ما فضحه "ســـريد"؟ ومـــع ذلك يسمح البعض لنفسه بأن يتحدث عن تحول أو تطور أمريكي مهـــم، فأي تحول هذا وعملية القتل والتدمير الجماعي في رفح حظيت مقدماً بتأييد بـــوش ومباركـــته، وهـــو الذي أعطى الضوء الأخضر لشارون ليهدم ليس مئات البيوت في رفح، بل آلاف البيوت، فقد ذكر "يوسف لبيد" وزير العدل الإسرائيلي – طـــبقا لما أوردته "معاريف" في ٢٧ مايو ٢٠٠٤ – أن "هناك بالفعل طلبا رفع إلى المستشار القانوني بهدم ٣ آلاف منزل في رفح.. وأعتقد أن هذا وحشي".

وفي الصحيفة نفسها، وفي التقرير نفسه، نفى الجيش الإسرائيلي أنه طلب هدم ٣آلاف مـــنزل، وقـــال إن قـــائد المـــنطقة الجنوبية طرح على المستشار القانوني للحكومة كافة البدائل المحتملة للحفاظ على محور فيلادلفيا، الذي يبلغ عرضه اليوم ٧٠ مترا فقط، المسافة بينها كانت هدم ٢٧٠٠ منزل" فقط!!.. وبموافقة بوش، طبعاً الـــذي أشعل لشارون ضوءاً أمريكياً أخضر لم يعرفه أي رئيس وزراء إسرائيلي سابق.. ومع ذلك لايزال بعض العرب يتساءل: أين هو هذا الضوء؟!.

٢٠٠٤-٥-٢٩

خطاب "الإيباك"

وقمة تونس وحق العودة

"قطعت جهيزة قول كل خطيب". وجهيزة التي أعنيها هو جورج دبليو بوش رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، أما قوله الذي قطع لسان كل خطيب فهو خطابه في ١٨ مايو -أي بعد شهر وأربعة أيام من موعد الضمانات التي منحها لشارون -أمام "الإيباك" أي "اللجنة الإسرائيلية - الأمريكية للشؤون العامة"، وهى اللوبي الصهيوني الأقوى في أمريكا. في هذا الخطاب تفوق بوش على كل من سبقوه من رؤساء أمريكا، منذ إنشاء الكيان الصهيوني. "لما يزيد على خمسين سنة، كانت الولايات المتحدة وإسرائيل حليفين ثابتين، والإيباك أحد الأسباب وراء ذلك، فقد عملتم بلا كلل لدعم الروابط التي تجمع أمتينا: قيمنا المشتركة، والتزامنا القوي بالحرية".

لم يقف الرئيس جورج دبليو بوش عند هذا الحد، بل أضاف: "إنكم بدفاعكم عن حرية ورخاء وأمن إسرائيل، فإنكم تخدمون أيضاً قضية أمريكا. إن أمتنا أكثر قوة وأمنا لأن لنا في إسرائيل الصديق الحقيقي الذي يمكن الاعتماد عليه" لو لم يقل بوش سوى هذه الكلمات، ولو لم يفعل شيئاً ضد العرب ولصالح الكيان الصهيوني سوى خطابه هذا فقد أثبت وأكد أنه، كما يقول الكاتب الفلسطيني ممدوح نوفل "صريح في عدوانيته ضد الفلسطينيين وفي استهتاره بالعرب - حكومات وشعوباً، وكان حاسماً في انحيازه إلى موقف اليمين الإسرائيلي المتطرف ("الحياة، ١٦ مايو ٢٠٠٤" وانظر النص الكامل للخطاب في الملاحق).

كانت كلمة بوش أمام "الإيباك" رسالة مفتوحة وصريحة إلى القمة العربية في تونس، رسالة تؤكد وتعمق الضمانات التي منحها لشارون من ناحية، وتقول من ناحية أخرى وفي الوقت نفسه إن جميع "الترضيات" أو الرسائل التي حصل عليها هذا الطرف العربي أو ذاك، وأيا كان محتواها ومضمونها، فإنها ليست أكثر من "ترضيات لفظية" في مقابل ضمانات وتعهدات والتزامات فعلية للكيان الصهيوني.

ومع ذلك فإن القمة العربية، بكلمات الرؤساء في افتتاحها، وفي البيانات التي صدرت عنها لم توجه كلمة نقد واحدة مباشرة إلى "ضمانات بوش"، بل تحدثت عنها على استحياء، وبأيدٍ مرتعشة مهزوزة. أكثر وأخطر من هذا، سمحت القمة

العربية لنفسها بأن تمتدح ما حصل عليه ملك الأردن من رسالة أمريكية، ثم تراجعت أكثر من خطوة إلى الوراء وقدمت تنازلاً مجانياً جديداً، بدلاً من أن تتصدى بصراحة وقوة لضمانات بوش، وتعلن رفضها، وإدانتها وتتخذ وسائل للرد عليها.

قالت القمة العربية في تونس، في بيانها الختامي وعلى استحياء "الالتزام بمبادرة السلام العربية واعتبارها المشروع العربي لتحقيق السلام العادل والشامل والدائم في المنطقة، ورفض المواقف التي تتعارض معها ومع قواعد الشرعية الدولية ومرجعيات عملية السلام، التي جاءت في الخطابين المتبادلين بين رئيس الوزراء الإسرائيلي والرئيس الأمريكي بما في ذلك تلك التي تستبق نتائج المفاوضات حول مسائل الوضع النهائي".

ولا يعدو هذا أن يكون ضرباً من أضعف الإيمان، ذلك أن ضمانات بوش لشارون أخطر من أن تدرج هكذا في بيان تضمن عشرات القضايا، بل كانت تستحق بياناً منفصلاً ومفصلاً، واضحاً ومحدداً، ويضع النقاط على الحروف.

وكان مجلس جامعة الدول العربية، الذي اجتمع على مستوى المندوبين الدائمين، في ١٦ أبريل ٢٠٠٤، قد أصدر بياناً أعلن فيه صراحة أنه "يرفض الموقف الأمريكي الجديد"، ورأى أنه "ينسف عملية السلام في الشرق الأوسط بكافة مرجعياتها".

ولكن المجلس تراجع مائة خطوة إلى الوراء حين طالب في البيان نفسه "الولايات المتحدة باتخاذ ما يلزم للحيلولة دون انهيار قواعد عملية السلام" كيف؟ وبأي منطق، نطالب من ينسف عملية السلام بأن يحول دون انهيار قواعدها؟

إنه كلام في كلام.. هل هناك من يقرأ؟ وهل من يقرأ يدقق؟.. وعلى المنوال نفسه، خرج مجلس الجامعة العربية على مستوى القمة "يطالب الرئيس الأمريكي بالالتزام بما ورد في رؤيته لقيام دولة فلسطينية..." وكأن القادة لم يعلموا أن الرئيس الأمريكي نفسه نسف هذه الرؤية حين قال إن موعد ٢٠٠٥ لقيام الدولة الفلسطينية قد تجاوزته الأحداث!!.

أكثر من هذا، قال البيان الختامي لقمة تونس العربية.. "أخذ القادة علماً بالاتصالات الجارية والرسائل المتبادلة التي تمت بين عدد من الملوك والرؤساء والقادة العرب والإدارة الأمريكية، وآخرها الرسالة التي تلقاها جلالة الملك عبدالله

الثانـي بن الحسين ملك المملكة الأردنية الهاشمية، ويدعو القادة الإدارة الأمريكية إلى الالتزام بما جاء في هذه الرسائل والتأكيدات".

أعتقد أن مثل هذا الكلام ليس على مستوى القمة، فهل تعقد القمة - أي قمة - لتعلـن أنهـا تلقت علماً، وأنها تطالب؟.. وما الضمان لأن يستجيب من تطالبه لما تريده؟!.

إن أي تقدير موضوعي للأمور، للأحداث والتطورات منذ منح بوش ضماناته إلـى شـارون وإلـى حين انعقاد القمة العربية، وإلى اليوم والغد، يخلص إلى أن أمريكا لم تعط العرب ولم تعط أي رئيس أو ملك عربي سوى "ضمانات لفظية". إن هـذا لـيس رأيـي وحـدي، بل إنه رأي مسؤول أمريكي أفصح عنه في لقاء مع صـحفيين عـرب فـي ٨ مايو في واشنطن، حسب ما أوردته "وكالة أنباء الشرق الأوسـط" المصرية في ذلك اليوم، وهذا المسؤول هو "ريتشارد أرميتاج" الذي أبلغ الصـحفيين بوضـوح "أن مـا أعطاه الرئيس بوش للعاهل الأردني الملك عبد الله الثانـي مؤخـراً لـم يكن خطاب ضمانات، وإنما شرح لآراء الرئيس بشأن عملية السـلام، ووجـود دولتين (فلسطين وإسرائيل) يعيشان جنباً إلى جنب"- (نقلاً عن صحيفة "الجمهورية"، في ٩ مايو ٢٠٠٤).

وليـت الأمر وقف عند هذا ، بل زاد بيان القمة الطين بلة حين تناول - في عجلـة غير مستحبة وباستخفاف غير جائز - نقطة مهمة بقوله: ".. القادة يدينون جمـيع العمليات العسكرية الإسرائيلية في الأراضي الفلسطينية والأراضي العربية والعمليات التي تستهدف المدنيين دون تمييز".

تنازل مجاني وغير جائز، يعني "إدانة العمليات الاستشهادية". صحيح أن هذه العملـيات قضية حولها اختلاف في الرأي، وتعدد في الرؤى والمواقف، ولكن أن تـدان هكذا ومن جانب القمة العربية، فإن الأمر لافت للنظر والاهتمام!. فهل جاء هذا ــ كما قال بعض المحللين، خاصة في الفضائيات العربية ــ بناء على طلب أو أمر من الولايات المتحدة؟. لو صح هذا، فإنه كان يجب "مساومة" أمريكا على هذه الإدانـة، إمـا مقابل التزام أمريكي علني وصريح يمنع الكيان الصهيوني من أي عدوان على المدنيين الفلسطينيين، أو مقابل إعلان أمريكي علني وصريح بتجميد - لـم أقل إلغاء - بيان الضمانات التي حصل عليها شارون من بوش. أما الاستجابة لهـذا المطلـب من هذه الجهة أو تلك، فإنه تفريط غير مسؤول، أيا كان من فعله، ومن يقف وراءه. فمن الملاحظ، أن الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات قد استبق بيان

القمـــة هذا، وقال في رسالته إلى القادة العرب التي أذيعت عبر الأقمار الصناعية: "إننـــا نؤكـــد أمامكم وأمام العالم بأجمعه رفضنا الدائم والقاطع لاستهداف المدنيين ســـواء كـــانوا فلســـطينيين أو إســـرائيليين"!!. وهـــذه رسالة تفتح ملف التنازلات الفلسطينية، التي بدأها الرئيس ياسر عرفات ورجاله منذ سبعينيات القرن الماضي، حيث سعى إلى فتح الباب للاتصال بالباب العالي الأمريكي.

لقـــد أعلنت القمة العربية، والرئيس الفلسطيني رفضهما لاستهداف المدنيين، بيـــنما كانـــت قوات الكيان الصهيوني تدك رفح، وتسوي بيوتها بالأرض وتهدمها فوق رؤوس ساكنيها.

وبذلـــك، تثبـــت الســـاداتية ، العربـــية والفلسطينية، سيراً على نهج أصلها المصري، أن حبل التنازل لا نهاية له.

لعـــل هـــذا ما أكده معتصم حمادة رئيس تحرير مجلة "الحرية" الناطقة باسم الجـــبهة الديمقراطـــية لتحرير فلسطين، في مقال عنوانه:"لماذا غضبوا من بوش؟" (الحـــرية، العـــدد ٩٨٤، في ٢٥ – ٤ – ٢٠٠٤)، جاء فيه:"إن ما يقطفه الشعب الفلسطيني من ثمار مرة في سياسة بوش، هو ما زرعته السلطة الفلسطينية، والتي مازالـــت تماطل وتراوغ، وتعطل الانتقال من سياسة المراهنة على الحل الأمريكي إلـــى الانخـــراط فـــي الحل الوطني بكل ما يتطلبه ذلك من التزام ببرنامج وطني مشـــترك، وهـــيكل قيادي وطني جديد في منظمة التحرير الفلسطينية وفي السلطة الفلسطينية".

وفـــي عرضـــها لأعمال اجتماع "لجنة المتابعة العليا" في قطاع غزة، ذكرت "الحـــرية" فـــي العدد نفسه، أن صالح زيدان عضو المكتب السياسي "للديمقراطية" وممثلها في هذه اللجنة، لاحظ في هذا الاجتماع "أن الغموض والتآكل والتدهور في الموقـــف الفلســـطيني هـــو الـــذي سهل على بوش اتخاذ مثل هذه المواقف (–أي المواقـــف التي وردت في رسالة الضمانات)". وأكد زيدان، حسبما ذكرت "الحرية" أن الضـــوء الأخضـــر الـــذي أشعلته "المقاطعة" في رام الله لاتفاق البحر الميت – جنيف ووثيقة نسيبه – أيالون شكل في الوقت نفسه ضوءاً أخضر لبوش.

ومـــن وجهـــة نظـــر عربـــية، غير قطرية، فإن القيادة الفلسطينية والموقف الفلســـطيني ككل مجرد جزء من كل. صحيح أنه كان يمكن أن يلعب دور القاطرة التـــي تشـــد الموقف العربي وراءها، ولكن هذه القاطرة فقدت قدرتها على السحب والشد، منذ ارتضت لنفسها أن تتسابق مع العرب الآخرين في الهرولة نحو أمريكا،

وفــي اللهــاث نحــو البيت الأبيض، وفي الجري وراء هذا المسؤول الأمريكي أو ذاك.. وبذلــك تحولــت القــيادة الفلسطينية إلى واحد من الأتباع الذين خرجوا من عباءة الساداتية، بل إنها حاولت أن تتفوق على الأصل، بأن تفتح لنفسها وبمفتاحها الخــاص الأبــواب لمــزيد مــن التنازلات العربية، كما حدث في مسألة استهداف المدنييــن، وكما حدث بالنسبة لحق العودة، فقد تغنّى بيان قمة تونس طويلاً وكثيراً بالحديث عن اللاجئين والحل العادل لمشكلتهم، بل وتحدث عن قرار الجمعية العامة للأمــم المتحدة رقم ١٩٤، ورفض كل أشكال التوطين، ولكنه رفض عامداً متعمداً أن يســتخدم تعبــير "حــق العــودة"، وهــذه مسألة فاصلة في الموقف من بوش، وضماناته لشارون.

٣٠ – ٥-٢٠٠٤

بين الوعدين

الوعـــدان همـــا"وعـــد بلفور" وزير خارجية بريطانيا، في ٢نوفمبر ١٩١٧، و"وعـــد بوش" في ١٤أبريل ٢٠٠٤. إن بينهما تشابهاً في المواقف وفي الأهداف، وربمـــا فـــي الأســـاليب والمناورات والدسائس التي أفضت إلى ظهور كل منهما، بحيـــث لا يمكن وصف الحديث عن"وعد بوش" بأنه"وصف بلاغي"، على حد تعبير نبـــيل عمرو وزير الإعلام الفلسطيني في حكومة محمود عباس"أبومازن" وذلك في مقالـــه"حـــوارات فـــي واشنطن" الذي نشرته صحيفة"الشرق الأوسط" في ٢٧مايو ٢٠٠٤. بالعكس، إنه وصف تاريخي من ناحية، وواقعي من ناحية أخرى، ولا أدل علـــى واقعيـــته من أنه أعطى"الكيان الصهيوني" جزءاً جديداً من أرض فلسطين لا تنســـحب منه، بعد أن احتلته في ١٩٦٧، مثلما أعطى الوعد الأول"اليهود" "حق" أن يكون لهم"وطن قومي" في فلسطين.

أما من حيث التاريخ، وتشابه الأدوار والشخصيات فحدث عنه ولا حرج، كما يقولون. وفيما يلي بعض البيان":

"فلسطين.. إليكم الحقيقة" كتاب سأشير إليه فيما بعد، وسأعتمد عليه في رواية الأحـــداث التـــي قادت إلى صدور الوعد الأول. يقول"ج. م. ن جفريز" مؤلف هذا الكـــتاب، وهـــو مـــؤرخ بريطانـــي، إن"اللورد روتشيلد" اصطحب الدكتور"حاييم وايـــزمان"، وزارا"اللـــورد بلفور" في مكتبه في وزارة الخارجية، في أواخر أبريل ١٩١٧، وأوضـــحا له،"أن وقـــت إصـــدار بـــيان محدد بالتأييد والتشجيع قد حان". وكانـــت"صهيونية" بلفور قد انتشرت وذاعت، خاصة حين أعلن من قبل، وفي أثناء زيارة للعاصمة الأمريكية واشنطن"أنا صهيوني". وكانت الاتصالات التي جرت منذ فـــبراير مـــن ذلك العام"تذهب هذا المذهب الوحيد، من وجوب تبني بريطانيا قضية الصهيونية علناً".

ولذلـــك، طلـــب بلفـــور من زائريه أن يقدما له مسودة يطرحها أمام وزارة الحربية للتصديق عليها.

ويجب أن نلاحظ هنا – وأنا أنقل أيضاً من"جفريز" – أن معنى ذلك أنه "كان مطلوبـــاً مـــن حكومة صاحب الجلالة(البريطانية) أن تحدد سياستها في هذه الوثيقة التي توشك أن تصدر وكانت طريقة سكرتير الخارجية في تحضيرها هي أن يطلب

مــن الدكــتور وايزمان وزميله الفخري أن يزوداه بمسودة لسياسة حكومة صاحب الجلالة هذه!. وحالما تقدم هذه المسودة للورد بلفور، يقوم اللورد بلفور بوضع هذه السياســة التــي رسمها الدكتور وايزمان سياسة لحكومة صاحب الجلالة بين يدي حكومة صاحب الجلالة لتوافق عليها".

ويعلــق"جفريــز" على هذه الواقعة تعليقاً جديراً بالقراءة، إذ يقول:"ليس هناك شــك فــي أن جدران مكتب الخارجية قد شهدت وتسترت على كثير من المشاهد الفــريدة مــن نوعها، وأخفتها بين أركانها. بيد أنه يخيل لي أنها قد ودت في هذه الحالــة لــو تمــيل فتلتقي مع بعضها البعض، إمعاناً منها في الحيطة، لتخفي عن الأبصــار ذلك المشهد المزري الذي ترى فيه سكرتيراً للدولة يطلب من زائر جاء من روسيا، أن يجود عليه بمسودة ترسم لحكومته هو الإجراءات التي ينبغي عليها أن تــتخذها. فكان هذا الموقف من المواقف التي تسمى بــ"المواقف الجلبرتية" أي المواقف المقلوبة رأساً على عقب، بشكل فوضوي، وبدرجة تثير الضحك والتندر.

وبعــد اللقــاء الثلاثــي، انطلــق الصــهاينة فوراً يجهزون هذه المسودة من منخوراتهــم. وقد أوكل هذا العمل في شهر آب"أغسطس" إلى"لجنة سياسية" تتألف مــن أعضاء المنظمة الصهيونية وكان بعضهم من المقيمين في بريطانيا وبعضهم مــن مخــتلف بلــدان القارة الأوروبية، ممن كانوا يختلفون إلى بريطانيا بين حين وآخر، فكان يطلب إليهم أن يسهموا بجهدهم كلما زاروا انجلترا. وكان من أعضاء هــذه اللجــنة أحاد هاعام، وكووين، وتنجر، وهياسون، وماركس، وسيف، وليون ســيمون، وتولكوفســكي، وجابوتنســكي، وهــنري ساكر، وكان المستر"لاندمان" سكرتيراً لهذه اللجنة.

وكل اسم من هذه الأسماء كان يحتاج إلى تعريف، وإلى تفصيل عن دوره في هــذا الشأن. ولكن -هنا - تكفي الإشارة. فقد كانت هذه الأسماء ذات خطر كبير، حســب تعبير"جفريز" الذي ذكر أنهم هم الذين انطلقوا يعملون في تدبيج ما قدر له أن يعــرف فــيما بعد باسم"تصريح بلفور" جنباً إلى جنب مع قادتهم البارزين"ونحن مديــنون بمعــرفة هذا الدور الذي قاموا به في هذا العمل إلى المنظمة الصهيونية بالدرجة الأولى.. هذه المنظمة التي اعتراها الزهو فكشفت في تقاريرها صفقات كم كانت تود القاعة البيضاء لو ظلت طي الكتمان".

وحين ننتقل من هذا الماضي إلى الحاضر، من الوعد الأول إلى الوعد الثاني، سنجد روايتين: أمريكية وإسرائيلية تكشفان أدواراً مشابهة لأدوار الأسماء والشخصيات الصهيونية الذين ذكرهم"جفريز".

اعتماداً على مصادر إسرائيلية، ذكرت مجلة"الحرية" الناطقة باسم "الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين" في عددها (رقم ٩٨٤في ٢٥أبريل ٢٠٠٤) أن الخطوة الأولى في الطريق إلى واشنطن للحصول من الرئيس بوش على"رسالة الضمانات"، بدأت في أكتوبر٢٠٠٣(تورد مجلة"نيوزويك" الأمريكية في طبعتها العربية، العدد ٢٠٧، في أول يونيو٢٠٠٤، الرواية نفسها ولكنها تذكر نوفمبر بدلاً من أكتوبر) عندما كان شارون في زيارة إلى إيطاليا، حيث التقى هناك"إليوت إبرامز" رئيس قسم الشرق الأوسط في مجلس الأمن القومي الأمريكي، وتحدث شارون عن نيته للقيام بخطوة أحادية الجانب، قال إنها ستشمل إخلاء بعض المستوطنات. كانت هذه الخطوة الأولى.

وتشير"الحرية" إلى أن"روب دينين" مساعد "إبرامز" هو حفيد"عيزرا دينين" مستشار الشؤون العربية لرئيس حكومة إسرائيل الأول ديفيد بن جوريون، وأحد الشخصيات التي ورد اسمها في سياق عمليات ترحيل الفلسطينيين في العام١٩٤٨، وأحد مؤسسي جهاز المخابرات الإسرائيلية. وتنقل المجلة الفلسطينية عن الصحفي الإسرائيلي"أمير أورن" قوله في مقال"هآرتس" إن أحد الاجتماعات التي سبقت زيارة شارون إلى واشنطن؛ الزيارة التي حصل فيها على رسالة الضمانات، شارك فيه أمريكيان وثلاثة إسرائيليين. الإسرائيليون الثلاثة هم فايسجلاس مدير مكتب شارون، ومستشارا شارون: جيورا ايلاند، وشالوم ترجمان، والأمريكيان هما إليوت إبرامز، وروب دينين، وقال أحد هؤلاء:"خمسة أشخاص يهود يديرون العلاقة بين إسرائيل والولايات المتحدة".

وهناك روايتان حول الشخصية الأمريكية التي قامت بالدور الأول والأكبر في إصدار"وعد بوش" الأولى تقول إنه"دينيس روس" المبعوث الأمريكي السابق للشرق الأوسط، والثانية تقول إنه"إبرامز". وقد أوردت"نيوزويك" في عددها الذي سبقت إليه الإشارة تفصيلات حول دور"إبرامز" بعد أن تعيد تذكيرنا بالعلاقة الخاصة التي ربطت بين بوش وشارون، "فقد كان بوش لفترة طويلة من المعجبين بشارون، أو على الأقل منذ أن اصطحبه هذا الإسرائيلي في جولة بطائرة مروحية فوق الضفة الغربية عام١٩٩٨، حيث كان حاكماً لولاية تكساس. وفي أول لقاء

لهمـــا فـــي المكتب البيضاوي عام٢٠٠١، استعاد بوش ذكريات تلك الجولة، وقال مخاطـــباً الصحافيين:"إنه -أي شارون – يملك إحساساً رائعاً بالتاريخ. إن بلادنا لن تحاول فرض السلام.. سنتعاون مع أولئك المسؤولين عن السلام".

وتشـــير"نـــيوزويك" إلى أن"إبرامز" من المحافظين الجدد الذين روجوا لفكرة تعزيـــز الروابط بين"اليهود الأمريكيين"[حسب تعبيرها الذي نقرأه: صهاينة أمريكا] والمســـيحيين المحافظيـــن، وقد تسلم ملف الشرق الأوسط عن شؤون الديمقراطية وحقـــوق الإنســـان. وحيـــن تسلم"إبرامز" ملف الشرق الأوسط، كانت هجمات ١١ سبتمبر الإرهابية قد قربت أكثر فأكثر بين بوش وشارون:"فقد رأى بوش أوجه شبه كبـــيرة بين التفجيرات الانتحارية الفلسطينية وإرهاب تنظيم القاعدة، وتبنى موقف شـــارون الذي يرى أنه لن تكون هناك أية مفاوضات جدية، ولن تكون هناك دولة فلســـطينية من دون إيجاد قيادة فلسطينية جديدة. وبالتالي، أصبحت سياسة شارون إزاء توســـيع المســـتوطنات ورفضـــه لمطالب الفلسطينيين بإقامة دولة قابلة للحياة مسائل ثانوية".

تكمل المجلة الأمريكية، في طبعتها العربية، روايتها فتقول:"عمل إبرامز على تعزيز هذا الموقف المتشدد وتسلم دفة السياسة المتعلقة بالشرق الأوسط في الوقت الـــذي كانت تتجه فيه المنطقة نحو الحرب في العراق. وقد أصر على أنه لن تكون هناك عملية سلام حتى يظهر الفلسطينيون رغبة حقيقية في مكافحة الإرهابيين. وقد ســـاعد هـــذا الإصرار في تحديد مصير محمود عباس رئيس الوزراء الفلسطيني، الذي تخلى عن منصبه في سبتمبر من عام٢٠٠٣ نتيجة شعوره بالإحباط إزاء عدم تحقـــيق تقـــدم في خطة خريطة الطريق التي تقود إلى قيام دولة فلسطينية. ويقول المنـــتقدون إن البيـــت الأبـــيض، برفضـــه الضـــغط علـــى شـــارون لإعـــلان تجميدالمســـتوطنات وإزالة المستوطنات غير الشرعية، وجه البيت الأبيض ضربة قاتلة إلى عباس، وحكم على عملية السلام بالفشل".

هـــذا الكلام يعنى ضمناً أن جذور"الضمانات" ترجع إلى العلاقة الخاصة بين بـــوش وشـــارون، التـــي نشـــأت قبل أن يدخل الأول البيت الأبيض، وإلى التفكير المشـــترك بيـــن "المحافظيـــن الجدد" وصهاينة أمريكا واليمين المسيحي، أو ترجع تحديـــداً إلـــى ٢٠٠٢ حين تسلم"إبرامز" ملف الشرق الأوسط، وبالتأكيد إلى ٢٠٠٣ حيـــن بدأت تسود في دوائر البيت الأبيض والبنتاجون فكرة العدوان على العراق. وهـــذا الاستنتاج لدينا شاهد إسرائيلي عليه، يتمثل في مقال كتبه بسخرية الصحفي

الإســرائيلي"عكــيفا إلدار" في"هآرتس" في ٥أبريل ٢٠٠٤، بعنوان"أساطير شارون لعــيد الفصــح تطل مرة أخرى"، ويسخر"عكيفا" من شارون وبطانته، ويشير إلى تصــريح فــي عــيد الفصــح الســابق - أي فــي أبريل ٢٠٠٣ - أدلى به في واشــنطن"دوف فايســجلاس" مديــر مكتب شارون، وأكد فيه أن"الولايات المتحدة ســتدرس مواقفــنا بجديــة، عــندما تــتقدم العملية"ــ أي عملية التسوية ــ على أساس"خريطة الطريق". ويرى"عكيفا" أن شارون يكرر نفسه، ويعيد في ٢٠٠٤ ما تمــناه فــي ٢٠٠٣، "شارون يكرر خرافات شارون لعيد الفصح، مرة أخرى يقوم بالارتكــاز علــى"العلاقــات الخاصــة" مع أمريكا والسياسة اليهودية - المسيحية وحكايــات فايسجلاس حول الصداقة الرائعة التي نشأت بينه وبين مستشارة الأمن القومي كوندليزا رايس".

وقــد ثبت أن شارون لم يخرف ولم ينشر خرافات، بل كان يتحدث بيقين عن ضمانات يسعى للحصول عليها، وكان واثقاً من أنه سيحصل عليها. فقد كانت هناك مائــة ساعة من المفاوضات"حول فك الارتباط والثمن الأمريكي"، حسبما جاء في تقرير نشرته"يديعوت أحرونوت" في ٧مايو٢٠٠٤، وكتبه اثنان من أكبر صحفييها، بل من أكبر الصحفيين في الكيان الصهيوني، وهما"ناحوم برنياع" و"شمعون شيفر"، اللــذان كتــبا فــي ١٥أبريل، أي في اليوم التالي لحصول شارون على"الضمانات" تقريــراً مفصــلاً عن المفاوضات الكثيفة في اليومين الأخيرين اللذين سبقا وصول شارون إلى واشنطن، وكيف استقبله بوش في البيت الأبيض، والحديث الذي جرى بيــن صــديقين قديميــن، وقدمت الصحف الإسرائيلية في ١٥و١٦أبريل تحليلات وتعلــيقات عديــدة حول خطاب بوش إلى شارون، وخطابات أخرى. ولكن المقال الأهــم فــي هذا الشأن هو الذي كتبه"بن كاسبيت" في"معاريف" في يوم الجمعة ١٦ أبريل.

وقدمت"المصدر السياسي" وهي نشرة مترجمة من الصحف الإسرائيلية تصدر مــن القــدس المحــتلة، ترجمة للمقال في يوم نشره، كما نشرت دورية"مختارات إسرائيلية" ترجمة له في عددها رقم ١١٣ في مايو٢٠٠٤، ولكنها حذفت من المقال جــزءاً كبــيراً ومهماً، وفيما يلي ترجمة المقال كما نشرته"المصدر" مع الاستعانة بــ"المختارات" في تدقيق صياغة جملة أو عبارة:

كتب"بن كاسبيت":

في النهاية، عندما انتهى كل شيء، بعد اللقاء الضيق والواسع، ووجبة الغداء، والمراســم، والخطب، وتبادل الرسائل، والنكات، والاحتضانات والقبلات، بعد كل هــذا وقريبا من الفراق، انحنى دوف فايسجلاس ومنح كوندليزا رايس قبلتين على الخــد. جورج بوش رأى، وأراد ايضا. "وماذا عني؟"، سأل فايسجلاس، الذي قرب منه خداً خجلاً. قبّل الرئيس وجنتي فايسجلاس، وآنذاك، وكمزارع تكساسي حقيقي، جذب رأسه وطبع له قبلة ذات رنين في مركز صلعته.

"عمــل حســن"، قال بوش لفايسجلاس، وقصد إلى أقواله. فايسجلاس، وهذا صــحيح، عمــل عملاً صعباً في الشهور الأخيرة. بعد عدد من الأسابيع سيكتشف الأمريكيون إن كان قد عمل أو خدعهم.

بدا هذا بداية غير حسنة. الرد الأول للأمريكيين على تفوهات انفصال شارون كــان بــارداً. فــي أكتوبر الماضي. بعد وقت قصير من ظهور "أبو علاء"، جاء فايسجلاس الى كوندليزا رايس وقال: "المؤشرات غير حسنة. لا أحد يمكن التحدث معــه". كــان واضحاً لشارون في نوفمبر ألا أحد تُجرى الصفقات معه. في نهاية نوفمــبر، فــي روما، تلقى إليوت إبرامز إبلاغا أول. تحفظ الأمريكيون. لم يعرفوا كيف يبتلعون هذا. "يا أصدقاءنا، هذا سابق جداً لأوانه"، قالوا لفايسجلاس وطاقمه. قالوا "امنحوه وقتا"، ألحوا على شارون، "أعطوه فرصة"، ، يقصدون "أبو علاء".

مضــى الوقــت، وخيــب أبو علاء الآمال. أدرك الأمريكيون هذا بالطريق الصعبة، على جسد المبعوث جون وولف. نشأ بينهم وبين فايسجلاس فولكلور. بدأ كــل لقاء بسلسلة نكات مشتركة عن "الخطة الأمنية الجديدة" أو عن "رجال دحلان" الذيــن ســيقيمون نظامــاً فــي غزة، وعن "الإصلاح في أجهزة الأمن". قصص مغامــرات الفلســطينيين التــي وصــلت إلــى قمتها في العملية القاتلة ضد القافلة الأمريكــية فــي غزة، حسمت الأمور. وصل الأمر إلى حد أنه في بداية كل لقاء إســرائيلي – أمريكي كان فايسجلاس يتفوه بشيء ما عن أجهزة الأمن الفلسطينية البطلة، وكان الحاضرون جميعا ينفجرون ضحكاً. اتضح للأمريكيين أن عليهم فعل شــيء آخــر، شــيء جديــد. تغيير الاتجاه. وحتى ذلك الوقت لم يكونوا يحلمون بالانفصال.

قــبل يومين من خطاب هرتسليا، عاد وزير الخارجية سلفان شالوم إلى البلاد من واشنطن مع انطباع واضح من كبار مسؤولي الإدارة بأنه لا داعي لأي اجراء

مهم الآن. نقل الوزير شالوم الرسالة التي كانت دقيقة لحينه. خطب رئيس الحكومة الخطـــاب. بعـــد ذلـــك بدأ فايسجلاس العمل عملاً حقيقياً. لقد قاد الأمريكيين رويداً رويـــداً في بهو مظلم، وشعلة نفطية في يده والكثير من السخريات في فمه. ظهروا أول أمس في نهاية البهو لضوء ساطع في واشنطن. بصبر مع الكثير جداً من قوة الإقناع وغير قليل من الحيل. مشوا وراءه. لقد ترددوا من قبل، واعتادوا بعد ذلك، وفي النهاية تحمسوا.

فايسجلاس كجاسوسة مجرية

اســتقبل الانفصـــال بدايـــة فـــي أمـــريكا بعداء، وانتقل الى الشك، واستبدل باللامـــبالاة، وتقـــدم الى حب الاستطلاع، وأنهى الطريق بهتاف صاخب. ليس فقط لأن الأمريكييـــن انـــتقلوا إلى حماسة ظاهرة، ولكنهم أيضا طلبوا الخطة لأنفسهم، وظفوهـــا لصالحهم وربطوها بالحاجات المتعاظمة للرئيس بوش لإظهار إنجاز أيًا كـــان، حـــتى لـــو كـــان مؤجلاً أو مؤقتاً، مقابل وضعه التعيس. لقد جرهم دوف فايســـجلاس وراءه مثل الفئران على أثر عازف الناي المشهور. لقد أصبحوا الآن منومين تنويماً، ومتحمسين. لا يدرون ماذا ينتظرهم في نهاية الطريق.

أمـــا مـــا ينقص فهو أن يخسر شارون في استفتاء منتسبي الليكود في مايو. الرئـــيس الذي خرج عن طوره سلفاً ودفع الثمن قبل تلقي البضاعة، سيبدو أحمق. فهو أعطى كل شيء ولم يتلق شيئاً. سيُدان شارون، واذا ما أراد فايسجلاس القدوم الـــى واشـــنطن، فسيضـــطر الى فعل ذلك بهوية مختلفة متنكراً في زي جاسوسة مجـــرية. فـــي البيـــت الأبـــيض فحصوا في الأسبوع الماضي بجد لماذا يتخوف "روبيـــن"، أولـــيس هـــو رؤوبيـــن أدلـــر، من أن الاستفتاء قد يفشل. فحصوا عن اســـتطلاعات الرأي. وأجروا حسابات. وقرروا في النهاية. أحقا؟ بعد العرض أول أمـــس يصعب تصديق أن أصدقاء عوزي كوهين سيركلون رأس كوندليزا. هذا هو الســـبب لـــتحول جورج بوش الى المشاركة في الحملة الدعائية الأكثر بروزاً في مركز ليئور حوريف.

كانـــت الأيام الأخيرة هي الأصعب. تزايد الضغط الخارجي على الأمريكيين باطـــراد. حـــذر مبارك. أرسل الفلسطينيون مبعوثين من كل وجهة. كلهم حذروا، لوحـــوا بأصـــابعهم، وألحوا على الرئيس ألا يمس الوضع الراهن، وألا يقترب من قضـــايا التســـوية الدائمة. كان العمل الدؤوب لفايسجلاس وآيلاند في خطر مجسد.

أنفــق فايســجلاس مــئات الساعات على أوصافه النحتية التمثيلية: "كونداليزا، إنه يصــنع التاريخ، تصوري، آرييل شارون يقوض المستوطنات، هذا شيء لا يمكن فهمــه، هذا مذهل. نحن ندغدغ لأول مرة التسوية الدائمة، يجب عليكم أن تسيروا معــنا. أنــتم أيضــا يجــب أن تدغدغوا للمرة الاولى هذه القضايا. لن يمضي هذا بدونكم. تعالوا نسير معا".

"آه، توجد مشكلة"

شــم فايســجلاس الضائقات، وقرر استباق الأمر والخروج إلى واشنطن مع خــروج السبت. الأحد صباحاً هبط مع جيورا آيلاند وداني أيالون وشالوم ترجمان فــي العاصــمة الامريكية. في الثانية عشرة ظهراً بدأ اللقاء مع الأمريكيين. وقبل منتصــف اللــيل وجــدت صــيغة نهائية ومتفق عليها للرسائل. وعندها قال ديفيد ســاترفيلد الجملة الآتية: "حسن، الآن يُحول هذا الفحص لرجال القانون في وزارة الخارجية". قال واختفى. استغل فايسجلاس الوقت، هاتف شارون وقرأ عليه النص. كــان شارون راضياً. ما إن أنهى فايسجلاس المحادثة حتى دخل ترجمان الغرفة. وقال: "آه، توجد مشكلة، أعاد الأمريكيون الوثيقة مع أربعة إصلاحات".

مشــكلة لفايســجلاس. قــال كثيرون (وهنا أيضاً) إنه إذا عاد للبلاد من غير الوعــود التي نثرها، فإنه سيهان إهانة ضخمة في مركز الليكود. وها هو ذا يحدث لــه. كانــت تحفظات الأمريكيين مثيرة للعصبية. رجال القانون في محاولتهم جعل المشــكلات عقــيمة، حــتى اتفاق أوسلو، فتحوه، وكذلك اتفاق واي، كل الاتفاقات والموافقــات، وفــيها القــرارات ٢٤٢ و٣٣٨. كانوا يهدفون الى إيجاد صيغة لا تــناقض أي واحــد من هذه الاتفاقات، وبهذا يدفعون كل نقد ممكن من جهة العالم العربي.

لهــذا، مثلاً، أضافوا في بداية الفقرة التي تبحث في حق عودة اللاجئين تعبير "كجزء من مبدأ عام". هذا يعني أن كل شيء مبدئي، وأنه لا يوجد شيء عملي حقاً في أقوال الرئيس في موضوع اللاجئين.

"مــاذا تقــول؟"، ســأل فايسجلاس ترجمان. "فظاعة" أجاب ترجمان. هاتف فايســجلاس الأمريكيــين وقال: "يا أصدقاء، هذا لا يجوز. لن يقبلوا هذا. سأوصي رئيس الحكومة أن يؤجل وصوله. لا أنوي إهانته".

ثــارت ضــجة، كما كان متوقعاً. يوم الاثنين ازدحم الأمريكيون في مزرعة الرئــيس في تكساس، مع مبارك. كان على شارون أن يقرر في شأن السفر. بدأت

مفاوضات ماراثونية. تدخل باول شخصياً من طائرته وفرض صلاحيته على رجال قانونـه. فـي السـاعة السابعة مساء، بتوقيت إسرائيل، وضعت صيغة جديدة أمام فايسـجلاس. ليسـت تامة، ولكنها في الاتجاه الصحيح. هاتف شارون، وطلب إليه تأجيل السفر لساعتين ليمكنه من إتمام العمل. وهكذا كان. أرسى فايسجلاس الوثيقة بسلام، وطار شارون، وما سوى ذلك شاهدتموه تليفزيونياً.

لـيس سـهلاً الـنظر إلى أمريكا في هذه الأيام. أي سقوط. ذعر عظيم وثقة بـالذات ضـئيلة. فـي الفندق الواشنطني ترتفع لافتة تحذر الضيوف من أصوات انفجـار متوقع في الساعة الثانية بعد الظهر في موقع البناء المجاور. سيُسمع قبل الانفجـار صـفير الإنـذار، كما تبشر اللافتة. الأمريكيون منظمون. حتى ذعرهم مـنظم. أيـن تلـك الأيام التي كان يجول فيها المواطن الأمريكي في العالم بفخر وعجرفة. اليوم يتواضع، مثل مواطن إسرائيلي تقريباً.

جدار الأمريكيين

الجـدل الآن فـي واشـنطن هو : هل سيكون العراق فيتنام؟ ، إلى أن يُحسم الجـدل، يتضـح أن العراق هو لبنان، في أقل تقدير. أو أفغانستان. على أي حال، لـيس لطـيفاً هناك. عندما ينتهي ذلك، ليس واضحاً متى (ولكن من الواضح تماماً كـيف)، سيصحو الأمريكيون. سيدركون أن يدهم الطويلة لن تنال القتلة وأنهم لن يقضـوا علـى الإرهـاب. بالضبط كما أدركنا نحن. بدل اصطياد الإرهابيين في أفغانسـتان ومحاولة إصلاح العالم سيبنون جداراً. ولكن على العكس منا، سيبنونه بـناءً حسـناً وسريعاً. لم تعد المحيطات، كما قال أول أمس رئيس الـ سي.آي.ايه جـورج تينيـت، تحمينا كما كانت ذات يوم. سنضطر إلى تعلم كيف نحمي أنفسنا. سنسـتغرق خمـس سنوات حتى نلائم تنظيمات الاستخبارات لضرورات محاربة الإسـلام المـتطرف. يعـرف تينيت ما يقول. من يعرف أمريكا يعرف أن هذا قد يسـتغرق وقتاً، ولكنه سيحدث. ستقام الآلة، وتركب، وستعمل أيضا في النهاية. في أثـناء هذا ، بوش في أزمة. في يوم الثلاثاء ١٣ أبريل جرب سقوطاً حقيقياً. رفع اسـتطلاع أجرته "نيوزويك" جون كيري فوقه بنسبة ثابتة تساوي ٧ في المائة (٥٠ – ٤٣) بدون أن يقوم بأي شيء ذي شأن. جمع بوش حفلاً صحفياً مذعوراً، وظهر علـيه الذعر. ٥٩ في المائة من الأمريكيين غير راضين عن الوضع. يزداد عمق

الوحل في العراق. كيف باعهم أحمد الجلبي "رئيس المعارضة" الحالي ذاته، نظرية "العراقي الراضي" الذي سيستقبل قوات الهبوط بالطبول والرقص؟.

قال الرئيس للاسرائيليين يوم الأربعاء: "ليست لدي أية نية للتراجع. سنفعل ما قلنا إننا سنفعله. قُضي الأمر. سنفعل بالضبط ما قلنا". لا خيار أمامه. إذا ما انكمش الآن فسيهزم في نوفمبر في صندوق الاقتراع، سيزيد الوتيرة، وسيبذل الجهد، وسيزيد الجنود، وسينشئ ضجة حرب وأصوات نصر، على أمل ألا يظهر عجزه حتى تشرين الثاني. بعد ذلك سنرى.

في أثناء هذا من السابق لأوانه الرثاء له. لديه ١٨٠ مليون دولار في خزينة الحملة الانتخابية. المرشح ضده قابل للإصابة. قام رجال بوش في الأسبوع الماضي بتجربة صغيرة، اختاروا أربعة أماكن يتمتع فيها جون كيري بشعبية وخرجوا ثمة بحملة دعائية مضادة عنيفة ضده. نجح هذا وفقد جون كيري التفوق. رامسفيلد من جهته يرسل وحدات خاصة إلى الحدود بين باكستان وأفغانستان على أمل أن يستغل ذوبان الثلوج ووضع اليد على الجائزة الكبيرة حقاً، على أسامة بن لادن. ويفضل أن يحدث هذا في أكتوبر. الجمهوريون ينشئون على إحصاء يقول إن نصف السنة بين يناير ويونيو في السنة الانتخابية يقرر مصير الرئيس. إذا كان لديه تأييد أربع درجات مئوية فما فوق، فسينتصر الرئيس. واذا كانت ثلاثاً فما دونها - فسيخسر الرئيس. واذا كانت بين بين، فالرئيس معلق. في الأيام القريبة ستنشر أرقام النمو للربعية الأولى (يناير - مارس). ستكون قريبة من ٤ في المائة. اجتاز بوش السقف المطلوب في نصف الوقت. في الاقتصاد هو على ما يرام إذن. والسؤال هو ما إذا كان الاقتصاد هو الذي سيحسم هذه المرة.

أكثر يمينية من ليبرمان

لفهم بوش يجب دراسة رجاله. أكثرهم يمينيون، محافظون جدد، مؤيدون لإسرائيل (لأسباب مختلفة: الدين مثلاً، اليهودية أو النصرانية، نفس الشيء). كوندليزا رايس مثلاً.

إلى جانب كوندليزا، يوجد غير قليل من المسؤولين الكبار الذين يعتقدون أن كل محادثة مع الفلسطينيين هي تضييع وقت خالص. افيجدور ليبرمان؟ إنهم عن يمينه. أبلغ مسؤول اسرائيلي رفيع واحداً منهم، في وقت دقيق تقريباً، عن اغتيال أحمد ياسين. "وماذا عن الرنتيسي؟"، وبّخه الأمريكي. من جهة يوجد غير قليل من هذه النماذج. ومن جهة أخرى يوجد آخرون أيضاً. موظفو وزارة الخارجية في

الأســاس. حُســم الصــراع بين هذه الأقطاب هذا الأسبوع في واشنطن بالنقاط لا بالضربة القاضية. يجب الطمأنة: لم يكن هذا تصريح بلفور ولم يكن حدثاً تاريخياً، كان ذلك وثيقة سياسية مهمة، كثيرة التأثير،كان إنجازاً حسناً ضمن صراع طويل.

فوجــئ الإســرائيليون يــوم الأربعاء من الخبرة التي أظهرها الرئيس بوش بالتفاصــيل. كانــت معــنوياته عالية، بل حتى مبالغاً فيها. إما ألا يكون على علم بوضــعه، وإمــا أنهم لم يجددوا علمه. لقد احتضن شارون ورجاله احتضاناً جسدياً حقــاً. نكات وضحك. وفخر بأنه كان أول رئيس أدرك أن عرفات فشل، ودعا الى اســتبداله، وقــال: "كلهــم انتقدوني والآن يدرك العالم أنني كنت على حق". ولكنه أضــاف مــن جهة أخرى: "المس به الآن ليس فكرة حسنة، أطلب إليكم عدم فعل ذلك".

أغــرق بــوش شــارون بالحــب والعطف. تحدث عن الشجاعة، والزعامة، والــرؤيا. عن التزام الولايات المتحدة بأمن إسرائيل. "إسرائيل دولة صغيرة جداً"، جــرب علــيه شارون نصه المعتاد، وقاطعه بوش في الحال قائلاً: "صغيرة جداً، ولكنها ذات مكانة خاصة جداً بالقياس إلينا وعزيزة علينا. كل مس بكم هو مس بنا. من يهاجمكم فكأنما يهاجمنا".

الحقــيقة أن هذا يحدث حقاً في الساحة، فحماس والجهاد وحزب الله والقاعدة يهاجمونهم ويهاجموننا. بعد ذلك عندما توجهوا الى الأكل، تأخر فايسجلاس كعادته وثرثــر مــع شخص ما بجانب الباب. ألح بوش عليه، "هيا، تعال، نحن جائعون". حــاول فايســجلاس التهرب: "لست جائعاً". بوش: "إذن لتجلس معنا فقط". وأجاب فايسجلاس: "مع كل حديثك عن عرفات فقدت شهيتي".

إن تعــدد الصياغات، والتدخل بالتعديل أو الحذف أو الإضافة -كما رأينا في وعــد بــوش -قد حدث من قبل في وعد بلفور" الذي شابهه حتى في التفصيلات، تفصــيلات الســرية والإعداد وصولاً إلى الإصدار، مثلما خرج من اجتماع مجلس الــوزراء البريطاني في ١٩١٧ من بشّر"وايزمان" بأن المولود ولد، طبع بوش قبلة علــى صــلعة فايســجلاس، الذي بادر بتقبيل كوندليزا، أما دور"كولين باول" الذي يعتبره العرب"معتدلاً" فقد كان كلمة فاصلة.

القاهرة ١- ٦- ٢٠٠٤

تقنين ضمانات بوش لشارون

" من معالم الساداتية : التنازلات من طرف واحد .. والتنازلات مقدماً، ودون مقابل، وأحياناً دون مساومة. وهل أدل على ذلك من الزيارة المشؤومة؟!"

مع مراعاة فروق التوقيت بين واشنطن العاصمة الأمريكية و"طابا" في سيناء العربـية، وفي يوم الخميس ٢٤ يونيو ٢٠٠٤ أقر مجلس النواب الأمريكي بأغلبية "غير معقولة" ما اتفقنا على تسميته بـ" وعد بوش" وفي اليوم نفسه اجتمعت "اللجنة الرباعـية " الدولـية أو ممـثلوها فـي "طابا"، وشددوا على العمل لإنجاح مبادرة إسـرائيل للانسـحاب من غزة، وأعلن أحد أعضاء اللجنة عن دعمها بقوة للتحرك المصـري، بشـأن غـزة، وذكـرت مصـادر قريبة من الاجتماع، حسب رواية صـحيفة"الحياة"، في يوم الجمعة ٢٥ مايو، أنه تم التطرق في الاجتماع إلى الجهود المكـثفة التـي تبذلها مصر في شأن الانسحاب الإسرائيلي (من غزة)، والضمانات التـي يتطلـبها هـذا الأمر من جانب الحكومة الإسرائيلية، والتخلي عن نيتها في الاحتفاظ بأي أرض في غزة أو ممرات انطلاقاً من الأرض الفلسطينية.

إذن طغـى " صوت الرباعية " في الإعلام العربي الموجه وشبه الموجه على قـرار مجلـس الـنواب الأمريكي الذي بدأ خطوة تقنين ضمانات بوش لشارون، وتحويلها إلى قانون ملزم لكل رئيس سيأتي بعد بوش.

علـى سـبيل المـثال ، نشرت " الأهرام" – الطبعة الثانية في ٢٥ يونيو نبأ اجـتماع اللجنة الرباعية في الصفحة الأولى على ثلاثة أعمدة وبعنوان من سطرين همـا:"اللجـنة الرباعـية تدعم بقوة الجهود المصرية للمساعدة في إتمام الانسحاب الإسـرائيلي مـن غـزة – الإعداد لمؤتمر كبير للدول المانحة لتأمين الاحتياجات الاقتصادية والإنسانية للفلسطينيين".

فـي حيـن نشرت نبأ مجلس النواب الأمريكي في الصفحة الرابعة وبالعنوان التالـي:"مجلس النواب الأمريكي يوافق بأغلبية ساحقة على خطاب ضمانات بوش لشـارون"، صـحيح أن الخبر نشر على ثلاثة أعمدة، ولكنه لم يحتل سوى نصف المساحة التي خصصت لهذا العنوان، الذي وضعت في إطاره أخبار أخرى.

والأغلبـية "غـير المعقولة" التي اعتمد بها مجلس النواب الأمريكي مشروع القـانون كانـت ٤٠٧ نواب ، عارضه ٩ نواب فقط ، في حين امتنع ٣ نواب فقط عـن التصـويت!. وفـي ذلك اليوم – وإلى تاريخ كتابة هذه الكلمات في ٦ يوليو

٢٠٠٤ – لـم يصدر صوت عربي واحد ، نيابي أو غير نيابي يعلق تعليقا ذا وزن إيجابي على تصويت مجلس النواب الأمريكي . ولكن آرييل شارون رئيس وزراء الكيان الصهيوني الـذي استحصـل او استحصد الضمانات ، سارع مساء يوم الخميس – مـع مـراعاة فروق التوقيت بين واشنطن وتل أبيب – إلى الترحيب بالقرار الأمريكي بتحويل الضمانات التي حصل عليها من بوش إلى قانون ، ونقلت عنه صحيفة "يديعوت أحرونوت" في اليوم التالي (في موقعها على الإنترنت) قوله "لقـد حظـي هذا الموقف بمفعول ملزم، إنه يوم عظيم في حياة دولة إسرائيل. إن الدعـم الـذي حظيت به إسرائيل من الكونجرس يعتبر من الإنجازات المهمة التي شهدتها دولة إسرائيل منذ إقامتها".

وبالمثل، عبر "سلفان شالوم"، وزير خارجية الكيان الصهيوني عن فرحته بأن وجه التهنئة إلى الكونجرس على هذا القرار، وقال – مثل شارون – إنه قرار مهم للغايـة "لا يشـير إلى التزام الإدارة الأمريكية فحسب تجاه إسرائيل، بل إلى التزام الكونجرس أيضاً".

وإذا كـان " توم ديلاي" زعيم الأغلبية الجمهورية في مجلس النواب رأى أنه "بكـل بسـاطة، فإن القرار يقضي بأن إسرائيل ليست ملزمة بالانسحاب إلى حدود ١٩٤٨ ، وما يسمى بحق العودة ليس قائما" ، فإن " دوف فايسيجلاس " مدير مكتب شارون والذي لعب دوراً بارزاً في الحصول على "وعد بوش" قرأ التصويت قراءة صـحيحة ورأى أنـه يكتسـب أهمية خاصة، لأنه اتخذ في فترة انتخابات الرئاسة الأمريكـية إذ "الـتقى جميع أطراف الحلبة السياسية في دعم رسالة الرئيس بوش. كانـت لحظـات رائعـة ونحـن نستمع إلى تصريحات النواب التي أكدت صداقة الولايـات المـتحدة مـع إسرائيل حكومة وشعباً وحق إسرائيل في الوجود كدولة يهودية".

كـيف لا ؟ ومجلس النواب الأمريكي يصوت بأغلبية كاسحة على نسف قرار الأمـم المتحدة ١٩٤ المتعلق بحق العودة لأكثر من خمسة ملايين لاجئ فلسطيني، ويشـير – حسـبما أوردته "الحياة" – إلى عدم إمكان السماح بعودتهم إلى إسرائيل "تفادياً لتهديد الهوية اليهودية" للكيان الصهيوني .

أما " الإيباك" أي اللجنة الإسرائيلية – الأمريكية للشؤون العامة، وهي أكبر " لوبي" صهيوني في الولايات المتحدة فقد وصفت القرار بـ "التاريخي" وبأنه "نقطة انطلاق جديدة للسياسة الأمريكية في الشرق الأوسط".

وكان متوقعاً أن يتم عرض مشروع القرار الذي اعتمده مجلس النواب – يتم عرضـــه على مجلس الشيوخ بعد أسابيع أو على الأقل بعد أيام، ولكن الذي حدث هــو عرض المشروع في اليوم التالي مباشرة لتصويت مجلس النواب. وبالفعل أيد ٩٥ عضـــواً، أو شـــيخاً، رســـالة الضـــمانات التي عارضها ٣ شيوخ فقط، وكان مشـــروع القرار في هذا المجلس مشروعاً مشتركاً بين الجمهوريين والديمقراطيين، الذين فعلوا الأمر نفسه في مجلس النواب. وقد جاء قرار الشيوخ أقوى وأصرح في دعـــم الكـــيان الصـــهيوني ومساندته على طول الخط "تعهد بضمان أمن إسرائيل ورفاهيتها كدولة يهودية" وضمان "حدود يمكن الدفاع عنها" و"تعزيز وترسيخ مقدرة إســـرائيل الدفاعـــية لحمايـــة ذاتها في مواجهة كل تهديد" ، كما نص على "مطالبة الفلســـطينيين بوقـــف الكفـــاح المسلح والعنف ضد الإسرائيليين في كل مكان" كما "يطالـــب المؤسســـات الفلســـطينية بوقف التحريض ضد إسرائيل، ويطالب القيادة الفلســـطينية بـــالعمل بإصرار ضد الإرهاب، بما في ذلك العمل المتواصل المركز والناجح لتفكيك مقدرات الإرهاب وقواعده ".

وحســـبما أوردتـــه " يديعـــوت أحـــرونوت" فـــي ٢٦ يونيو في موقعها على "الإنترنت"، يطالب القرار الفلسطينيين بتنفيذ إصلاحات جوهرية، وشاملة، وبتأسيس ديمقراطـــية برلمانـــية ومـــنح الصلاحيات لرئيس الوزراء. ويؤكد مجلس الشيوخ الأمريكي أن "الأمن لن يتحقق طالما لم تتعاون إسرائيل والفلسطينيون ودول أخرى في الحرب ضد الإرهاب" ، كما يشير القرار إلى "حق إسرائيل في الدفاع عن ذاتها فـــي مواجهة الإرهاب ، بما في ذلك القيام بإجراءات ضد التنظيمات الإرهابية التي تهـــدد المدنييـــن الإســـرائيليين"، ومع أن القرار تبنى موقف الإدارة الأمريكية في حديثها عن اتفاق سلام وتأسيس "دولة فلسطينية" .. إلا أنه يرى "وجوب أن يتم هذا الاتفاق الدائم بناء على الواقع الميداني، بما في ذلك مراكز الإسكان الإسرائيلية".

ويـــرى أنـــه "مـــن غير المنطقي أن يؤدي هذا الاتفاق إلى الانسحاب الكامل والمطلـــق إلى حدود ١٩٦٧ ، بل من المنطقي توقع أن يتم التوصل إلى اتفاق دائم بـــناء على التغييرات التي سيتم تنفيذها من خلال الاتفاق المتبادل الذي يعكس هذا الواقع".

ولا يكتفـــي قـــرار مجلـــس الشيوخ الأمريكي بكل هذا، بل يضيف أن "الحل الثابـــت لمســـألة اللاجئيـــن يجب إيجاده في إطار دولة فلسطينية ، وتوطينهم هناك

ولـــيس داخل دولة إسرائيل" ، وتبقى فقرة ذات دلالة خاصة، وهي "أن الكونجرس يتبنى هذه المبادئ كسياسة أمريكية في الشرق الأوسط".

هل من سميع لكل هذا ؟ هل من هيئة أو مؤسسة أو دولة عربية تلقت هذا كله واستوعبته ورأت مصادر الخطورة فيه، وحاولت أن ترد أو تدعو إلى رد مناسب، إلـــى إجراء أو عمل يوقف الخطر، خطر ضمانات بوش لشارون، وخطر تحويلها من سياسة تتبعها إدارة أمريكية إلى قرار يصدره مجلس الكونجرس بأغلبية كاسحة مـــن الجمهوريـيـــن والديمقراطيين، يصبح بالتالي سياسة ملزمة للحزبين، أي ولكل إدارة أمريكية قادمة؟!.

لقـــد غابـــت حـــتى التحليلات الصحفية عن هذا القرار "المهم"، الذي يتضمن معـــالم سيـاســـة أمريكـــية محـــددة تجـــاه فلســـطين، وتجاه الصراع الفلسطيني – الإسرائيلي، والعربي – الصهيوني . ويبقى للسيد عمرو موسى الأمين العام لجامعة الدول العربية شرف الكلام، ورفع الصوت والإدلاء بكلمتين في زمن أصبح العرب فيه عاجزين حتى عن الكلام !!.

فقد أوردت "الأهرام" في يوم الأحد ٢٧ يونيو ٢٠٠٤، أن الأمين العام لجامعة العـــرب قـــال:"إن اتخاذ الكونجرس قرارين يتضمنان تأييداً لاستيلاء إسرائيل على الأراضـــي الفلســـطينية، وتجاهل الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني يعد تطوراً سلبياً، ومؤسفاً للغاية بالنسبة لفرص السلام في الشرق الأوسط" ولم تذكر "الأهرام" لمـــن قـــال موسى هذا، ولكنها أضافت أنه قال أيضاً "إن هذا التصرف الذي يتعدى الشرعية الدولية، يفتح الباب أمام القرارات المضادة للسلام".

وشدد موسى على أن "الأمم المتحدة تبقى وحدها أساس الشرعية الدولية التي يستند إليها الشعب الفلسطيني في استعادة حقوقه".

لقـــد تكلم عمرو موسى في وقت التزم فيه الآخرون، وهم كثيرون، الصمت، ولكنه "كلام ساكت"، مجرد كلام لا يقدم ولا يؤخر . هل يملك الأمين العام لجامعة الـــدول العربـــية "ســـلطات" تخولـــه أن يقدم ، في هذا المجال ، ما هو أكثر من "الكلام"؟. حتى لو لم يكن الأمين العام يملك بحكم منصبه سوى هذا، فإن رجلاً مثل عمـــرو موسى – بما حظي به من "شعبية" في الشارع العربي – يحق له أن يفعل أكـــثر، فمـــا بالـــنا وأن الـــنظام الداخلي لمجلس الجامعة يعطيه "حق توجيه نظر المجلس، أو الدول الأعضاء إلى أية مسألة يرى أنها قد تسيء إلى العلاقات القائمة

بين الدول الأعضاء، أو بينها وبين الدول الأخرى" (المادة ٢/١٢ من النظام الداخلي لمجلس الجامعة).

وفي ظل صمت وعجز وزراء الخارجية العرب من جانب، وفي ظل الحديث عن تنشيط وتفعيل جامعة الدول العربية من جانب آخر، فقد كان من واجب الأمين العام أن يبادر إلى الدعوة لخطوات عمل وخطوات عملية في هذا المجال ، مجال التصدي لخطر "وعد بوش".. منذ صدوره، وليس منذ تحويله إلى قانون من جانب مجلسي الكونجرس، خطوات تخرج الدبلوماسية العربية ككل وعملية التسوية من المسار الذي لا تزال تواصل السير فيه.

ونقطة البدء هنا في مراجعة عملية التسوية مراجعة موضوعية وعلمية دقيقة تحصي سلبياتها وإيجابياتها، فتسعى إلى تخفيض الأولى إلى أدنى حد ممكن وإلى زيادة الثانية إلى أكبر حد ممكن. وهي مراجعة لا تقوم بها ولا تؤيدها المؤسسات الرسمية العربية فقط، بل تشارك فيها وتشترك معها المنظمات الشعبية والهيئات العلمية، بحيث تكون نتيجة المراجعة شاملة وواضحة، وتكون أساساً لاستراتيجية جديدة لعملية التسوية، بعيداً عن المنزلقات والانحناءات التي تعثرت فيها هذه العملية منذ سنوات وسنوات، إن لم يكن منذ بدايتها. وهذه الاستراتيجية تتضمن خطة واضحة ومحددة من المشروعات المختلفة المطروحة مثل "خريطة الطريق" وغيرها من المشروعات، كما تتضمن الاستمساك بالركيزتين الأساسيتين في أي تسوية تستحق هذا الاسم، وهما حق العودة من جانب والانسحاب الإسرائيلي الشامل من كل الأراضي الفلسطينية المحتلة في ١٩٦٧، لا مجال للخوض هنا في أية تفصيلات، ويكفي أني حاولت منذ صدر "وعد بوش" أن أنبه إلى خطورته، وأن أدعو إلى عدم إغماض العيون العربية عما يتضمنه من ضمانات لو حصل العدو عليها فعلاً، لقلنا على أراضي ١٩٦٧، بل وعلى قضية فلسطين السلام ... بينما نحن لا نزال نلوك صباح مساء الحديث عن السلام الذي لن يأتي – في مثل هذه الحالة – إلا بالشروط والمواصفات الأمريكية ـــ الإسرائيلية التي قدمها بوش إلى شارون . ماذا يتبقى لنا بعد هذه الضمانات ؟ سؤال أرجو أن يؤرق كل المهمومين والمهتمين بحقوق شعب فلسطين .. ولو في حدها الأدنى .. بعيداً عن أوهام وتهويمات التراجع الأمريكي عن هذه الضمانات، لم يحدث شيء من هذا، في أرض الواقع. بدليل أنه بعد حديث التراجع – من جانب بعض العرب، أعني الحديث – تحولت هذه الضمانات على يدي الكونجرس إلى تشريع، وقانون ملزم .

إذن، ما العمل ؟ أرجو أن نعرف وأن نثق أن لدينا أرصدة نستطيع تحريكها، والاستفادة منها.. فعلاً على موائد المفاوضات، وبدلاً من التبرع بأحاديث مثل أن كل اللاجئين لن يعودوا، أو أن المطلوب هو فقط إقرار الحق ، وليس من الضروري تنفيذه. بدلاً من هذا كله ، يمكن ببساطة شديدة أن نضع الهجرة الصهيونية إلى إسرائيل على بساط البحث، بمعنى أن نطالب بوقف العمل بـ" قانون العودة " الإسرائيلي من ناحية ، وبخروج كل من هاجر إلى أرض فلسطين بعد ١٥ مايو ١٩٤٨، أو بعد ٥ يونيو ١٩٦٧ . إن مثل هذا المطلب يضع " شرعية" الكيان الصهيوني موضع تساؤل ، يجب ألا نفرط في أية ورقة قوة في أيدينا إلا بمقابل معقول، ومقبول لدينا ...

وقد آن الأوان لتكوين لجنة مراقبة وإشراف عربية على المفاوضات مع العدو الصهيوني ، كما آن الأوان لإعادة العمل بخطط التنسيق بين دول الطوق؛ أي مصر وفلسطين وسوريا والأردن ولبنان.

إن الأوراق العملية والتفاوضية عديدة. لكن آفة عملية التسوية أنها قامت من الجانب العربي، ومنذ البداية على تقديم التنازلات مقدماً. ما أوصلنا إلى ما نحن فيه اليوم. لقد أصبح الموقف يفرض مراجعة جادة، وموضوعية، وشاملة تضمن لنا أن نتقدم على بينة، أو نتراجع على أساس، أو نتوقف ونحاور في مكاننا لفترة .. لقد بدأت عملية التسوية – حسب الحكايات الشعبية – من سكة الندامة ، وتجنبت سكة السلامة، وهي بعد اليوم – إن ظلت على ما بدأت به – ستقود إلى سكة من يدخلها لا يرجع ..

لقد أغرقونا، وأغرقنا أنفسنا أيضا، في أحاديث وقضايا جانبية. وسال حبر عربي كثير حول "خطوة شارون لفك الارتباط في غزة من جانب واحد" وتصويت الليكود عليها، ورفضه لها، ثم تعديلها، وموقف حكومة شارون منها، وهل يضمن الأغلبية أو لا يضمنها، وإقالة وزير أو آخر، وخروج كتلة أو أخرى من الائتلاف الحاكم . دوامة طويلة عريضة وعميقة، وعقيمة أيضا، فقد تناسى الجميع هدف شارون من خطته، مع أنه لم يخفه ولم يداره، وقال بصريح العبارة:" فك الارتباط يعتبر ضربة قاضية للفلسطينيين، وهو جيد لإسرائيل. (من حوار نشرته "يديعوت أحرونوت" في ٥ أبريل ٢٠٠٤).

وقال أيضاً :"الخطة صعبة على الفلسطينيين" وكرر قوله:"إنها ضربة قاصمة لهم، الخطوة أحادية الجانب لن تتمخض عن دولة، هذا الوضع يمكن أن يستمر

لسنوات طويلة "وهذا المعنى أوضحه وكرره وأكده صحفيون إسرائيليون كبار، قالوا بصريح العبارة أيضاً:" شارون ينسحب من غزة كي يحتفظ بالضفة الغربية .. ومع ذلك، أبى بعض العرب وفريق من الفلسطينيين إلا سلخ الدب قبل صيده، وبدأ الحديث عن إدارة غزة وكيف وبأي نصيب، ومضى كل فصيل يبحث عن دور.. ووسط هذا لم تتوقف آلة العدوان والتدمير والتخريب والاغتيال الإسرائيلية عن الدوران من جنين إلى نابلس. إلى غزة نفسها وشمالها وجنوبها.

خاصة بعد أن تأكد العدو أن المقاومة لا تزال قائمة ومستمرة وقادرة – على الرغم من خسائرها الكبيرة – على أن تضرب وتوجع . ثم بدأت الحوارات والخلافات والمناورات حول المبادرة المصرية في غزة.(انظر الأهرام في ١ و ٢٢ يونيو ٢٠٠٤) .. ولا يزال هذا مستمراً.

لقد بدأ التفكير في الخروج من غزة في أكتوبر ٢٠٠٣، في الشهر نفسه الذي بدأت فيه الاتصالات الإسرائيلية – الأمريكية للحصول على "وعد بوش"، وحين صدر قال بعض العرب إنه فوجئ به.

ولو كان بيدي، لطفت بكل مدينة وقرية عربية، ولدخلت كل شارع وحارة، وطرقت كل بيت ودار ، وناديت في كل محفل، وخطبت في كل جامع، وكتبت في كل صحيفة، وأذنت صباح مساء محذراً من خطر استمرار عملية التسوية، بعد وعد بوش لشارون، في المسار الذي هي عليه .. إلى اليوم .

وهذا بلاغ للناس، للعرب كافة.. وأرجو أن أكون قد بلغت، قد حذرت وأنذرت.. فهل من سميع؟.

الملاحق

[١]
نص رسالة بوش الى شارون

"السيد رئيس الوزراء:

اشكرك على رسالتك التي عرضت فيها خطتك لفك الاشتباك. إن الولايات المتحدة تبقى آملة ومصممة على إيجاد وسيلة إلى الأمام نحو حل للنزاع الإسرائيلي – الفلسطيني. وأنا أبقى ملتزماً رؤيتي، التي عرضتها في ٢٤ حزيران (يونيو) ٢٠٠٢، لقيام دولتين تعيشان جنباً إلى جنب في سلام وأمن كمفتاح للسلام وبـ"خريطة الطريق" إليها.

إننا نرحب بخطة فك الاشتباك التي قمت بتحضيرها، والتي بموجبها ستسحب إسرائيل منشآت عسكرية معينة وكل المستوطنات من غزة، كما تسحب منشآت عسكرية معينة ومستوطنات من الضفة الغربية. هذه الخطوات التي وصفتها خطتك ستسجل تقدماً حقيقياً نحو تحقيق رؤيتي لـ٢٤ حزيران ٢٠٠٢، وستقدم مساهمة حقيقية نحو السلام. كما إننا نفهم أن إسرائيل تعتقد انه في هذا الإطار من المهم المجيء بفرص جديدة إلى النقب والجليل. ونأمل بأن خطوات وفقاً لهذه الخطة، بتماش وتماسك مع رؤيتي، ستذكّر جميع الدول والأطراف بالتزاماتها بموجب "خريطة الطريق".

إن الولايات المتحدة تقدر المخاطر التي ينطوي عليها هذا المشروع. وعليه، أريد أن أعيد طمأنتك في ما يخص نقاطاً عدة.

أولاً: إن الولايات المتحدة تبقى ملتزمة رؤيتي وتنفيذها كما وصفت خريطة الطريق، والولايات المتحدة ستبذل قصارى جهدها لمنع أي محاولة من جانب أي كان لفرض أي خطة أخرى. بموجب خريطة الطريق يجب على الفلسطينيين أن يأخذوا على عاتقهم الوقف الفوري للنشاط المسلح وجميع أعمال العنف ضد الإسرائيليين أينما كان، ويجب على جميع المؤسسات الفلسطينية الرسمية إنهاء التحريض ضد اسرائيل. يجب على القيادة الفلسطينية أن تتصرف بحسم ضد الارهاب، بما في ذلك القيام بعمليات معززة ومستهدفة وفاعلة لإيقاف الارهاب

ولتفكيك القدرات والبنية التحتية الإرهابية. يجب على الفلسطينيين أن يشرعوا بإصلاح سياسي شامل وجذري يتضمن ديموقراطية برلمانية قوية ورئيس وزراء بصلاحيات وسلطة.

ثانياً: لن يتوافر الأمن للاسرائيليين أو للفلسطينيين إلا عندما يتكاتفون هم وجميع الدول في المنطقة وبعدها، في الحرب على الإرهاب وتفكيك المنظمات الإرهابية. إن الولايات المتحدة تؤكد مجدداً التزامها الراسخ بأمن اسرائيل، بما في ذلك حدود آمنة يمكن الدفاع عنها، وبصيانة وتقوية قدرات إسرائيل على الردع وعلى الدفاع عن نفسها، بنفسها، ضد أي تهديد أو مزيج ممكن من هذه التهديدات.

ثالثاً: ستحتفظ اسرائيل بحق الدفاع عن نفسها ضد الإرهاب، بما في ذلك اتخاذ إجراءات ضد المنظمات الإرهابية. والولايات المتحدة ستقود الجهود، وبعمل مشترك مع الأردن ومصر وآخرين في الأسرة الدولية، لمنع المناطق التي تنسحب منها اسرائيل من تشكيل تهديد يتطلب معالجته بأي طرق أخرى. والولايات المتحدة تفهم أنه بعد انسحاب اسرائيل من غزة و/أو من أجزاء من الضفة الغربية، إلى حين اتفاقات على ترتيبات أخرى، إن الترتيبات المعنية بالسيطرة على الأجواء، والمياه الإقليمية، والمعابر البرية في الضفة الغربية وغزة، ستستمر.

إن الولايات المتحدة تلتزم بقوة أمن ورفاه اسرائيل دولة يهودية. ويبدو واضحاً أن إطاراً لحل توافقي وعادل ومنصف وواقعي لقضية اللاجئين الفلسطينيين، كجزء من أي اتفاق على الوضع النهائي، يجب التوصل إليه من خلال إقامة دولة فلسطينية وتوطين اللاجئين الفلسطينيين هناك بدل إسرائيل.

وعلى إسرائيل، ضمن تسوية نهائية سلمية، أن تحصل على حدود آمنة ومعترف بها دوليا يجري التوصل إليها من المفاوضات بين الأطراف متماشياً مع قراري مجلس الأمن ٢٤٢ و٣٣٨ . وعلى ضوء الوقائع على الأرض، من ضمن ذلك المراكز السكانية الاسرائيلية الرئيسية المتواجدة. لا يمكننا واقعياً أن نتوقع أن تكون نتيجة مفاوضات الوضع النهائي العودة الكاملة والشاملة إلى خطوط هدنة ١٩٤٩، وهي النتيجة نفسها التي توصلت إليها كل الجهود السابقة للتفاوض على حل الدولتين. ومن الواقعي ألا ننتظر التوصل الى أي اتفاق على الوضع النهائي إلا على أساس تغييرات متبادلة متفق عليها تعكس هذه الوقائع.

أعرف، كما ذكرت في رسالتك، أنك تدرك أن هناك مسؤوليات معينة أمام دولة إسرائيل. من بين هذه ما أعلنته حكومتك عن أن الجدار الذي يتم انشاؤه من

قبل اسرائيل يجب أن يكون جداراً أمنياً وليس سياسياً، وأن يكون موقتاً وليس دائماً، وهو تبعاً لذلك لا يستبق أياً من قضايا الوضع النهائي ومن بينها الحدود النهائية، وأن على ترسيمه أن يضع في الاعتبار، متماشياً مع المتطلبات الأمنية، تأثيره على الفلسطينيين الذين لا يقومون بنشاطات إرهابية.

الولايات المتحدة، كما تعلم، تدعم قيام دولة فلسطينية قادرة على البقاء ومتواصلة (جغرافياً) وسيدة ومستقلة، لكي يتمكن الفلسطينيون من بناء مستقبلهم حسب رؤيتي التي طرحتها في حزيران (يونيو) ٢٠٠٢ والدرب الذي رسمته خريطة الطريق. وستنضم الولايات المتحدة إلى آخرين في المجتمع الدولي لرعاية تطوير مؤسسات سياسية ديموقراطية وقيادة جديدة تلتزم تلك المؤسسات، إضافة إلى إعادة ابتناء المؤسسات المدنية، ونمو اقتصاد حرّ ثري، وإقامة مؤسسات أمنية فاعلة تلتزم إدامة القانون والنظام وتفكيك المنظمات الإرهابية.

إن لتسوية تفاوضية بين الإسرائيليين والفلسطينيين أن تأتي بخير عميم ليس فقط للشعبين بل لشعوب المنطقة كلها. من هنا تعتقد الولايات المتحدة أن لكل من دول المنطقة مسؤولياتها: أي دعم بناء مؤسسات دولة فلسطينية، القتال ضد الإرهاب، وقطع كل أنواع المساعدة عن الأشخاص والمجموعات التي تمارس الإرهاب، وإن تبدأ الآن بالتحرك نحو علاقات أكثر طبيعية مع دولة إسرائيل. وستشكل هذه الخطوات مساهمة حقيقية في إقامة السلام في المنطقة.

السيد رئيس الوزراء: لقد قدمت مبادرة شجاعة وتاريخية يمكن أن تقدم مساهمة مهمة في السلام. إنني أحيي وأدعم جهودك وقرارك الشجاع. الولايات المتحدة، باعتبارها صديقاً وحليفاً مخلصاً، تعتزم التعاون الوثيق معك للمساعدة على إنجاحها.

المخلص جورج دبليو بوش

(الحياة ١٦ -٤- ٢٠٠٤)

[٢]

رسالة شارون الى بوش

حضرة الرئيس:

إن الـــرؤيا التي وضعتها في خطابك في ٢٤ حزيران ٢٠٠٢ تشكل إحدى المساهمات الأكثر أهمية في خلق مستقبل أكثر وضوحا للشرق الأوسط. وبناء على ذلك، فان دولة إسرائيل قبلت خريطة الطريق، كما تبنتها حكومتنا.

للمرة الأولى تُعرض صيغة عملية وعادلة لتحقيق سلام، تفتح نافذة فرص حقيقـــية للتقدم نحو التسوية بين الإسرائيليين والفلسطينيين، تتضمن دولتين تعيشان الواحدة إلى جانب الأخرى بسلام وأمن.

هـــذه الصـــيغة تعرض المسار والمبادئ السليمة لتحقيق السلام. وتطبيقها الكـــامل هـــو الوســـيلة الوحـــيدة لتحقـــيق تقدم حقيقي. وكما صرحت، فإن الدولة الفلسطينية لن تقوم أبداً بواسطة الإرهاب، والفلسطينيين ملزمون بمكافحة الارهاب بشـــكل مـــثابر وبحـــل بناه التحتية. وفضلاً عن ذلك، مطلوب جهد حقيقي لإجراء إصـــلاح حقيقـــي، ديمقراطـــية وحـــرية، بمـــا في ذلك زعماء جدد غير ضالعين بالإرهاب.

نحـــن ملتزمون بهذه الصيغة بصفتها المسار الوحيد، الذي بواسطته يمكن التوصل إلى إتفاق. نحن نؤمن بأن هذه الصيغة هي الصيغة العملية الوحيدة.

الســـلطة الفلسطينية، بقيادتها الحالية، لم تتخذ أي خطوة للإيفاء بالتزاماتها بموجـــب خـــريطة الطـــريق. فالإرهـــاب لم يتوقف، والإصلاح في أجهزة الأمن الفلســـطينية لـــم يتم والإصلاحات الحقيقية في المؤسسات لم تتحقق. دولة إسرائيل تواصـــل دفـــع ثمـــن باهظ على الإرهاب المتواصل. إسرائيل واجبة الحفاظ على قدرتهـــا فـــي الدفـــاع عن نفسها وردع أعدائها، ولهذا فإننا نحتفظ بحق الدفاع عن أنفسنا ضد الإرهاب واتخاذ إجراءات ضد منظمات الإرهاب.

وإذ توصلنا إلى الاستنتاج بأنه في الوقت الراهن لا يوجد شريك فلسطيني يمكـــن معه التقدم بالوسائل السلمية نحو التسوية، ولما كان الجمود الحالي لا يساعد في تحقيق الأهداف المشتركة، فقد قررت المبادرة بخطوة فك ارتباط تدريجي، على أمل تقليص الاحتكاك بين الإسرائيليين والفلسطينيين. وترمي خطة فك الارتباط إلى

تحسين أمن إسرائيل وإلى استقرار الوضع السياسي والاقتصادي. وهي ستتيح لنا نشر قواتنا بشكل أكثر نجاعة، إلى أن تنضج الظروف في السلطة الفلسطينية للتطبيق الكامل لخريطة الطريق.

أرفق، لعنايتك، المبادئ المركزية لخطة فك الارتباط. هذه المبادرة، التي نتخذها ليس وفقاً لخريطة الطريق، هي خطة إسرائيلية مستقلة، ولكنها لا تتعارض مع خريطة الطريق. في إطار هذه الخطة تعتزم دولة إسرائيل أن تنقل المنشآت العسكرية وكل الحواضر الإسرائيلية في قطاع غزة، وكذا منشآت عسكرية أخرى وعدد قليل من الحواضر في السامرة.

في هذا السياق، نحن نخطط لحث بناء جدار الأمن، الذي يعد استكماله حيوياً من أجل ضمان أمن مواطني إسرائيل. الجدار هو أمني وليس سياسياً، آني وليس دائماً، وعليه ليس فيه ما يحسم مسبقاً مصير أي مسألة تتعلق بالتسوية الدائمة، بما فيها الحدود الدائمة. مسار الجدار، كما صودق عليه في قرارات الحكومة، سيأخذ بالحسبان، وفقاً للاحتياجات الامنية، تأثيره على الفلسطينيين غير الضالعين في أعمال الإرهاب. مع عودتي من واشنطن، أعتزم أن أطرح هذه الخطة لإقرارها على الحكومة والكنيست، وأنا مقتنع بأنها ستقر.

خطة فك الارتباط ستخلق واقعاً جديداً وأفضل لدولة إسرائيل، ستحسن أمنها واقتصادها وتعزز مناعة مواطنيها. في هذا السياق، أنا أؤمن بأن من المهم خلق فرص جديدة لمناطق النقب والجليل. وفضلاً عن ذلك، فإن الخطة ستستوجب سلسلة من الخطوات التي فيها طاقة كامنة لتحسين وضع السلطة الفلسطينية، شريطة أن تتمكن من استغلال هذه الفرصة. تطبيق خطة فك الارتباط ينطوي في داخله على احتمال تشجيع تغييرات إيجابية داخل السلطة الفلسطينية، كفيلة بخلق الشروط اللازمة لاستئناف المفاوضات المباشرة.

نحن نرى في تحقيق التسوية بين إسرائيل والفلسطينيين الهدف الأساسي، ونحن ملتزمون بتحقيق هذا الهدف. التقدم نحو هذا الهدف يجب أن يكون وفقاً لخريطة الطريق فقط، ونحن سنعارض كل خطة أخرى.

في هذا السياق، فإننا بالتأكيد على وعي بالمسؤولية الملقاة على عاتق دولة إسرائيل. هذه المسؤولية تتضمن قيوداً على نمو المستوطنات، إزالة مواقع غير قانونية وخطوات، وفقاً لاحتياجات الأمن لزيادة حرية الحركة للفلسطينيين غير

الضالعين في الإرهاب. نحن سنبعث إليك، على نحو منفصل، وصفاً كاملاً للخطوات التي تتخذها دولة إسرائيل للإيفاء بكل التزاماتها.

حكومة إسرائيل تؤيد مساعي الولايات المتحدة لإحلال إصلاحات في أجهزة الأمن الفلسطينية، من أجل أن تفي بالتزاماتها، بموجب خريطة الطريق، لمكافحة الارهاب. كما أن إسرائيل تؤيد مساعي الولايات المتحدة، إلى جانب الأسرة الدولية لحث مسيرة الاصلاحات، بناء مؤسسات وتحسين اقتصاد السلطة الفلسطينية ورفاه أهلها، على أمل بأن تثبت قيادة فلسطينية جديدة أنها قادرة على الإيفاء بالتزاماتها بموجب خريطة الطريق.

بودي مرة أخرى أن أعرب عن تقديري لقيادتك الشجاعة في الكفاح ضد الإرهاب العالمي، ومبادرتك الهامة لتحويل الشرق الأوسط إلى مكان أفضل لشعوب المنطقة، وأولاً وقبل كل شيء، لصداقتك الشخصية وتأييدك العظيم لدولة إسرائيل.

باحترام،

آرييل شارون

(يديعوت أحرونوت ٢٠٠٤/٤/١٥)

[٣]
وثيقة فايسجلاس

البناء في "يهودا والسامرة" سيقيد

الى د. كوندليزا رايس،
مستشارة الأمن القومي
العزيزة د. رايس:

باسم رئيس وزراء اسرائيل، آريـيل شارون، بودي أن أؤكد من جديد التفاهمات التي تحققت بيننا:

١. القيود على توسيع المستوطنات:

في إطار المبادئ المتفق عليها عن النشاط الاستيطاني ستبذل كل الجهود في الأيام القريبة القادمة لإيضاح تحديد حدود البناء للمستوطنات في يهودا والسامرة. فريق إسرائيل، بالتعاون مع السفير كيرتسر، سيدرس صوراً جوية للمستوطنات ويحددا معاً حدود البناء لكل واحدة من المستوطنات.

٢. إخلاء مواقع غير قانونية:

رئيس الوزراء ووزير الدفاع سيعدان بشكل مشترك قائمة مواقع غير قانونية وكذا مواعيد لإخلائها. الجيش الإسرائيلي و/أو شرطة إسرائيل سيتخذان خطوات متواصلة لإخلاء هذه المواقع في إطار تاريخ الموعد. القائمة المذكورة سترفع إلى السفير كيرتسر في غضون ٣٠ يوم.

٣. القيود على الحركة في منطقة يهودا والسامرة:

وزير الدفاع سينقل إلى السفير كيرتسر خريطة مؤشر عليها حواجز الطرق وحواجز الحركة الأخرى المنتشرة في أرجاء يهودا والسامرة. سترفع قائمة حواجز أزيلت وجدول زمني لإزالة حواجز أخرى. وغني عن الإشارة إلى أن وجود حواجز الطرق منوط بالوضع الأمني الجاري ومتلائم مع هذا الوضع.

٤. مسائل قانونية ترتبط بالمداخيل الفلسطينية (من الضرائب التي تجبيها عنهم إسرائيل):

الموضوع مطروح الآن على البحث في الهيئة القانونية في إسرائيل انتظارا للحسم القانوني. ونحن سنناشد المستشار القانوني اتخاذ كل الخطوات القانونية الممكنة من أجل حث اتخاذ قرارات الحسم.

٥. حكومة إسرائيل تتعهد أمام الإدارة الأمريكية بأن:

أ. حكومــة إسرائيل تبقى ملتزمة بحل الدولتين للشعبين – إسرائيل وفلسطين اللتيــن تعيشان الواحدة إلى جانب الأخرى بسلام وأمن – كمفتاح للسلام في الشرق الأوسط.

ب.حكومــة إســرائيل تــبقى ملتزمة بخريطة الطريق بصفتها السبيل الوحيد لتحقيق حل الدولتين للشعبين.

ج. حكومة إسرائيل تؤمن بأن خطة فك الارتباط والخطوات المترافقة بالنسبة لتوســع المســتوطنات، وبالنســبة للمواقع غير القانونية وبالنسبة للتخفيف من قيود الحــركة للفلسطينيين الذين لا يعملون في الإرهاب تنسجم مع خريطة الطريق وفي حالات عديدة هي خطوات لازمة في مراحل معينة لخريطة الطريق.

د. حكومــة إســرائيل تؤمن بأن خطوات إضافية من جانبها، حتى لو كانت تنسجم مع خريطة الطريق، لا يمكنها أن تتخذ في ظل غياب شريك فلسطيني ملتزم بالسلام، وإصلاح ديمقراطي ومكافحة الارهاب.

هــ.مع ظهور شريك فلسطيني كهذا، تحقق إسرائيل التزاماتها، كما يشار إليه فــي خريطة الطريق في إطار خطة تنفيذ، كما هو مفصل في خريطة الطريق، من أجل الوصول إلى اتفاق دائم يقوم على أساس المفاوضات.

و. حكومــة إسرائيل تبقى ملتزمة بالمفاوضات بين الأطراف للحل الدائم لكل المواضيع التي لا تزال عالقة.

ز. حكومــة إسرائيل تؤيد جهود الولايات المتحدة للاصلاح في أجهزة الأمن الفلســطينية كــي تتمكــن مــن الإيفاء بتعهداتها بموجب خريطة الطريق لمكافحة الإرهــاب، بــل إن إســرائيل تؤيد مساعي الولايات المتحدة العاملة بالتعاون مع الأســرة الدولــية، بحث مسيرة الإصلاح، بناء المؤسسات، تحسين اقتصاد السلطة الفلســطينية ورفــاه ســكانها بــأمل أن تكون القيادة الفلسطينية قادرة على الإيفاء بتعهداتها وفقاً لخريطة الطريق. حكومة إسرائيل ستتخذ كل الخطوات المعقولة، كما ستطالبها الأطراف ذات الصلة، للتخفيف عن هذه الجهود.

ح. كمــا أشــارت حكومة إسرائيل من قبل، فإن الحاجز (جدار الفصل) الذي تبنــيه إســرائيل ســيكون أمنياً وليس سياسياً، آنيا وليس دائماً، ولهذا فإنه لن يحدد مســبقاً الحــدود الدائمة. مسار الحاجز، الذي ينسجم مع الاعتبارات الأمنية، سيأخذ بالحسبان تأثيره على حياة الفلسطينيين غير الضالعين في أعمال الإرهاب.

مع الاحترام الشديد

دوف فايسجلاس

رئيس مكتب رئيس الوزراء

(معاريف ١٦ – ٤ – ٢٠٠٤)

[٤]
"رسالة التطمينات" من بوش إلى عبد الله

فـــي مـــا يلـــي نص"رسالة التطمينات" التي وجهها الرئيس جورج بوش إلى العاهل الأردني الملك عبدالله الثاني وأكد فيها أن قضايا الوضع النهائي في الصراع الفلسطيني –الإسرائيلي ستخضع للمفاوضات وفق مرجعية القرارين٢٤٢ و٣٣٨.

"صاحب الجلالة:

أود أن أعـــبر عـــن مـــدى سروري لرؤيتك خلال زيارتك واشنطن. كما هو معهود، كان حديثنا قيماً، وساعدني على فهم مجموعة المسائل التي تواجه بلادك في وقت التحدي، والفرص في الشرق الأوسط.

كانـــت مـــراجعة المسائل الثنائية على جدول الأعمال جد مفيدة. أنا مسرور وفخـــور بأن العلاقات الثنائية لم تكن يوماً أقوى مما هي عليه الآن. وسنستمر في تعزيـــز الـــروابط التجارية والاستثمارية الثنائية لخلق فرص عمل جديدة للأردنيين والأمريكيـــن. اتفاقيتنا في مجال التجارة الحرة تستمر في كونها نموذجاً للمنطقة، فـــيما نســـعى إلـــى مـــنطقة تجارة حرة في الشرق الأوسط، والتعاون في المسائل الاقتصادية أقوى من أي يوم مضى، أنا مسرور بالدعم القوي من الولايات المتحدة لرؤيـــتك نحو أردن مزدهر يسوده السلام عبر الدعم المباشر لبرنامج انتقالي على الصـــعيد الاجتماعي والاقتصادي، عبر دعمنا القوى لإصلاحات جلالتك في البنك الدولي وصندوق النقد.

كمـــا راجعنا سلسلة واسعة من المسائل الإقليمية التي تواجه الأردن. الولايات المـــتحدة ممتنة لمملكتك وصداقتها الدائمة. إن البلدين عملا عن كثب للتأكد من أن المنطقة، العالم أيضاً، أكثر أماناً وازدهاراً وحرية. لم يعد هناك ديكتاتور في بغداد يهدد الشرق الأوسط والشعب في الأردن، وكل جيران العراق باتوا أكثر أماناً، إن عراقاً حراً ومسالماً ومزدهراً سيسهم في أمنكم وازدهاركم.

الولايات المتحدة تدعم بقوة جهود مستشار الأمين العام للأمم المتحدة الأخضر إبراهيمـــي لـــتطوير خطـــة لحكومـــة انتقالية في العراق في آخر آيار"مايو" بعد استشـــارات مـــع العراقييـــن والتحالف.في ٢٠ حزيران"يونيو" سينتهي الاحتلال، والحكومة الانتقالية العراقية السيدة ستتسلم مسؤولياتها، خلال كل ما نفذته الولايات المتحدة إلى العراق كان هناك حرص على مصلحة الأردن.

ومــع انتقال السيادة إلى العراقيين الأحرار، يجب أن نعمل سوياً للتقدم بهدفنا المشـترك نحو الحرية والاستقرار والازدهار بالمنطقة. تحت قيادتكم بات الأردن قــوة لدفــع الإصــلاح والتغيير في الشرق الأوسط. إن استضافة جلالتكم للمنتدى الاقتصــادي العالمــي الذي ينعقد الشهر الجاري هو واقعة في غاية الأهمية ليرى العــالم أن المــنطقة تــتوق للإصلاح والفرص. موضوع الإصلاح في كل الشرق الأوســط مركــزي وفي صلب اجتماع قمة دول الثماني في حزيران"يونيو"، وأي توصية من المنتدى الاقتصادي العالمي سيرحب بها لصوغ الخطوات المستقبلية.

خلال زيارتنا، سررت بمناقشة الرغبة المستمرة لسلام عادل ودائم في الشرق الأوســط. أحيــي جهودكــم فــي الســعي للسلام والعدل في النزاع فلسطيني – الإســرائيلي. أنــا مازلــت ملتزماً رؤيتي في ٢٤حزيران"يونيو"٢٠٠٤ للدولتين؛ إسرائيل وفلسطين تعيشان جنباً إلى جنبا بسلام وأمن. وبتأسيس دولة فلسطينية قابلة للحــياة متعاضــدة وسيدة ومستقلة. أدعم الخطة التي أعلنها رئيس الوزراء شارون لســحب المستوطنات من غزة وبعض أجزاء الضفة الغربية. هذه الخطة الشجاعة يمكــن أن تقــدم مساهمة حقيقية نحو السلام. الولايات المتحدة لن تحكم مسبقاً على المفاوضــات النهائية، وكل قضايا الحل النهائي يجب أن تتمخض عن المفاوضات بيــن الجانبين وطبقاً لقرارات الأمم المتحدة وقراري مجلس الأمن ٢٤٢ و٣٣٨.إن خــريطة الطريق هي الوحيدة التي تبنتها الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي وروسيا والعديــد من الدول. إضافة إلى إسرائيل والفلسطينيين، وهي تمثل المسار الأفضل نحو تحقيق هذه الرؤية، وأنا ملتزم بجعلها حقيقة.

كنــت ومازلــت داعماً قوياً لعملية السلام والجهود لحل النزاع الفلسطيني – الإســرائيلي بأســلوب عادل. الولايات المتحدة تنوي متابعة العمل معك عن قرب للمساعدة في تحقيق هذا الهدف ومساعدتكم في جهودك التاريخية لقيادة الأردن نحو سلام أعظم ونحو الحرية والازدهار.

صــاحب الجلالة، أنا أعي أن بلدك وشعبك لهم مصلحة مهمة في أي تسوية للــنزاع الإسرائيلي –الفلسطيني، وأنا أعرف أن بلادك لها مصلحة مهمة في بزوغ عــراق جديــد. أنا أتعهد لك أن حكومتي تنظر إلى أمن الأردن وازدهاره ووحدته الجغرافية بغاية الأهمية، وسنعارض أي تطورات في المنطقة قد تهدد مصلحتكم.

بإخلاص"جورج بوش"
(لحياة في ٢٠٠٤/٥/٨)

[٥]

بيان اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية

برئاسة الأخ الرئيس ياسر عرفات رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية ورئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية عقدت اللجنة التنفيذية وممثلو القوى والفصائل الفلسطينية اجتماعاً في رام الله مساء اليوم، حيث استعرض الأخ الرئيس مجمل الأوضاع على الساحة الفلسطينية والإقليمية والدولية مشيراً إلى جملة المخاطر والتهديدات التي يواجهها الشعب والقضية الفلسطينية في ظل استمرار التصعيد الإسرائيلي العسكري المبرمج والاستمرار في بناء جدار الضم والتوسع العنصري وضرورة فعالية المجتمع الدولي لمواجهة هذه المخاطر، وذلك لتطبيق القرارات الدولية والاتفاقات المبرمة وإيقاف استهتار الحكومة الإسرائيلية المتطرفة واستغلال هذا الواقع لفرض الحلول العنصرية الاحتلالية المتطرفة.

وتدارست القيادة الفلسطينية نتائج إجتماعات اللجنة الرباعية، وأشادت بالمضمون الذي أكد على الحقوق الوطنية الفلسطينية وقيام الدولة الفلسطينية، والطلب من حكومة إسرائيل إنهاء حصارها الخانق وإجراءات الإذلال للشعب الفلسطيني وعدم القيام بأفعال أحادية والتأكيد على أن قضايا الحل النهائي يجب أن تتم من خلال المفاوضات بين الطرفين الفلسطيني والإسرائيلي وأيضاً التعهد بتقديم المساعدات للشعب الفلسطيني الذي يعاني الكثير بسبب استمرار هذا الاحتلال الإسرائيلي وجرائمه والإجراءات المستمرة والخطيرة لقوات الاحتلال الإسرائيلي التعسفية ضد جماهيرنا ومدننا ومخيماتنا وقرانا وضد مؤسساتنا الرسمية والشعبية وضد مزارعنا ومصانعنا ومساكن أهلنا في مختلف المناطق وكذلك الاستمرار في الاعتداء على مقدساتنا المسيحية والإسلامية وخاصة في القدس الشريف وبيت لحم والخليل.

وأكدت القيادة الفلسطينية على ضرورة استمرار فعالية اللجنة الرباعية وضرورة إحياء دورها الفاعل كراعية أساسية لتطبيق كافة الالتزامات بشكل كامل ومتواز وعبر إشراف ومراقبة دولية فاعلة وتحديد جدول زمني واضح وملزم لإنهاء هذا الاحتلال البغيض وتطبيق خارطة الطريق التي تؤدي إلى قيام دولة

فلسطين وعاصمتها القدس الشريف والتي أعلنها وأكد عليها الرئيس الأمريكي بوش وعلى أساس القرارات الدولية ١٣٩٧،٤٢٥،٢٥٢،٣٣٨،٢٤٢ والقرار ١٥١٥ ومبادرة القمة العربية في بيروت وأهمية التركيز على القرار ١٩٤ وخاصة بعد أن ثبت للعالم أجمع تطرف الحكومة الإسرائيلية وقواها المتطرفة والذي ثبت عبر الفشل في الاستفتاء على خطة رئيس الحكومة الإسرائيلية المزعومة لفك الارتباط من جانب واحد وما يسمى بالإنسحاب الوهمي من غزة والمزاعم بالمبادرة نحو الحل السلمي دون تنسيق مع الشعب الفلسطيني وقيادته وسلطته الوطنية وتكرار حجتهم الواهية بعدم وجود شريك فلسطيني، وقد أثبت ذلك كله عدم وجود شريك إسرائيلي لعملية السلام بل وجود حكومة إسرائيلية هدفها فقط تدمير مسيرة السلام بما في ذلك وضع التحفظات الأربعة عشر على خارطة الطريق والتهرب من استئناف المفاوضات، واستمرارها في اتخاذ الإجراءات التعسفية من اغتيالات وتدمير المنازل والاعتقالات ومصادرة الأراضي والتجريف والتوسع في الاستيطان والاستمرار في بناء الجدار العنصري وخرق الاتفاقات المبرمة وكذلك الشرعية الدولية.

إن القيادة الفلسطينية وانطلاقاً من وعيها العميق وتحذيراتها المتكررة بخصوص تجاوزات حكومة إسرائيل لكافة الإتفاقات والقرارات الدولية تؤكد مجدداً:

أولاً : التمسك بالأهداف المشروعة للشعب الفلسطيني والتي أكدتها القرارات الدولية ودعوة كافة الأطراف العربية والدولية لعدم التجاوب والتعاون مع خطة شارون لأنها تتناقض كلياً مع مسيرة السلام والاتفاقات المبرمة، وفي نفس الوقت تهدف إلى تدمير عملية السلام من خلال مناورات ومبادرات وهمية وغير مسؤولة.

ثانياً: التأكيد على التزام القيادة الفلسطينية بخيار السلام العادل والشامل سلام الشجعان الذي وقعناه مع شريكنا الراحل إسحق رابين كخيار استراتيجي والاستعداد التام لتنفيذ التزاماتها وفقاً لخطة خارطة الطريق.

ثالثاً : دعوة الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي واللجنة الرباعية لضرورة القيام بواجباتها بشكل أكثر فعالية وإعادة عملية السلام إلى مسارها الصحيح بتطبيق القرارات والاتفاقيات وفقاً للشرعية ورفض الإجراءات أحادية الجانب.

رابعـاً : دعـوة الإدارة الأمريكـية لضرورة إعادة النظر في الدعم الكامل لمخططـات رئـيس الحكومـة الإسـرائيلية الذي أعلن أن عملية السلام قد ماتت واسـتدراك المخاطر الناجمة عن استغلال شارون للضمانات والدعم المفتوح نحو تدمير خريطة الطريق وعملية السلام برمتها.

خامساً: وجوب استمرار الجماهير الفلسطينية وقواها الفاعلة بالصمود ورفض محـاولات الحكومـة الإسرائيلية وقوات الاحتلال الهادفة إلى تدمير البنية التحتية للمجتمع والإرادة الفلسطينية ولكننا نعتز بهذا الصمود الأسطوري لشعبنا دفاعاً عن أرضة المباركة ومقدساته المسيحية والإسلامية.

سادساً: أهمية تعزيز هذا الالتفاف الجماهيري حول القيادة الفلسطينية الشرعية المنتخـبة ديمقراطـياً باعتبارها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني إلى أية عمـلية تفاوضـية وإفشـال محـاولات حكومـة إسـرائيل النـيل مـنها.

سـابعاً: الالـتزام الـتام والفاعل من قبل كافة الأجهزة الأمنية والمؤسسات المدنية الفلسـطينية بالقيام بواجباتها بما يضمن الحفاظ على الأمن والنظام وسيادة القانون وحماية الحقوق الخاصة والعامة لشعبنا الصامد والأبي.

ثامـناً: دعـوة كافة الأشقاء العرب والمسلمين والأصدقاء والشرفاء في العالم والمجـتمع الدولي بما فيها الأمم المتحدة وروسيا والاتحاد الأوروبي وبقواه الجديدة على المستويين الرسمي والشعبي لتجسيد الدعم المادي والمعنوي للشعب الفلسطيني وسلطته الوطنية لتعزيز صموده والدفاع عن حقوقه ومقدساته المسيحية والإسلامية وخاصة ضد مخططات حكومة إسرائيل الهادفة لتهويد القدس الشريف.

تاسعاً: التأكيد على ضرورة الاستمرار في مواجهة بناء جدار الضم والتوسع والفصل العنصري المدمر لكافة إمكانيات إقامة الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس الشـريف ومـتابعة تفعيل هذا الملف لفضح الحكومة الإسرائيلية دولياً ومن خلال محكمة العدل الدولية في لاهاي.

عاشـراً : تحيي القيادة الفلسطينية نتائج اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة وعلـى القرار الأخير رقم ٢٩٢/٥٨ الداعم بشكل شبه إجماعي للقضية الفلسطينية والشـعب الفلسـطيني والحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني وقيام دولته الفلسطينية علـى كامل التراب الوطني الفلسطيني الذي احتل في حزيران عام ١٩٦٧ بما في ذلـك القـدس الشـريف عاصمة الدولة الفلسطينية، ورفضه مناورات وإجراءات ومحاولات حكومة إسرائيل للانتقاص من حقوق الشعب الفلسطيني سواء في أرضه

أو حـــدوده أو مـــن قرارات الشرعية الدولية المؤكدة والضامنة لهذه الحقوق غير القابلـــة للتصـــرف وكذلـــك البيان الأوروبي الأخير بعد اجتماع وزراء خارجيتهم وكذلـــك تحـــرك لجنة فلسطين في القمة الإسلامية برئاسة ماليزيا والرئيس عبدالله واد.

وقـــد خلصت القيادة الفلسطينية إلى ضرورة الاستمرار على كافة المستويات القومية والدولية وخاصة في مواجهة الممارسات الإسرائيلية والسياسات التصعيدية. وإرهـــاب الدولـــة المـــنظم الذي تمارسه الحكومة الإسرائيلية وجيشها ضد الشعب الفلسطيني وحقوقه وحياته الإنسانية والوطنية، وأكدت القيادة الفلسطينية على أهمية الاســـتمرار فـــي تعزيز هذه العلاقات الفلسطينية عربياً ودولياً وإسلامياً ودول عدم الانحياز وأمريكا اللاتينية والدول الإفريقية وجميع الأصدقاء والشرفاء في العالم بما فـــيهم الصين واليابان وكذلك أهمية بدء اجتماعات الجامعة العربية للتحضير للقمة العربـــية القادمـــة فـــي تونس والعمل الجاد والمسؤول لإعادة عملية السلام سلام الشـــجعان إلـــى مســـارها الصـــحيح . لحماية المسيرة الوطنية الفلسطينية وإنجاز الأهداف الوطنية الفلسطينية في الحرية والسيادة والاستقلال.

وأكـــدت القـــيادة الفلسطينية أن قيام دولة فلسطين عام ٢٠٠٥ هو أمر واقعي وأن مـــا حصـــل مـــن تأخـــير سابقاً وحالياً لمسيرة السلام يتعلق بموقف الحكومة الإسرائيلية التي تشير كل إجراءاتها ومناوراتها الى تدمير عملية السلام ضد شعبنا الفلســـطيني وحقـــه في إقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس الشريف، وإن شعبنا الفلســـطيني مصـــمم علـــى استمرار صموده في مواجهة التصعيدات والمخططات الإسرائيلية ضد شعبنا وضد السلام في المنطقة.

وكذلـــك استعرضـــت القيادة الفلسطينية زيارات مبعوثي الأخ الرئيس للدول الشـــقيقة والصـــديقة وتسليم قادتها رسائل سيادة الرئيس حول الأوضاع الفلسطينية والعـــدوان الإسرائيلي وقد أكدوا جميعاً على الموقف المبدئي لدعم المسيرة الوطنية الفلسطينية وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس الشريف.

كمـــا تـــتوجه القيادة الفلسطينية الى القادة الأشقاء العرب بمناسبة عقد مؤتمر القمة العربي القادم في تونس لتعزيز الموقف العربي لمواجهة التحديات والأخطار والعمل على تعزيز صمود شعبنا الفلسطيني بالدعم والمساندة في كل المجالات.

وقـــد حيـــت القـــيادة الفلسطينية التحرك الدبلوماسي الفلسطيني على الساحة العربـــية والإقليمـــية والدولـــية والإنجـــازات التي حققتها هذه الزيارات من توثيق

العلاقـــات الفلسطينية مع الأشقاء والأصدقاء لتحقيق السلام العادل والشامل والدائم للشعبين الفلسطيني والإسرائيلي ولشعوب المنطقة كلها .

كما حيت القيادة الفلسطينية الجماهير الفلسطينية والعربية لموقفها الرائع الذي عـــبرت عنه برفض التهديدات الإسرائيلية ضد الرئيس عرفات ولسياسات حكومة إســـرائيل وتصـــعيد العـــدوان المســـتمر ضـــد أبناء شعبنا واستمرار الانتهاكات الإسرائيلية التي أدانتها المحافل الدولية.

واستعرضـــت القيادة الفلسطينية الذكرى السادسة والخمسين للنكبة الفلسطينية والـــتآمر علـــى أرضنا الفلسطينية أرض الرباط وضد الشعب الفلسطيني والقضية الفلســـطينية ومحاولات اقتلاعه من أرضه ووطنه وفشل هذا العدوان المستمر منذ نصـــف قرن، بل أثبت شعبنا الفلسطيني المرابط تمسكه بأرضه المباركة وبأهدافه الوطنية وصموده الأسطوري في وجه الأخطار والانتهاكات والعدوان ودفاعه عن مقدساته المسيحية والإسلامية.

وأقـــرت القيادة الفلسطينية أن تكون هذه الذكرى يوماً تعبر فيه جماهير شعبنا الفلســـطيني وأصـــدقاؤه وأحرار العالم عن رفض الاحتلال والإصرار على إنهائه وضـــد جـــداره العنصري ورفض أي تجاوز للقيادة الفلسطينية المنتخبة ومحاولات القفز عنها وعن الأهداف الوطنية الفلسطينية في الحرية والسيادة والاستقلال.

[من موقع وكالة الأنباء الفلسطينية (وفا)
على الإنترنت – في ٨ مايو ٢٠٠٤]

[٦]

بيان اللجنة الرباعية

نص بيان اللجنة الرباعية الذي أصدرته بعد اجتماعها في واشنطن في ٤مايو ٢٠٠٤.

اجتمع اليوم في نيويورك ممثلو الرباعية، أمين عام الأمم المتحدة كوفي عنان، وزير الخارجية الروسي سيرجيه لافروف، وزير الخارجية الأيرلندي بريان كوين، وزير الخارجية الأميركي كولن باول، والمفوض الأعلى للاتحاد الأوروبي لشؤون السياسة الخارجية والأمنية خافيير سولانا، ومفوض العلاقات الخارجية في الاتحاد الأوروبي كريس باتن.

إن الرباعية تعيد تأكيد التزامها برؤيانا الخاصة بدولتين، إسرائيل ودولة فلسطينية ديمقراطية متلاحمة جغرافياً وذات سيادة وقابلة للحياة، تعيشان جنباً إلى جنب بسلام وأمن، وتدعو الطرفين إلى اتخاذ خطوات للوفاء بتعهداتهما ضمن خريطة الطريق كما نص على ذلك قرار مجلس الأمن الدولي رقم ١٥١٥ وبيانات الرباعية السابقة، وإلى الوفاء بالالتزامات التي قطعاها في قمتي العقبة في خليج العقبة وشرم الشيخ على البحر الأحمر. وضمن ذلك السياق، تحث الرباعية حكومة إسرائيل على تطبيق تأكيدها الأخير باستعدادها لتنفيذ تعهدات معينة ضمن خريطة الطريق، بما فيها تفكيك نقاط استيطان متقدمة تم إنشاؤها منذ آذار/مارس، ٢٠٠١، والتقدم نحو تجميد النشاط الاستيطاني، وتحث الحكومة الإسرائيلية على تطبيق هذه الالتزامات والوفاء تماماً بواجباتها المنصوص عليها في خريطة الطريق.

وقد استعرض أعضاء الرباعية التطورات منذ اجتماعهم الأخير في نيويورك في السادس والعشرين من أيلول/سبتمبر، ٢٠٠٣، وهم ينظرون بقلق عميق إلى الوضع في الشرق الأوسط .إن الرباعية تشجب الهجمات الإرهابية المستمرة على إسرائيل، وتدعو السلطة الفلسطينية إلى اتخاذ إجراءات فورية ضد الجماعات الإرهابية والأفراد الذين يخططون وينفذون مثل هذه الهجمات. ويقر أعضاء الرباعية بحق إسرائيل المشروع في الدفاع عن نفسها في وجه الهجمات الإرهابية ضد مواطنيها، ضمن حدود القانون الإنساني

الدولي، وتدعو الرباعية حكومة إسرائيل إلى بذل أقصى الجهود لتفادي وقوع إصابات بين المدنيين. كما أنها تدعو الحكومة الإسرائيلية إلى اتخاذ جميع الخطوات الممكنة الآن، بالتساوق مع احتياجات إسرائيل الأمنية المشروعة، للتخفيف من محنة الشعب الفلسطيني الاقتصادية والإنسانية، بما في ذلك زيادة حرية تحرك الأشخاص والبضائع داخل وبين الضفة الغربية وغزة، وإزالة حواجز التفتيش، وخطوات أخرى لاحترام كرامة الشعب الفلسطيني وتحسين نوعية حياته. وبموجب خريطة الطريق، يتعين على حكومة إسرائيل ألا تتخذ أي إجراءات تقوض الثقة، بما في ذلك؛ الترحيل، والهجمات على المدنيين، ومصادرة و/أو تدمير المنازل والممتلكات الفلسطينية، كإجراء عقابي أو لتسهيل عمليات البناء الإسرائيلية، وتدمير المؤسسات والبنية التحتية الفلسطينية، وغيرها من الإجراءات المحددة في خطة عمل تينيت. وتدعو الرباعية إلى استئناف الجهود للتوصل إلى وقف إطلاق نار شامل كخطوة نحو تفكيك قدرات الإرهابيين وبنيتهم التحتية، واستئناف التقدم نحو السلام من خلال تطبيق خريطة الطريق.

وتلاحظ الرباعية تعهد حكومة إسرائيل بأن الحاجز الذي تقوم إسرائيل ببنائه حالياً سيكون حاجزاً أمنياً لا سياسياً، وسيكون مؤقتاً لا دائماً. وتواصل الرباعية ملاحظتها بقلق كبير مسار الحاجز الفعلي والمقترح، خاصة حينما يسفر عن مصادرة الأراضي الفلسطينية، وقطعه الطريق أمام تحرك الأشخاص والبضائع، وتقويضه ثقة الفلسطينيين بعملية خريطة الطريق لكونه يبدو حكماً مسبقاً للحدود النهائية لدولة فلسطينية مستقبلية.

ولاحظت الرباعية بشكل إيجابي عزم رئيس الوزراء الإسرائيلي المعلن الانسحاب من جميع مستوطنات غزة وبعض أنحاء الضفة الغربية. إن الرباعية ترحب وتشجع مثل هذه الخطوة، التي ستوفر فرصة نادرة في عملية البحث عن (سبل إحلال) السلام في الشرق الأوسط. ويمكن لهذه المبادرة، التي يتعين أن تحقق انسحاباً إسرائيلياً كاملاً ونهاية تامة للاحتلال في غزة، أن تكون خطوة نحو تحقيق رؤيا الدولتين، وتنطوي على إمكانية استئناف التقدم في خريطة الطريق. وتلاحظ الرباعية أيضاً أن أي مبادرات أحادية الجانب من قبل الحكومة الإسرائيلية ينبغي أن تُتخذ بشكل متساوق مع خريطة الطريق ورؤيا الدولتين التي تقوم عليها خريطة الطريق.

إن الرباعية تعيد تأكيد دعوة الرئيس بوش في ٢٤ حزيران/يونيو، ٢٠٠٢، إلى إنهاء الاحتلال الإسرائيلي الذي بدأ في العام ١٩٦٧ عبر تسوية تتم بالتفاوض بين الطرفين. كما تشير الرباعية إلى أنه ينبغي ألا يتخذ أي طرف إجراءات أحادية تنشد حلولاً مسبقة لقضايا لا يمكن حلها إلا من خلال المفاوضات والاتفاق بين الطرفين. إن أي

تسوية نهائية حول قضايا كالحدود واللاجئين ينبغي أن تنجم عن اتفاق مشترك بين الفلسطينيين والإسرائيليين على أساس قرارات مجلس الأمن رقم ٢٤٢ و٣٣٨ و١٣٩٧ و ١٥١٥، ومرجعية مدريد، ومبدأ الأرض مقابل السلام، والاتفاقيات السابقة، ومبادرة ولي العهد السعودي الأمير عبد الله التي أقرتها قمة الجامعة العربية في بيروت، وأن تكون متساوقة مع خريطة الطريق .

إن الرباعية والمجتمع الدولي مستعدان لتكثيف انخراطهما في العمل مع الفلسطينيين لإعادة الزخم إلى خريطة الطريق، وتعزيز أوضاع الفلسطينيين الاقتصادية والإنسانية، وإقامة مؤسسات فلسطينية شفافة خاضعة للمساءلة والمحاسبة، وضمان الأمن والاستقرار في غزة و(أنحاء) الضفة الغربية التي تنسحب إسرائيل منها، والحيلولة دون جميع الأعمال الإرهابية، وضمان تفكيك المجموعات الإرهابية المسلحة. وتأييداً لهذه الأهداف، ستتخذ الرباعية الخطوات التالية، مع وضع آليات ملائمة لمراقبة تقدم وأداء جميع الأطراف :

ستعمل الرباعية على أساس ملح، مع البنك الدولي ومنظمة اليونسكو ووكالات أخرى، بناء على دراسة تقييم سريع يقوم بها البنك الدولي/اليونسكو، لضمان سد احتياجات الشعب الفلسطيني الإنسانية، وترميم بنيته التحتية وتطويرها، وإعادة تنشيط نشاطه الاقتصادي. وترحب الرباعية بالصندوق الخاص الذي أقامه البنك الدولي كآلية شفافة خاضعة للمساءلة والمحاسبة وذات معالم ملائمة يُهتدى بها لتسلم المساعدات الدولية.

إن الرباعية على استعداد للتعاطي مع قيادة فلسطينية مسؤولة خاضعة للمساءلة والمحاسبة وملتزمة بالإصلاح والأداء الأمني. وسوف تنخرط الرباعية، عبر رئيس وزراء ووزارة تتمتع بالصلاحيات، وفريق العمل الخاص بالإصلاح الفلسطيني، وبالتعاون مع المانحين الرئيسيين ، مع الفلسطينيين لإعادة تنشيط برنامج العمل الإصلاحي الذي تضمنته خريطة الطريق، بما في ذلك عملية انتخابية أعد لها بشكل جيد وتجري في الوقت الملائم، مع الاهتمام بشكل خاص بالمناطق التي انسحبت منها إسرائيل. وفي ما يتعلق بهذا، سيقوم أعضاء الرباعية بمراقبة التقدم على هذه الجبهات ورصده .

وستسعى الرباعية إلى ضمان وضع ترتيبات لضمان أمن الفلسطينيين والإسرائيليين بالإضافة إلى حرية الحركة وضمان مزيد من القدرة على التحرك والوصول للفلسطينيين.

وتؤكد الرباعية على الحاجة إلى ترتيبات شفافة متفق عليها مع جميع الأطراف حول سلامة وتحرك ووصول المنظمات الدولية والمانحين الدوليين وموظفيهم. ومع انسحاب إسرائيل، فإن الوصاية على البنية التحتية التي بنتها إسرائيل والأراضي التي تخليها إسرائيل يجب نقلها، عبر آلية مناسبة، إلى سلطة فلسطينية أعيد تنظيمها بتنسيق مع ممثلين

عـــن المجتمع المدني الفلسطيني، والرباعية، ومندوبين آخرين عن الأسرة الدولية لتحديد ترتيبات منصفة شفافة لحسم مسألة هذه المناطق وتحويل ملكيتها نهائياً بأسرع ما يمكن .

وما زالت الترتيبات الأمنية الفعالة حاسمة الأهمية لإمكانية تحقيق أي تقدم. وبالتنسيق مـــع، وتحـــت رعاية، لجنة إشراف بقيادة الولايات المتحدة، وبالتنسيق مع رئيس وزراء (فلســطيني) ووزارة يتمــتعان بالصلاحيات، تنبغي إعادة تنظيم أجهزة الأمن الفلسطينية وإعـــادة تدريـــبها، بشكل يتساوق مع خريطة الطريق، لتوفير الأمن والنظام للفلسطينيين، ولوضـــع حد للهجمات الإرهابية ضد إسرائيل والإسرائيليين، ولتفكيك قدرات الإرهابيين وبنيـــتهم التحتـــية. وترحب الرباعية بشكل خاص بانخراط الحكومة المصرية في القضايا الأمنـــية، بمـــا في ذلك الجهود الخاصة بتحقيق وقف إطلاق نار شامل ودائم كخطوة نحو تحقيق هذا الهدف.

وتعـــيد الرباعـــية تأكيدها على التزامها بتسوية عادلة وشاملة ودائمة للنزاع العربي-الإســـرائيلي على أساس قرارات مجلس الأمن رقم ٢٤٢ و٣٣٨ وتذكر جميع الأطراف بالحاجـــة لأن تـــأخذ بعيـــن الاعتبار عواقب تصرفاتها على المدى البعيد وبواجب جميع الأطراف بتحقيق تقدم سريع نحو استئناف الحوار السياسي. وستظل الرباعية متعاطية مع الإســـرائيليين والفلســـطينيين وجمـــيع الأطـــراف الأخرى، بما في ذلك من خلال وجود مبعوثيها على الأرض، لضمان متابعة ملائمة للخطوات التي رُسمت معالمها أعلاه. وسيتم تشكيل آلية تنسيق وإشراف ملائمة تحت رعاية الرباعية. كما تدعو الرباعية جميع الدول فـــي المنطقة إلى بذل كل الجهود لتعزيز السلام ومحاربة الإرهاب، وللحيلولة دون قيام المجموعـــات الإرهابـــية باستخدام أراضيها للتخطيط لهجمات إرهابية أو الإعداد لها أو شنها.

[٧]

خطاب الرئيس الأمريكي جورج بوش

أمام لجنة"إيباك" في ٢٠٠٤/٥/١٨

"الرئـــيس: شـــكراً لكم. أخيراً انتخبت إيباك رئيسة أستطيع أن أقبلها..(ضحك وتصفيق).. يشرفني أن أكون هنا في "إيباك".. شكراً على هذا الاستقبال الحار.

أنـــه لأمـــر طيـــب أن أكـــون مع الكثير من الأصدقاء - أصدقائي شخصياً وأصدقاء إسرائيل..(تصفيق)..

لأكـــثر مـــن ٥٠ عامـــاً كانت الولايات المتحدة وإسرائيل حليفين يركنان إلى بعضـــيهما.. وتعتـــبر "إيباك" أحد أسباب هذه الصداقة..(تصفيق).. لقد عملتم بدون كلـــل لـــتعزيز الصـــلات التي تربط أمتينا - قيمنا المشتركة والتزامنا القوي نحو الحرية..(تصفيق)..

ومـــن خلال الدفاع عن حرية وازدهار وأمن إسرائيل.. فإنكم أيضاً تخدمون قضـــية أمريكا..(تصفيق).. وأمتنا أقوى وأكثر أمناً لأن لدينا حليفاً حقيقياً.. ويعتمد علـــيه فـــي إسرائيل..(تصفيق).. إنني أعبر عن امتناني..(تصفيق).. أنا في البداية فقط ..(ضحك وتصفيق)..

أود أن أشـــكر "آمـــي" على قيادتها..(تصفيق).. أقدر لكم أنكم تأخذون الوقت لخدمة قضية.. تؤمنون بها إيماناً عميقاً..

أود أن أشـــكر "بـــيرنايس" لرغبتها في الخدمة أيضاً..(تصفيق).. لقد عرفت "هـــاورد" لفترة طويلة، هو شخص فعّال..(ضحك وتصفيق).. أود أن أشكر مجلس إدارة إيباك -أعضاء مجلس إدارة إيباك لصداقتهم - وريادتهم.. ويشرفني أن يكون من بين الحضور صديقي - السفير من إسرائيل - "داني إيالون" .. شكراً لوجودك "داني"..(تصفيق)..

"إيهود أولمرت" معنا.. "إيهود" إنه من دواعي السرور أن أراك ثانية.. شكراً سيدي..(تصفيق).. أتذكر أول مرة زرناكم فيها في ١٩٩٨، وكان قد أعيد انتخابي للـــتو حاكماً لتكساس.. ذهبت إلى إسرائيل وإيهود رحب بي وثلاثة حكام آخرين.. وأظـــن زرناكم في مكتبكم.. كنتم العمدة، إذا لم أخطئ، في هذه الفترة من الوقت..

وكنـــتم تهـــتمون بســـد الحفر.. وتفريغ القمامة..(ضحك).. لكن عقدنا علاقة طيبة حينذاك.. عظيم أن أراك من جديد.

أقـــدر الـــوزراء الآخرين الذين كانوا هناك.. بعضهم كنت أعرفه من قبل.. والبعض الآخر لم يكن لي شرف اللقاء بهم.. أعرف تومي والتقيته من قبل، شكراً لوجودك هنا. أهلاً بك في أمريكا، شكراً تومي..(تصفيق)..

أود أيضـــاً أن أتعـــرف علـــى أناس كثيرين هذا الصباح، من الذين يتعلمون المشـــاركة الديمقراطـــية.. أبلغـــت أن هـــناك أكـــثر من ٨٥٠ دارساً من خمسين دولـــة..(تصفيق).. تأكدوا أن طلاب تكساس يعملون بجد أيضاً..(ضحك).. أمهاتكم تراقبكم..(ضحك).. أعرف أن هناك حافلات بالخارج تنتظركم لتنقلكم إلى "كابيتول هيل".. قيل لي –قال لي هاورد إن هناك أكثر من ٥٠٠ اجتماع مقررة مع أعضاء الشيوخ والنواب.

تلك أنباء طيبة.. إنني على يقين أنكم سوف تنقلون هذه الرسالة لهم: إسرائيل حرة مزدهرة آمنة هي من المصلحة القومية لهذه الأمة..(تصفيق)..

"إيـــباك" تقـــوم بعمـــل مهم. آمل أن تعرفوا ذلك. في واشنطن وغيرها تلفت "إيـــباك" الاهـــتمام للـــتحديات الأمنية الخطيرة لعصرنا.. إنكم تعلمون الكونجرس والشـــعب الأمريكي حول الأخطار المتنامية للانتشار النووي.. وتحدثتم عن الخطر الـــذي يشـــكله ســـعي إيران للأسلحة النووية.. وفهمتم دائماً وحذرتم من الطموح الشرير للإرهاب وشبكاته.

ففـــي قـــرن جديـــد خطير.. بات عملكم أكثر حيوية عن قبل.. أشكركم للقيام بدوركـــم في قضية الحرية..(تصفيق).. إن أمتنا ودولة إسرائيل لديهما الكثير الذي يجمع بينهما، كلانا أمة فتيّة نسبياً.. ولدت من رحم النضال والتضحية.

وكلانـــا تأسس على أيدي المهاجرين الهاربين من الاضطهاد الديني في بلاد أخـــرى. وكلانـــا بـــنى ديمقراطـــية نابضـــة بالحياة.. مؤسسة على سيادة القانون واقتصادات السوق.. وبلدانا نهضا على مبادئ أساسية محددة:"إن الله يرعى شؤون العـــباد.. ويقـــدر كل حياة"..(تصفيق).. هذه الروابط جعلتنا حلفاء طبيعيين.. ولن تتكسر هذه الروابط أبداً..(تصفيق)..

في الماضي –على أية حال – كان هناك فارق كبير وحيد في تجربتي أمتينا: كانت الولايات المتحدة خلال معظم تاريخنا محمية بالمحيطات الشاسعة من الشرق والغـــرب، وتـــنعم بجيران أصدقاء من الشمال والجنوب.. أما إسرائيل فقد واجهت وضعاً مختلفاً كدولة صغيرة في محيط معاد.. وكان للشعب الإسرائيلي دوماً أعداء

على حدوده وإرهابيون قريبون منه.. ومرة تلو الأخرى دافعت إسرائيل عن نفسها بحنكة وبطولة.. ونتيجة لشجاعة الشعب الإسرائيلي .. فقد كسبت إسرائيل احترام الشعب الأمريكي..(تصفيق)..

وفي الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ عرف الأمريكيون أن الجغرافيا لم تعد تحميهم من أخطار العالم.. وشهدنا بشاعة كوننا نتعرض للهجوم في أرضنا.. وفي شوارعنا.. وفي أماكن العمل.. ومن تلك التجربة جاء تصميمنا الأقوى، تصميمنا الأشد على هزيمة الإرهاب والقضاء على الخطر الذي يشكله على الشعوب الحرة في كل مكان..(تصفيق)..

ليس كل الإرهابيين يستجيبون لنفس الأوامر ونفس القادة.. ولكن جميع الإرهابيين يحرقون بنفس الكراهية.. فهم يكرهون كل من يرفض رؤيتهم القائمة على الطغيان المقيت.. يكرهون الشعوب المحبة للحرية.. يقتلون بدون رحمة.. يقتلون بلا خجل.. ويحصون الانتصارات في صورة قتل للأبرياء.

لقد شهدنا طبيعة هذا العدو من جديد في الأيام الأخيرة عندما قطع الإرهابيون في العراق رقبة المواطن الأمريكي"نيكولاس بيرج"، و الرسالة المصاحبة لشريط الفيديو الذي يصور عملية الذبح الوحشية تتوعد بالمزيد من هذه الفظاعات.. وإليكم ما قاله القاتل:"سوف نبعث لكم بالنعش تلو النعش، والصندوق تلو الصندوق، ذُبح أصحابها بنفس الطريقة".. وكانت وجوه الإرهابيين ملثمة.. لكن شاهدنا هذا النوع من قبل.

لقد نفذ أتباع أيديولوجيا الإرهاب حكم الإعدام بحق رجل طاعن في السن على مقعد متحرك، "ليون كليتجوفر"، وألقوا بجثته في عرض البحر. واختطفوا الصحافي"دانييل بيرل" وقطعوا رقبته لأنه كان يهودياً. هذا العدو أراق الدماء في شوارع جاكرتا والقدس والدار البيضاء وممباسا واسطنبول وبالي ومدريد. لقد أعلنوا الحرب على العالم المتحضر.. والحرب هي كل ما يريدون..(تصفيق)..

إن الشعوب المحبة للحرية لم تطلب هذا الصراع.. بل جاء إلينا بواسطة اختيارات رجال جبلوا على العنف، رجال يثيرون الاشمئزاز. انظروا: إننا نسعى للسلام. نتوق للسلام. وإسرائيل تتوق للسلام. أمريكا تتوق للسلام. لكن لن يكون هناك سلام بدون الدفاع عن أمتينا..(تصفيق)..

ثمة طريق واحد وحيد للسلام والأمن؛ أمريكا سوف تستخدم كل الموارد التي تملكها لمحاربة أعداء الحرية أولئك، وإلحاق الهزيمة بهم..(تصفيق)..

إن درس الحادي عشر من سبتمبر واضح، ويجب ألا ينسى. يتعين مجابهة التهديدات الإرهابية الناشئة قبل أن تصل إلى بلدنا وتؤذي شعبنا. كل إرهابي في حرب مع الحضارة. وكل جماعة أو دولة تساعدهم مسؤولة، على حد سواء، عن جرائم القتل التي يرتكبها الإرهابيون ..(تصفيق).. ولذلك قادت أمريكا حملة عالمية مستمرة ضد الإرهابيين ومؤيديهم. إننا نتعقبهم واحداً بواحد في الكهوف والعتمة حيث يحاولون الاختباء.

لقد كشفنا خلايا إرهابية في قارات عديدة ومنعناعدداً من الهجمات الإرهابية.. أسقطنا نظام طالبان الذي آوى المتآمرين مدبري الحادي عشر من سبتمبر..(تصفيق).. أوقفنا شحنات مواد كيماوية ومكونات ترتبط بالأسلحة النووية متجهة لدول ترعى الإرهاب، ومن خلال وضوح القول، وجلاء المعنى الذي نقصده، فإن دولاً مثل ليبيا فهمت الرسالة وتخلت عن برامجها للأسلحة..(تصفيق)..

ومن أجل السلام والأمن أنهينا نظام صدام حسين..(تصفيق).. هذا النظام ألقى ظلاً – ظلاً قاتماً من العدوان على الشرق الأوسط لعقود. أقدم على غزو إيران والكويت. نظام طور واستخدم أسلحة الدمار الشامل ضد جيرانه وشعبه. نظام رعى الإرهاب، ودفع تعويضاً يصل إلى ٢٥ ألف دولار لكل أسرة من أسر الانتحاريين الفلسطينيين. هذا النظام ملأ المقابر الجماعية بالأبرياء من الرجال والنساء والأطفال.

هذا النظام تحدى مطالب العالم الحر وأمريكا لأكثر من عقد من الزمان. وأمريكا باتت أكثر أمناً، والعالم أصبح أفضل حالاً، لأن هذا النظام لم يعد موجوداً..(تصفيق)..

أمريكا في حالة هجوم على الأعداء، وسوف نواصل الهجوم حتى يوقف الإرهابيون، ويغدو شعبنا آمناً..(تصفيق).. سوف أستخدم كل الموارد المتاحة تحت تصرفنا لإنجاز عملنا المهم للغاية وهو حماية الشعب الأمريكي..(تصفيق).. ويشتمل ذلك على استخدام القوات المسلحة الأمريكية. نحن نعرف براعة وشجاعة الرجال والنساء في الجيش الأمريكي..(تصفيق).. لقد أنجزوا كل مهمة أوكلتها إليهم بلادهم. لقد كابدوا وعائلاتهم مشقة المضي للمجهول ونشر القوات لفترة طويلة.

قاتل رجالنا ونساؤنا بلباسهم العسكري في الممرات الجبلية ورمال الصحراء في أبعد جزء من العالم. فقدوا أصدقاء ورفاقاً شجعاناً سوف تتذكرهم وتفخر بهم دوماً أمة ممتنة..(تصفيق)..

فعلوا كل ذلك دفاعاً عن بلدنا وإعلاء لقضية الحرية والسلام. وينبغي أن يعرف محبوهم وأولئك الذين ارتدوا لباسنا العسكري أن أمريكا تمتن امتناناً بالغاً لصنيعهم..(تصفيق)..

يعتمد السلام الذي ننشده على إلحاق الهزيمة بالعنف، لكن علينا أيضاً مهمة أكبر في العالم، فعلى المدى الطويل يتعين وضع حد للإرهاب في منابعه عبر تقويض أيديولوجيا الإرهاب القائمة على الكراهية والخوف، فالإرهابيون يحققون نفوذاً ويجدون مجندين في مجتمعات تشيع فيها المرارة والسخط، وقلما يوجد بها الرجاء والفرصة. وتتمثل أعظم تطلعات العالم لتحقيق الأمن والاستقرار الدائمين عبر أرجاء الشرق الأوسط في إقامة مجتمعات عادلة وحرة.

ولذلك تعمل أمريكا بامتداد تلك المنطقة المهمة على توسيع حرية الإنسان، هذه المهمة التاريخية ليست يسيرة في جزء من العالم عرف هذا القدر من القمع والركود والعنف. إنه عمل شاق. لكن يتعين علينا أن نكون أقوياء في اعتقادنا الراسخ بأن كل قلب بشري يرغب في أن يكون حراً. يجب أن نكون أقوياء في إيماننا بأن المجتمعات الحرة مجتمعات مفعمة بالرجاء، مجتمعات تنعم بالسلام..(تصفيق)..

لقد أحرزنا تقدماً ما كان لكثيرين أن يتوقعوه أو ينتظروه في السنوات الثلاث الماضية. في أفغانستان يعمل ائتلافنا مع الرئيس"كرازاي" لمساعدة الشعب الأفغاني على بناء حكومة حديثة مسالمة ديمقراطية؛ وفي يناير وافق الأفغان على دستور جديد يحمي حقوق جميع المواطنين بما في ذلك النساء..(تصفيق).. وخلال أسابيع من التفاوض والحلول الوسط وافقوا على قانون أساسي يحترم التقاليد ويضع أساساً للحقوق السياسية العصرية، بما في ذلك حرية التعبير وحق التصويت لكل مواطن.

إننا نحرز تقدماً في العراق؛ ذهبت ديكتاتورية صدام الوحشية، ويبزغ بدلاً منها ديمقراطية عراقية. وقد وقع القادة العراقيون على قانون انتقالي لإدارة الدولة يكفل الحريات الأساسية. وبالعراق الآن قضاء مستقل، وسوق حر وعملة جديدة، كما توزع الآن أكثر من ٢٠٠ صحيفة، وأصبحت المدارس متحررة من البروباجندا الكريهة..(تصفيق)..

إنها مهمة شاقة في العراق. وجهودنا تقترب من لحظة حاسمة. في ٣٠ يونيو سوف ينقل تحالفنا سلطته إلى حكومة عراقية ذات سيادة. وبمساعدة الأمم المتحدة وتحالفنا يتخذ العراقيون الآن قرارات مهمة حول طبيعة ونطاق الحكومة المؤقتة. وفي وقت معين سوف يغدو العراقيون أمة حرة وديمقراطية في قلب الشرق الأوسط. وسوف يبعث هذا برسالة، رسالة قوية، من دمشق إلى طهران مفادها أن الديمقراطية يمكن أن تجلب الأمل للأحياء في كل ثقافة..(تصفيق)..

إن مسيرة الحرية سوف تجلب الأمن بصورة أكبر لأمريكا والعالم. هذه لحظات تاريخية، إنها فرصة تاريخية..(تصفيق).. لكن، وفيما يقترب الثلاثون من يونيو يزداد يأس أعداء الحرية في منع صعود ديمقراطية في العراق. وهذا ما ترونه على شاشات التلفزة. يأس قلة مقيتة. يأس من لا يستطيعون تحمل فكر المجتمعات الحرة بينهم. يستهدفون العراقيين البواسل الذين يتطلعون صوب الديمقراطية مثل "عز الدين سالم" الذي اغتيل في بغداد أمس. يقتلون رجال الشرطة العراقيين الذين يقفون بوصفهم رمزاً للنظام. يقتلون عمال الإغاثة الأجانب الذين يساعدون في إعادة بناء العراق. يهاجمون جيشنا. هدفهم تقويض إرادة ائتلافنا وإرادة أمريكا من أجل إخراجنا قبل استكمال مهمتنا. لن ينجحوا.. لن يهزوا إرادة أمريكا..(تصفيق)..

إن تصميمي ثابت..(تصفيق).. وتصميم الشعب الأمريكي راسخ. وجيشنا بارع والمعنويات عالية، و مصممون على النجاح. ندرك أن المخاطر كبيرة لأمريكا والعالم. ولن يرهبنا البلطجية والقتلة وسوف نحرز هذا النصر المهم والأساسي في الحرب على الإرهاب..(تصفيق)..

هذه لحظة تاريخية. العالم يترقب ضعفاً في تصميمنا. لن يروا ضعفاً. سنرد على كل التحديات؛ فجنود الجيش الأمريكي وقوات الأمن العراقية يدمرون بصورة منتظمة الميلشيات غير الشرعية في جنوب العراق ..(تصفيق)..

وتعمل قوات التحالف مع العراقيين في الفلوجة لإنهاء سيطرة الموالين لصدام والمقاتلين الأجانب ..(تصفيق).. إننا نبني قوات الأمن العراقية حتى يستطيعوا حماية بلدهم . نحن نتسم بالمرونة في وسائلنا ، لكن هدفنا لا يتغير : العراق سوف يصبح حراً . العراق سوف يصبح أمة ديمقراطية ..(تصفيق)..

إن الحرية أيضاً تشكل جوهر منهجنا لتحقيق السلام بين إسرائيل والشعب الفلسطيني . والولايات المتحدة ملتزمة التزاماً قوياً، وأنا ملتزم التزاماً قوياً بأمن إسرائيل كدولة يهودية نابضة بالحياة ..(تصفيق) ..

إسرائيل دولة ديمقراطية وصديقة، ولديها كل الحق للدفاع عن نفسها ضد الإرهاب...(تصفيق) ..

ولأجل السلام، هذا البلد ملتزم بمساعدة الشعب الفلسطيني على إقامة دولته الديمقراطية القابلة للحياة ..(تصفيق).. وإسرائيل تحتاج شريكاً مسؤولاً بحق لتحقيق السلام ..(تصفيق).. والشعب الفلسطيني يستحق مؤسسات ديمقراطية وقادة مسؤولين ..(تصفيق)..

إن التقدم صوب هذه الرؤية يخلق مسؤوليات على إسرائيل والشعب الفلسطيني والدول العربية.

قبل هاتين الدولتين – وقبل أن تكون هناك دولتان يتعين على كل الأطراف نبذ العنف ومحاربة الإرهاب ..(تصفيق)..

إن الأمن هو أساس السلام ..(تصفيق).. ويتعين على كل الأطراف اعتناق الديمقراطية والإصلاح، واتخاذ الخطوات الضرورية من أجل السلام . إن العنف المتواصل في قطاع غزة يشكل مأزقاً. ويبرز حاجة كل الأطراف لاقتناص كل فرصة من أجل السلام.

لقد أيدت الخطة التي أعلنها رئيس الوزراء شارون لسحب المنشآت العسكرية والمستوطنات من غزة وأجزاء من الضفة الغربية ..(تصفيق)..

وكما قلت في خطابي في ١٤ أبريل ٢٠٠٤ فإن خطة رئيس الوزراء شجاعة، وخطوة جسورة يمكن أن تقربنا من هدف الدولتين: إسرائيل وفلسطين يعيشان جنباً إلى جنب في سلام وأمن.

إن قرار رئيس الوزراء أعطى الشعب الفلسطيني والعالم الحر فرصة اتخاذ خطوات جريئة من جانبهم نحو السلام . أولاً : يتعين على الشعب الفلسطيني أن يرفض القيادات الفاسدة والفاشلة، ويصر على قيادة ملتزمة بالإصلاح والتقدم نحو السلام ..(تصفيق)..

ثانياً: يجب عليهم نبذ الإرهاب والعنف اللذين يحبطان تطلعاتهما، ويوديان بحياة الكثير من الأبرياء ..(تصفيق)..

وأخيراً فإنه من خلال اتخاذ هذه الخطوات سوف يكون لديهم فرصة. فرصة رائعة لبناء اقتصاد حديث وإرساء أعراف وتقاليد الحرية. إن الشعب الفلسطيني يستحق مستقبلاً أفضل ..(تصفيق).. وهذا المستقبل يمكن أن يتحقق من خلال الديمقراطية...(تصفيق)..

إن الكثيرين في هذه القاعة عملوا وانتظروا عمراً من أجل السلام في الأرض المقدسة. إنني أصغي لذلك الاهتمام العميق بالسلام . ورؤيتنا هي لشرق أوسط يستطيع الإسرائيليون والفلسطينيون الشبان أن يلعبوا ويتعلموا ويكبروا بدون العيش تحت ظلال الموت.. (تصفيق). رؤيتنا هي لشرق أوسط يتم فيه عبور الحدود لأغراض التداول والتجارة، وليس عبورها لأغراض القتل والحرب ..(تصفيق).. هذه الرؤية في مقدورنا.إذا امتلكنا الإيمان والشجاعة والتصميم لتحقيقها ..(تصفيق)..

ربما يكون العائق الأكبر أمام السلام في قلوب الرجال والنساء. لقد عرف الشعب اليهودي على مر السنين، وعلى مر القرون أن الكراهية تمهد السبيل للعنف، وأن الامتناع عن تعرية التعصب ومواجهته يمكن أن يؤدي إلى جرائم تفوق التصور. ومن ثم علينا واجب فضح "معاداة السامية" ومواجهتها حيثما وجدت ..(تصفيق)..

لقد حضر بعضكم حدثاً مهماً للغاية في برلين الشهر الماضي، المؤتمر الدولي حول معاداة السامية. وتدركون أن معاداة السامية ليست مشكلة من الماضي، فكراهية اليهود لم تمت في أحد ملاجئ برلين، بل يمكن أن توجد بصورة أكثر وقاحة في بعض وسائط الإعلام العربية، وسوف تواصل الحكومة الأمريكية دعوة الحكومات العربية إلى وضع حد للتشهير والتحريض ..(تصفيق)..

هذه الكراهية يمكن أن تأخذ صوراً أكثر دهاء. إن شيطنة إسرائيل والخطاب الأكثر تطرفاً في معاداة الصهيونية يمكن أن يكون غلالة رقيقة لمعاداة السامية، ويسهم في مناخ الخوف الذي تنتهك فيه قدسية المعابد اليهودية ويتم الإساءة لسمعة المرء وتهديد الناس. سوف أواصل دعوة أصدقائي في أوروبا لنبذ أية بادرة معاداة للسامية بينهم ..(تصفيق)..

إننا نمر بلحظات تاريخية، ونحن مدعوون للقيام بعمل مهم في العالم، وسوف نقف معاً ضد التعصب في كل أرض وكل لغة. وسوف نرد على الأشخاص الطائشين بصبر وعدالة راسخة، وسوف نوسع حرية الإنسان والسلام الذي تجلبه الحرية، ومن خلال تصميمنا وشجاعتنا سوف ننتصر.. (تصفيق)..

أود أن أشكركم، أود أن أشكر لكم إخلاصكم من أجل أمن أمريكا وسلامة إسرائيل. أود أن أشكركم على حسن ضيافتكم. وليبارك الرب أمريكا، وليبارك الرب إسرائيل، شكراً لحضوركم، وشكراً لكم جميعاً على وقتكم. شكراً لكم جميعاً..(تصفيق)..

قائمة مطبوعات

مركز البحوث العربية والأفريقية
١٩٨٧ - ٢٠٠٤

١. فؤاد مرسى، مصير القطاع العام فى مصر، ١٩٨٧.
٢. لطيفة الزيات (تحرير)، المشكلة الطائفية فى مصر، ١٩٨٨.
٣. رشدى سعيد وآخرون، أزمة مياه النيل، ١٩٨٨.
٤. عواطف عبد الرحمن، المدرسة الاشتراكية فى الصحافة، ١٩٨٨.
٥. وداد مرقس، سكان مصر، ١٩٨٨.
٦. أبوسيف يوسف وآخرون، النظرية والممارسة فى فكر مهدى عامل :أعمال ندوة فكرية، ١٩٨٩.
٧. إبراهيم برعى، دليل قرارات المجلس الاقتصادى والاجتماعى العربى ١٩٥٣/١٩٨٩.
٨. إبراهيم العيسوى، المسار الاقتصادى فى مصر وسياسات الإصلاح، ١٩٩٠.
٩. إبراهيم بيضون وآخرون، ثقافة المقاومة ومواجهة الصهيونية أعمال ندوة لجنة الدفاع عن الثقافة القومية ١٩٩٠
١٠. أحمد عبد الله (تحرير)، انتخابات البرلمانية فى مصر، نشر مشترك مع دار سينا ١٩٩٠.
١١. حيدر إبراهيم، أزمة الإسلام السياسى، الجبهة الإسلامية القومية فى السودان، ١٩٩٠.
١٢. محمد عبيد غباش، من لايعرف شيئا فليكتب، خربشات رجل بلاد النفط، ١٩٩١.
١٣. ألفت الروبى، الموقف من القص فى تراثنا النقدى، ١٩٩١.
١٤. محمد على دوس، حياة موارة فى العمل السياسى العربى الأفريقى، ١٩٩١.
١٥. أحمد نبيل الهلالى وآخرون، اليسار المصرى وتحولات الدول الاشتراكية : أعمال ندوة غقدت بالمركز ١٩٩٢.
١٦. أمينة رشيد وآخرون، قضايا المجتمع المدنى فى ضوء فكر جرامشى (مع دار عيبال بدمشق)، ١٩٩٢.
١٧. سمير أمين،من نقد الدولة السوفيتية إلى الدولة الوطنية، ١٩٩٢.
١٨. المسألة الفلاحية والزراعية فى مصر :أعمال ندوة عقدت بالمركز، ١٩٩٢.
١٩. جويل بنين، زكارى أوكمان، العمال والحركة السياسية فى مصر ج١، ترجمة أحمد صادق سعد، ١٩٩٢.
٢٠. إشكاليات التكوين الاجتماعى والفكريات الشعبية فى مصر: أعمال ندوة بالمركز نشر مع دار كنعان، ١٩٩٢.
٢١. أحمد يوسف أحمد : منطق العمل الوطنى- حركة التحرر الوطنى الفلسطينية فى دراسة مقارنة مع حركات التحرر الأفريقية بالتعاون مع

مركز القدس للدراسات الإنمائية عمان، ١٩٩٢.
٢٢. ليلى عبد الوهاب، سوسيولوجية الجريمة عند المرأة، ١٩٩٢.
٢٣. أحمد محمد البدوى، لبن الأبنوس يازول ١٩٩٢.
٢٤. مركز دراسات المرأة الجديدة ومركز البحوث العربية، المرأة وتعليم الكبار، ١٩٩٢.
٢٥. إدريس سعيد، عظام من خزف، ١٩٩٣.
٢٦. دارام جاى (تحرير)، صندوق النقد الدولى وبلدان الجنوب، ترجمة/ مبارك عثمان، نشر مع اتحاد المحامين العرب، ١٩٩٣.
٢٧. مايكل دراكوه (تحرير)، الأنهار الأفريقية وأزمة الجفاف، نشر بالتعاون مع منظمة البحوث الاجتماعية لشرق وجنوب أفريقيا ١٩٩٤.
٢٨. عادل شعبان وآخرون، الحركة العمالية فى معركة التحول، ١٩٩٤.
٢٩. نادية رمسيس فرح (تحرير) السكان والتنمية فى مصر نشر مع دار الأمين، ١٩٩٤.
٣٠. أمال سعد زغلول، دور الحركة الشعبية فى حرب السويس، ١٩٩٤.
٣١. لجنة الدفاع عن الثقافة القومية (دراسات ووثائق ١٩٧٩-١٩٩٤)(من مقاومة التطبيع إلى مواجهة الهيمنة) ١٩٩٤.
٣٢. على عبد القادر، برامج التكيف الهيكلى والفقر فى السودان، ١٩٩٤.
٣٣. حلمى شعراوى وعيسى شيفجى، حقوق الإنسان فى أفريقيا والوطن العربى، ١٩٩٤.
٣٤. لطيفة الزيات (ترجمة وتعليق)، حول الفن، ١٩٩٤.
٣٥. جودة عبد الخالق (تحرير)، تطور الرأسمالية ومستقبل الاشتراكية فى مصر والوطن العربى : ندوة مهداة إلى فؤاد مرسى، ١٩٩٤.
٣٦. عبد الغفار شكر، التحالفات السياسية فى مصر ١٩٩٤.
٣٧. صادق رشيد، أفريقيا والتنمية المستعصية، ت/ مصطفى مجدى الجمال، ١٩٩٥.
٣٨. عبد الغفار أحمد، السودان بين العروبة والأفريقية، ١٩٩٥.
٣٩. بيترنيانجو، من تجارب الحركات الديمقراطية فى أفريقيا والوطن العربى، مع اتحاد المحامين العرب ترجمة حلمى شعراوى وآخرون، ١٩٩٥.
٤٠. سمير أمين (تحرير)، المجتمع المدنى والدولة فى الوطن العربى: حالة مصر، نشر مشترك مع دار مدبولى، ١٩٩٦.
٤١. سمير أمين (تحرير) المجتمع المدنى والدولة فى الوطن العربى : حالة لبنان، مشترك مع مدبولى ١٩٩٦.
٤٢. مصطفى كامل السيد (تحرير)، حقيقة التعددية السياسية فى مصر، نشر مشترك مع مدبولى ١٩٩٦.
٤٣. سيد البحراوى (تحرير)، لطيفة الزيات : الأدب والوطن، نشر مشترك مع دار المرأة العربية، ١٩٩٦.
٤٤. عبد الباسط عبد المعطى: بحوث الطفولة فى الوطن العربى، نشر مشترك مع المجلس العربى للطفولة والتنمية، ١٩٩٦.
٤٥. جويل بنين، زكارى لوكمان، العمال والحركة السياسية فى مصر الجزء

الثانى، ترجمة إيمان حمدى، نشر مع دار الخدمات النقابية والعمالية.

٤٦. عبد الغفار شكر (تحرير)، الجمعيات الأهلية وأزمة التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى مصر، نشر مشترك مع دار الأمين، ١٩٩٧.

٤٧. سمير أمين (تحرير)، المجتمع المدنى والدولة فى الوطن العربى : حالة المشرق العربى نشر مشترك مع دار مدبولى، ١٩٩٧.

٤٨. سمير أمين (تحرير)، المجتمع المدنى والدولة فى الوطن العربى : حالة المغرب العربى نشر مشترك مع دار مدبولى، ١٩٩٧.

٤٩. كمال مغيث (تحرير)، التعليم وتحديات الهوية القومية، نشر مشترك مع دار المحروسة، ١٩٩٨.

٥٠. عبد الغفار شكر، اليسار العربى وقضايا المستقبل ١٩٩٨. نشر مشترك مع دار مدبولى، ١٩٩٨.

٥١. عاصم الدسوقى (تحرير)، عمال وطلاب فى الحركة الوطنية المصرية. نشر مشترك مع دار المحروسة، ١٩٩٨.

٥٢. محمد أبو مندور وآخرون، الإفقار فى بر مصر، نشر مشترك مع دار الأهالى، ١٩٩٨.

٥٣. عبد الغفار أحمد (تحرير)، إدارة الندرة، ترجمة صلاح أبو نار وآخرون، ١٩٩٨.

٥٤. لايف مانجر وآخرون، البقاء مع العسر، ترجمة صلاح أبو نار- مجدى النعيم، ١٩٩٨.

٥٥. نجاتى عبد المجيد وآخرون، سلسلة كتب شهادات ورؤى:من تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥: الجزء الأول بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، ١٩٩٨.

٥٦. لايف مانجر، لفوفة النوبة، ترجمة مصطفى مجدى، ١٩٩٩.

٥٧. أمينة رشيد (تحرير): التبعية الثقافية : مفاهيم وأبعاد، نشر مشترك مع دار الأمين، ١٩٩٩.

٥٨. محمود عودة، (إشراف)، الأسر المعيشية فى الريف المصرى، نشر مشترك مع جامعة عين شمس، ١٩٩٩.

٥٩. محمد محيى الدين، (إشراف)، نساء الغزل والنسيج : الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، ١٩٩٩.

٦٠. عبد الحميد حواس وآخرون، المأثور الشعبى فى الوطن العربى، نشر مشترك مع المنظمة العربية للتربية وللثقافة وللعلوم، ١٩٩٩.

٦١. عبد الباسط عبد المعطى(تحرير)، العولمة والتحولات المجتمعية فى الوطن العربى، نشر مشترك مع دار مدبولى، ١٩٩٩.

٦٢. عزة خليل (إعداد)، خريطة سياسات وخدمات الطفولة فى مصر، نشر مشترك مع المركز القومى للثقافة والطفل، ١٩٩٩.

٦٣. يوسف درويش وآخرون، سلسلة كتب شهادات ورؤى: من تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥: الجزء الثانى بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، ١٩٩٩.

٦٤. شهيدة الباز(إشراف)، مصطفى مجدى الجمال(مسئول التحرير)، (أفريقية –

عربية: مختارات العلوم الاجتماعية، المجلد الأول، نشر مشترك مع كوديسريا ودار الأمين، أكتوبر ١٩٩٩.
٦٥. أمينة رشيد (تحرير)، الحريات الفكرية والأكاديمية، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٠.
٦٦. فاروق القاضى، فرسان الأمل : تأمل فى الحركة الطلابية المصرية، ٢٠٠٠
٦٧. جردا منصور، مديحة دوس (تحرير)، سلسلة أوراق في علم اللغة، الورقة الأولى-يناير ٢٠٠٠ حول (مشكلات تدريس اللغات فى مصر)، نشر مشترك مع جماعة اللغويين فى القاهرة.
٦٨. محمد سيد أحمد وآخرون، سلسلة كتب شهادات ورؤى: من تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥: الجزء الثالث بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، ٢٠٠٠.
٦٩. شهيدة الباز(إشراف)، مصطفى مجدى الجمال(مسئول التحرير)، (أفريقية - عربية : مختارات العلوم الاجتماعية، المجلد الثانى، نشر مشترك مع كوديسريا ودار الأمين، مارس ٢٠٠٠.
٧٠. أحمد مختار منصور، الجراحة في الحضارة العربية الإسلامية، ٢٠٠٠.
٧١. جردا منصور، مديحة دوس (تحرير)، سلسلة أوراق في علم اللغة، الورقة الثانية- نوفمبر ٢٠٠٠ (دراسات حول اللغة العربية فى مصر)، الورقة الثالثة، نشر مشترك مع جماعة اللغويين فى القاهرة.
٧٢. شهيدة الباز(إشراف)، مصطفى مجدى الجمال(مسئول التحرير)، (أفريقية - عربية : مختارات العلوم الاجتماعية، المجلد الثالث، نشر مشترك مع كوديسريا ودار الأمين، أكتوبر ٢٠٠٠.
٧٣. حلمى شعراوى، أفريقيا فى نهاية قرن، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٠
٧٤. أديب ديمترى وآخرون، سلسلة كتب شهادات ورؤى:من تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥: الجزء الرابع بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، ٢٠٠١.
٧٥. مصطفى مجدي الجمال (تحرير)، فلسطين والعالم العربى، نشر مشترك مع دار مدبولى، ٢٠٠١.
٧٦. عبد الغفار شكر (تحرير)، تحديات المشروع الصهيونى والمواجهة العربية. نشر مشترك مع دار مدبولى، ٢٠٠١.
٧٧. فرانسوا أوتار وفرانسوا بوليه، فى مواجهة دافوس، ترجمة : سعد الطويل، نشر مشترك مع دار ميريت، ٢٠٠١.
٧٨. عبد الغفار شكر (إشراف)، الجمعيات الأهلية الإسلامية فى مصر، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠١.
٧٩. كويسى براه، اللغات الأفريقية وتعليم الجماهير، ترجمة وتحرير حلمى شعراوى، بالتعاون مع مركز الدراسات المتقدمة للمجتمع الأفريقى بكيب تاون، الناشر، دار الأمين، ٢٠٠١.
٨٠. فيتينو بيكيلى، وآخرون، دراسات مختارة/ التحولات الاجتماعية والمرأة

الأفريقية، بالتعاون مع منظمة أوسريا بأديس أبابا، تقديم د. عبد الغفار محمد أحمد، الناشر دار الأمين، ٢٠٠١.

٨١. أحمد القصير وآخرون، سلسلة كتب شهادات ورؤى:من تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥: الجزء الخامس بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، ٢٠٠١.

٨٢. رمسيس لبيب (تحرير)، العمال فى الحركة الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥، الورشة الأولى بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥،٢٠٠١.

٨٣. شهيدة الباز(إشراف)، مصطفى مجدى الجمال(مسئول التحرير)، (أفريقية – عربية : مختارات العلوم الاجتماعية، المجلد الرابع، نشر مشترك مع كوديسريا ودار الأمين، أكتوبر ٢٠٠١.

٨٤. سعد الطويل (تحرير)، الأجانب فى الحركة الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥، الورشة الثانية، بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، ٢٠٠٢.

٨٥. جردا منصور، مديحة دوس (تحرير)، سلسلة أوراق في علم اللغة، الورقة الثالثة- مايو ٢٠٠٢ (مساهمات فى اللغويات العربية)، نشر مشترك مع جماعة اللغويين في القاهرة.

٨٦. سمير أمين، مستقبل الجنوب فى عالم متغير، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٢

٨٧. أكيكي بى موجاجو وآخرون، دراسات اجتماعية في شرق وجنوبي أفريقيا، بالتعاون مع منظمة أوسريا بأديس أبابا، الناشر دار الأمين، ٢٠٠٢.

٨٨. سمير أمين وآخرون، العلاقات العربية الأوربية: قراءة عربية نقدية، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٢.

٨٩. يسرى مصطفى (تحرير)، المجتمع المدنى وسياسات الإفقار فى العالم العربى، نشر مشترك مع دار ميريت، ٢٠٠٢.

٩٠. د. فخرى لبيب (تحرير)، منظمة التجارة العالمية ومصالح شعوب الجنوب، بالتعاون مع منظمة تضامن الشعوب الأفريقية الآسيوية وعدد من المنظمات غير الحكومية، الناشر مركز المحروسة، ٢٠٠٢.

٩١. إسماعيل عبد الحكم وآخرون، سلسلة كتب شهادات ورؤى: من تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥: الجزء السادس بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، ٢٠٠٢.

٩٢. د.عبد الغفار محمد أحمد، فى تاريخ الأنثروبولوجيا والتنمية فى السودان، ترجمة مصطفى مجدى الجمال، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٢.

٩٣. عبد الغفار شكر (تحرير)، الجمعيات التعاونية كمنظمات شعبية تنموية- الجزء الأول، نشر مشترك مع مركز المحروسة، ٢٠٠٢.

٩٤. حنان رمضان (تحرير)، المرأة فى الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، الورشة الثالثة، بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، ٢٠٠٢.

٩٥. عريان نصيف (تحرير)، الفلاحون فى الحركة الشيوعية المصرية حتى

عـــام ١٩٦٥، الورشـــة الـــرابعة، بالـــتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥، ٢٠٠٢.
٩٦. شـــهيدة الـــباز(إشراف)، مصطفى مجدى الجمال(مسئول التحرير)، (أفريقية - عربـــية : مخـــتارات العلـــوم الاجتماعية، المجلد الخامس، نشر مشترك مع كوديسريا ودار الأمين، ٢٠٠٢.
٩٧. ســـمير أميـــن وآخـــرون، الاشتراكية واقتصاد السوق: تجارب (الصين- فيتنام- كوبا)، نشر مشترك مع مكتبة مدبولى، ٢٠٠٣.
٩٨. عـــبد الحميد حواس، أوراق في الثقافة الشعبية في مصر، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٣.
٩٩. عـــبد الغفار شكر (تحرير)، الجمعيات التعاونية كمنظمات شعبية تنموية- الجزء الثانى، نشر مشترك مع مركز المحروسة، ٢٠٠٣.
١٠٠. مدحـــت أيـــوب (تحرير)، الأمن القومى العربي، نشر مشترك مع مكتبة مدبولى، ٢٠٠٣.
١٠١. طـــايع آصيفا وآخرون (تحرير)، العولمة والديمقراطية والتنمية: تحديات وآفـــاق، نشـــر مشترك مع منظمة العلوم الاجتماعية لشرق وجنوبى أفريقيا (أديس أبابا)، ومركز المحروسة، ٢٠٠٣.
١٠٢. فخرى لبيب (تحرير)، الطلبة فى الحركة الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥، الورشة الخامسة، بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥،٢٠٠٣.
١٠٣. جردا منصور، مديحة دوس (تحرير)، سلسلة أوراق فى علم اللغة، الورقة الـــرابعة- مـــايو ٢٠٠٣ (قضايا حول اللغة العربية والتعبير العلمى)، نشر مشترك مع جماعة اللغويين فى القاهرة.
١٠٤. هويـــدا عدلى (تحرير)، ثقافة وسائل الاتصال فى الوطن العربى: الإعلام والهوية، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٣.
١٠٥. شـــهيدة الـــباز(إشراف)، مصطفى مجدى الجمال(مسئول التحرير)، (أفريقية - عربـــية : مخـــتارات العلـــوم الاجتماعية، المجلد السادس، نشر مشترك مع كوديسريا ودار الأمين، ٢٠٠٣.
١٠٦. سمير أمين، فرانسوا أوتار (تحرير)، مناهضة العولمة : حركة المنظمات الشـــعبية فـــى العالم، نشر مشترك مع المنتدى العالمى للبدائل، ودار الأمين، ٢٠٠٣.
١٠٧. أحمـــد بـــرقاوى وآخـــرون، الدولة الوطنية وتحديات العولمة فى الوطن العـــربى، نشـــر مشترك مع مركز الدراسات والبحوث الاستراتيجية دمشق ومكتبة مدبولى، ٢٠٠٣.
١٠٨. رمسيس لبيب(تحرير)، الانقسامية وأزمة الحركة الشيوعية المصرية حتى عـــام ١٩٦٥، الورشـــة السادســـة والسابعة، بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥، ٢٠٠٣.
١٠٩. د. محمـــد ماهر الجمال، أحمد لطفى السيد: دراسة فى الخارطة المعرفية، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٣.
١١٠. عـــبد الغفـــار شكر (منسق البحث)، نظام الخدمة العامة فى مصر وآفاق

تطويـــره: دراسة حالة محافظة دمياط، بالتعاون مع شبكة الجمعيات الأهلية للتنمية وقضايا النوع بدمياط، ٢٠٠٣.

١١١. شـــهيدة الـــباز(إشراف)، مصطفى مجدى الجمال(مسئول التحرير)، (أفريقية – عربـــية : مخـــتارات العلـــوم الاجتماعـــية، المجلد السابع، نشر مشترك مع كوديسريا ودار الأمين، ٢٠٠٤.

١١٢. ريمى هيريرا وآخرون، ترجمة باتسى جمال الدين، الثورة الكوبية... إلى أيـــن....؟ دراســـة فـــى ملامـــح التاريخ الكوبى واستشراف القرن الواحد والعشرين، نشر مشترك مع منتدى العالم الثالث ودار العالم الثالث،٢٠٠٤.

١١٣. ألـــيون ســـال (تحرير)، ترجمة سعد الطويل، أفريقيا ٢٠٢٥، أى مستقبل؟ نشر مشترك مع البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة، المدينة برس، ٢٠٠٤.

١١٤. دينـــيس فينـــتر وآخرون، دراسات اجتماعية في شرق وجنوبي أفريقيا، العدد الثالث نشر مشترك مع منظمة العلوم الاجتماعية لشرق وجنوبى أفريقيا (أوسريا) بأديس أبابا، الناشر المدينة برس، ٢٠٠٤.

١١٥. هايـــن ماريز، ترجمة صلاح العمروسى وعزة الخميسى، جنوب أفريقيا: حـــدود التغيـــير: الاقتصاد السياسى لمرحلة الانتقال نشر مشترك مع منتدى العالم الثالث وآخرون، الناشر دار الأمين، ٢٠٠٤.

١١٦. د.أحمـــد زايـــد – د.عـــروس الزبير (تحرير)، النخب الاجتماعية: حالة الجزائر ومصر، نشر مشترك مركز البحوث فى الاقتصاد التطبيقى من أجل التنمية بالجزائر، مع الناشر دار مدبولى، ٢٠٠٤.

١١٧. د. حمـــدى عـــبد الرحمن –عزة خليل، المجتمع المدنى ودوره فى التكامل الأفـــريقى، نشـــر مشترك مع مركز المجتمع المدنى –جامعة ناتال، الناشر المدينة برس، ٢٠٠٤.

١١٨. فـــاروق القاضى، آفاق التمرد: قراءة نقدية فى التاريخ الأوروبى والعربى الإســـلامى، نشـــر مشترك مع المؤسسة العربية للدراسات والنشر بالأردن، ٢٠٠٤.

كراسات المركز

١- أحمد هنئ، حول إجراءات الإصلاح الاقتصادى فى الجزائر، ١٩٨٨.

٢- عصام فوزى، ترجمة ثلاثة قراءات سوفيتية فى البيريسترويكا، ١٩٨٨.

٣- أشرف حسين، ببليوجرافيا الطبقة العاملة، ١٩٨٨.

٤- عبد العظيم أنيس، قراءة نقدية فى كتابات ناصرية، ١٩٨٩.

٥- مصـــطفى نـــور الديـــن عطية، المجتمعات التابعة ومشكلات التنمية المستقلة، ١٩٨٩

٦- موشى ليوين وآخرون، تقديم/ فؤاد مرسى، البيريسترويكا فى عيون الآخرين، ١٩٩٠

٧- نادر فرجانى، الأزمة العربية الكبرى

٨- محمـــد أبـــو مندور وآخرون، أزمة المياه فى الوطن العربى، نشر مشترك مع دار الأمين ١٩٩٩.

٩- إســـماعيل زقزوق، المهمشون بين النمو والتنمية، نشر مشترك مع دار الأمين

.١٩٩٩
١٠- عــبد الغفــار شــكر، تجديد الحركة التقدمية المصرية، نشر مشترك مع دار الأمين ٢٠٠٠.
١١- حــنان رمضان (إعداد)، العراق تحت الحصار، نشر مشترك مع دار الأمين ٢٠٠٠.
١٢- أحمد صالح، الإنترنت والمعلومات، نشر مشترك مع دار الأمين ٢٠٠١.
١٣- عــريان نصــيف (تحريــر) الأرض والفلاح، نشر مشترك مع دار الأمين ٢٠٠١.
١٤- أحمد عبد الله، عمال مصر وقضايا العصر، نشر مشترك مع دار المحروسة ٢٠٠٢.
١٥-عــريان نصــيف (تحريــر)، التشريع التعاونى فى مصر: الواقع.... وآفاق المستقبل، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٠.
١٦-د.محمــد ماهر الجمال، مضامين التربية الشعبية، في مجلة "الأستاذ" لعبد الله النديم، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٣.
١٧ – مدحــت أيــوب، قضــايا فى الاقتصاد المصرى بعد التكيف الهيكلى، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٣.
١٨- كلــود كاتــز وآخــرون، تــرجمة يوســف درويش، إمبريالية القرن الواحد والعشرين، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٣.
١٩- ســمير أمين، الفيروس الليبرالى: الحرب الدائمة وأمركة العالم، نشر مشترك مع مركز المحروسة، ٢٠٠٤.
٢٠- محمــد إســماعيل زاهر، أزمة الوعى العربى بين الحملة الفرنسية والحملة الأمريكية، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٤.
٢١- بهــيج نصــار، البحــث عــن مفهوم للديمقراطية فى مرحلة الثروة العلمية والتكنولوجية الراهنة، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٤.
٢٢- الحركة العمالية المصرية: الخبرة النضالية وآفاق المستقبل، نشر مشترك مع مركز المحروسة، ٢٠٠٤.

كراسات كوديسريا

١- أوكوادبا نولى، الصراع العرقى فى أفريقيا١٩٩١.
٢- ايبو هو تشغول، الجيش والعسكرية فى أفريقيا، ١٩٩١.
٣- ديساليجن رحماتو، منظمات الفلاحين فى أفريقيا : قيود وإمكانيات، ١٩٩١.
٤- جيمى آديسينا، الحركات العمالية وضع السياسة فى أفريقيا، ١٩٩٢.
٥- أديمولات – سالو، تغير البيئة العالمية: جدول أعمال بحث لافريقيا، ١٩٩٣.
٦- م. مامدانى،آخرون، الحركات الاجتماعية والعلمية الديمقراطية فى أفريقيا.
٧- ثانديكا مكانداويرى، التكيف الهيكلى والأزمة الزراعية فى أفريقيا.
٨- مومــار ديــوب، ممــادوديوف، تداول السلطة السايسية وآلياتها فى أفريقيا، ١٩٩٢.
٩- آرشى مافيجى، الأسر المعيشية وآفاق إحياء الزراعة فى أفريقيا، ١٩٩٣.
١٠- سليمان بشير ديانى،المسألة الثقافية فى أفريقيا، ١٩٩٦.

١١- ميشيل بن عروس، الدولة - والمنشقون عليها، ١٩٩٦.
١٢- عبدو مالك سيمون، عملية التحضر، والتغير فى أفريقيا، ١٩٩٩.
١٣- أمينة ماما، دراسات عن المرأة ودراسات النساء فى أفريقيا، ١٩٩٩.
١٤- تادى آكين آنيا، العولمة السياسية الاجتماعية فى أفريقيا، ١٩٩٩.
١٥- مامـادو ضيوف، ليبرالية سياسية أم انتقال ديمقراطى : منظورات أفريقية، ١٩٩٩.
١٦- حكيم بن حمودة نظريات ما بعد التكيف الهيكلى، ٢٠٠٠.
١٧- كلوديو شوفتان، ماذا بعد ممارسات التنمية المشوهة فى أفريقيا؟، ٢٠٠٠.
١٨- أشيلى ميبمبى، عن الحكم الخاص غير المباشر، ٢٠٠٠.
١٩-تشيكيلاك. بيايا، الشباب والعنف والشارع فى كنشاسا: نسمع ونفهم ونصف، ٢٠٠١.
٢٠-سـليمان بشير ديانى، إعادة بناء المعنى: نصوص ورهانات لقراءة مستقبل أفريقيا، ٢٠٠١.

سلسلة كراسات اللجنة الاقتصادية لأفريقيا

أ- التنمية بالمشاركة

١- تعزيـز التواصـل بيـن مؤسسـات صنع السياسة الحكومية وبين الجامعات والمراكز البحثية من أجل دعم الإصلاح الاقتصادى والتنمية فى أفريقيا •
٢- تحسين أداء المشروعات العامة فى أفريقيا: دروس من تجارب قطرية •
٣- تحسين أداء المشروعات العامة فى أفريقيا.
٤- تعبئة وإدارة الموارد المالية فى الجامعات الأفريقية.
٥- تحسين إنتاجية الخدمات العامة فى أفريقيا.
٦- دعم حيوية الجامعة الأفريقية فى التسعينيات ومابعدها •
٧- تهيئة البيئة لتنمية الفعاليات التنظيمية فى أفريقيا •
٨- تعبـئة القطـاع غـير الرسمى والمنظمات غير الحكومية من أجل الإصلاح الاقتصادى والتنمية فى أفريقيا.
٩- الأخلاقيات والمساءلة فى الخدمات العامة الأفريقية.
١٠- أعمال ندوة حول الديمقراطية والمشاركة الشعبية لقادة نقابات العمال فى أفريقيا •
١١- الإثنية والصراع السياسى فى أفريقيا.
١٢- ميثاق عمل للمنظمات غير الحكومية فى أفريقيا.

ب- سلسلة التنمية بالمشاركة

١- دراسة حالة فى ناميبيا.
٢- دراسة حالة فى أوغندا.
٣- كيف تؤثر المنظمات الأهلية فى السياسات عن طريق البحث والضغط والدعوة.
٤- المـبادئ الأساسـية لـتعزيز الحوار والتعاون والتداخل بين الحكومات والمنظمات الشعبية.
٥- دراسة حالة فى جامبيا.
٦- دراسة حالة فى أثيوبيا.

ج- سلسلة الدليل التدريبى للتنمية بالمشاركة الشعبية
١- الاتصال فى خدمة التنمية بالمشاركة.
٢-المنظمات المحلية غير الحكومية وتحقيق الاكتفاء الذاتى من الغذاء فى المجتمعات المحلية.
٣- مناهج تطوير المنظمات الأهلية للمشروعات.
٤- تخفيف الفقر وصيانة البيئة.
٥- تعريف دور وأهمية اتصال دعم التنمية من أجل المشاركة الفعالة فى عملية التنمية.
٦- إدارة المشروعات الصغيرة
٧- تصميم فعال لخدمات تنظيم الأسرة
٨- دور مؤسسات المجتمع المدنى في منع وإدارة وحل الصراعات فى أفريقيا.

النشرات

١- نشرة البحوث العربية
من العدد التجريبى يناير ١٩٩٠ إلى العدد (١٥-١٦)سبتمبر٢٠٠٣- مارس٢٠٠٤.
٢- نشرة المجلس الأفريقى لتنمية البحوث الاقتصادية والاجتماعية (كوديسريا): من العدد الأول أبريل ١٩٩١ إلى العدد الخامس والأربعون، ٢٠٠٤.
٣-نشرة العلوم السياسية الأفريقية: من العدد الأول إلى العدد الثامن والثلاثون، أغسطس ٢٠٠٣.
٤- نشرة الذاكرة الوطنية- مع لجنة التوثيق- العدد الثانى-أكتوبر ١٩٩٦.
٥- نشرة منتدى العالم الثالث بداكار:
العدد الأول يوليو ١٩٩٦- العدد الثانى يونيو ١٩٩٧.
٦- نشرة المنتدى العالمى للبدائل: العدد الثالث- فبراير ٢٠٠٢.
٧- نشرة منظمة العلوم الاجتماعية لشرق وجنوبى أفريقيا (أوسريا)، العدد الأول، مارس ٢٠٠٤.

تحت الطبع

١. الحركات الاجتماعية فى العالم العربى.
٢. الصراع حول المياه: الإرث المشترك للإنسانية.
٣. اليسار فى الثقافة المصرية.
٤. الدراسات الحديثة في تاريخ مصر الاجتماعي الحديث خلال السنوات العشر الأخيرة، كراسة المركز
٥. الجمعيات الأهلية الإسلامية- حالة السودان- الجزائر- تونس - المغرب.
٦. المشاركة الشعبية فى التنمية المحلية.
٧. سنوات اليسار فى مصر.
٨. الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.
٩. المرأة فى القطاع غير الرسمى.
١٠.الحريات الفكرية فى شمال أفريقيا.

تصوير ابو عبدالرحمن الكردي

هذا الكتاب

يدور هذا الكتاب حول موضوع واحد وخطير هو وعد بوش لشارون فى ١٤ إبريل ٢٠٠٤ ، إنه الوعد الثانى بعد " بلفور" الذى صدر فى ٢ نوفمبر ١٩١٧ ، وفى تقدير الكاتب أن وعد بوش هو أخطر وثيقة حصلت عليها الصهيونية منذ ١٩٤٧.

ويقول الكاتب " إذا كان بعض العرب قد جهلوا مقدمات صدور هذا الوعد . . وإذا كان بعضهم قد تجاهل هذه المقدمات ، فإن حدوث ذلك فى مرحلة ما بعد عرفات وفى الولاية الثانية لبوش أمر خطير إلى أبعد الحدود ".

والكاتب هو عبد العال الباقورى المفكر القومى التقدمى المعروف ، وهو من أكثر الكتاب العرب خبرة واهتماماً بموضوع الكتاب . وما يقدمه هنا من معلومات ووثائق وتحليل يكشف عن الكثير الذى يجب أن يقرأه العرب فى هذا الموضوع الجلل .

مكتبة مدبولي